مشاهد الناس بعد الموت

تأليف الشيخ عبد الرحمن خليف

الطبعة الأولى 2002

بسمِ الله الرحمان الرحيم

الحَمد لله رب العالمين، والصّلاة والّسلام على سيّدنا محمد خاتمِ النبـــيئين المرســـلين، وعلى آله الطّيبين، وصحابته الكرام أجمعين.

أمّا بعد فإنَّ البحث عن وجود الإنسَان قدْ كان من أهمّ ماشغَل عقولَ المفكّرينَ, وَكانَ بحثهم ينطلق من الأسئلة التّالية:

كيْفَ نَشأ الإنسان؟

ولماذا كان؟

وهل يضمحلّ نهائيا بموته؟

وكان المتسائلون عن هذه القضايا فريقين :

فريقا آمنوا بما ثبت في شأنها من طريق الوحيِ الإلهي، وذلكَ بعدَ إيمانهم بالله ورســـوله بالبرهان، حقَّ الإيمانِ.

وفريقا لم يهتدوا فيها بالوحي، وإنّما انطلقوا في بحثهم عنها بالعقـــل المجرَّد، رجاء أن يهديهم التفكير وحده إلى الجواب المقنع.

أمّا الفريق الأوّل فقد اطمأنت قلوبهم إلى ماأنزل الله في القـــرآن، بما في ذلك مانزل في هذه القضايا الثلاث.

فلقد أنزل الله قوله: (**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ(12)ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(13)ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنــشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ الـــلَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(14)ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ(15)ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ(16)**) المؤمنون -12-16.

كما أنزل أيضا قوله : (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إلا لِيَعْبُدُون**) والذاريات -56.

من هذه الآيات البينات ظَفِرَ الفريقُ الأوَّل بضالّتهم، فاستبشروا (**وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**) البقرة - 284 .

أمّا الفريق الثاني فقد ظَفِرُوا بالجواب عن السّؤال الأول بما لايختلف عما هو ثابتٌ في القرآن العظيم، وذلك من وراء البحْثِ المتواصل على مدى عِدَّةِ قرون، وهو ماانتهى إليه (علمُ الأَجنَّةِ) في أواخر القرن العشرين.

لكن هؤلاء وإن اهتدوا بعقولهم إلى الجواب عن السّؤال الأول، فإنّهم لم يهتدوا بها إلى جواب لا عن السّؤال الثاني، ولا عن السّؤال الثالث، وإنّما تفاقمت اضطراباتُهم بشأنهما إلى حدٍّ عجيب.

وإذا كان البحث عن الإنسان قد انتهى بالفريقين من اختلاف منطلق الرؤية إلى اختلاف المنظور فماذا يَجبُ على من آمنوا بالوحيِ، وأدركوا- من طريقه - حقيقة الوجود الإنساني في مراحله الثلاث؟

الواجبُ عليهم في القضية الأولى هو أن يعتزُّوا بما هم من معرفة لها، وأن يقوموا بشكر الله على مامنَّ به عليهم من تلك المعرفة، فلقد أوقفهم على بديع صنعه في تكوينِ الإنسانِ من تُرابِ كما قال : (**وَمِنْ ءاياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ**) الروم- 19.

أفَلَمْ يروْا أنَّ الله قد خلق من التراب الجامد الوضيع، إنسانا يتألّق في أحْسَنِ تقويم، ويتدفّق في كل مجالات الحياة بنشاط ذريع؟

أمّا القضيَّةُ التي قال فيها: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إلا لِيَعْبُدُون**) والذاريات -56 فالواجبُ فيها أن يلتزموا بطاعة الله في كل تصرفاتهم، على مقتضى ماشرَعَ لهم من الدين.

وأمّا التي قال فيها: (**ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**) المؤمنون - 16 فالواجبُ فيها أن لايكونوا عن الآخرة غافلين، كمن قال فيهم: (**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنْ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**) الروم-6.

ولما كان الإنتقالُ من الدنيا أمْرًا لابدَّ منه، وكان تَذكُّر الآخرة مُعينًا على الاستعداد لها، وكان تصوُّرُ الإنسان للشيء في ذهنه أدْعَى إلى تذكّرِه، وأقْرَبَ ممّا لو لم يكن مرْتَسمًا في حافظته.

لّما كان الأمر كذلك، تبيَّنَ أنه مامن إنسان إلاَّ وهو في حاجة إلى معرفة صورةِ الآخرة، لترتسمَ في ذهنه، فيستعدَّ لها، ولايكون عنها من الغافلين.

ولسوف يتَّضحِ لك- إن شاء الله- رسم ملامحِ الآخرة في صورةٍ مصغَّرةٍ من (**مشاهد الناس بعد الموت**) إبتداءً من النفخ في الصور، إلى ذبح الموت بين الجنة والنارِ(1).

وبين هذين المشهدين تَتَوالَى أحداث الآخرة تِبَاعًا، فمنْ مشاهد الموقف العامْ بين يدي رب العالمين، ومافيه من تكريم عظيم لأُناس، وإهَانة ومَقْت وإذْلالٍ لآخرين، ومن تطاير صحف الأعمال، إلى عجائب الحساب والميزان، إلى المرور على الصِّراط، إلى مشاهد المعذّبين في دركَات الجحيم، والمتمتّعينَ بفيض من لطَائف النّعيم.

ولئن اشتمل الكتاب على الكثير من عجائب مشاهد الآخرة، ممّا ورَدَ عن الله ورسوله، لقد احتوى أيضا - بتيسير الله - على كثيرٍ من التحقيقات في مااختلف فيه أَهْلُ العلم من قضايا خاصَّةٍ بيوم القيامة.

ومن أكثرها إلحاحًا مواقفُ بعضِ العلماء من مشاهد الشفاعةِ، ومن المُذَادينَ عن حوض رسول الله صلّى الله عليه وسلم، ومَمَّنْ لايُكلّمهم الله، وممَّن حرَّم الله عليهم الجنَّةَ، وممَّن يُحْجَبُونَ عن النار، وهل يُخلَّد في النار مَن قَتَلَ مؤمنا متعمِّدًا؟ وهل لعذَاب أهل النار من نهاية؟ هذا إلى إيضاحِ التطابق السليم في مايبدُو من تدافعٍ بين مايَظْهَرُ من بعضِ الأحاديث .

والله أسألُ أن يتجَاوَزَ عنّي في ماعسى أن يكون قد زلَّ به القلمُ، وأن يجعل (**مشاهد الناس بعد الموت**) خالصا لوجهه الكريم، وأن يتقبَّلَهُ، وينفعَ به مَن قرأه أو قرأَ (**مشاهد الناس عند الموت**)(2) أو دعا غيرهُ إلى الاستفادة من الكتابين، إنّه سبحانه جوَادٌ كريم و(الحمد لله الذي هدانا لهذا، وماكُنَّا لنهتديَ لولا أنْ هدَانا الله) وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين والمرسلين، وعلى آله وصحابته أجمعين, وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

القيروان في : 5 ذي القعدة 1422 - 2002/01/19.

عبد الرحمان خَلِيف

---

1) أمّا البرزخ، وما ثبت فيه من عذاب ونعيم، فلم أتناوله في الكتاب، لأنّه ليس من مشاهد النّاس

2) (مشاهد النّاس عند الموت) كِتاب صدر للمؤلف قبل هذا وطبع مرّتين

عقيدة البعث بعد الموت

يقول الله سبحـــانه : (**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**) يس-11.

ويقول تعالى :(**وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ(36)**) الأنعام.

لقد تأكّد بهذا البيان لدى جميع أهل الإيمان أن الله جلّ شـــأنه ســـوفَ يحيي الموتى، ويبعثهم من قبـــورهم (**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**) النجم- 30.

غير أنّ البشر - بـــصفة عامة - إذا تأملنا من توقـــعهم للبـــعث نراهم مختلفين فيه، ومنقسمين أربعة أقسام

قسم مصدق بوقوع البعث مؤمن به عن جزم ويقين.

وقسم كافر به، وقاطع باستبعاده.

وقسم متشكك فيه ومرتاب.

وقسم يحيا ويموت، ولايخطر له أمر البعث على بال.

1) المؤمنون بالبعث :

أمّا أهل الإيمان بالبعث فقد هداهم الله بالقرآن العظيم، حيث لفت أنظارهم إلى التّأمل في آثار قدرته وإبداعه لكل ماهو محيط بهم في الوجود، حتى يستدلوا من وراء ذلك التأمل على قدرة الله على بعث الناس بعد موتهم :

فقال تعالى: (**قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**) يونس -101.

وقـــال : (**وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ الـــــنَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**) الأنعام -99.

كما قـــال : (**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ(71) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ(72) وَلَهُمْ فِيـــــــــهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ**)يس.

وأكبر من كلّ ذلك خَلْقُ الله لهذا الإنسان، ومامرت بـــه ذاته من مراحـــلَ عجيبَة في تَكوينها.

لقَدْ لَفت الخالق نظر الإنسان إليها، ثم ذكر بعد ذلك أن مآل الإنســـان هو بـــعثه يوم القـــيامة فقـــــال: (**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ(12)ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(13)ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنـــــشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ الـــــلَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(14)ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ(15)ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**(16)) المؤمنون –.

وقد لخص الخالق هذا البيان المستفيض لمراحل خَلْق الإنسان في جملتين مختصرتين فقال (**وَمِنْ ءاياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ**) الروم –19.

إنّ المؤمنين بالبعث يستندون في الإيمان به إلى النقل وإلى العقل معا.

أما النقل فكان عن الآيات القرآنية والأحاديث النبـــوية الصحيحـــة، بـــالإضافة إلى ماكانوا يتلقونه من أمر البعث عمن يثقون بهم في الحياة كآبائهم، وَعَمَّنْ هم في منزلة آبائهم من حيث مايحملون لهم من تقدير واحترام.

وأما العقل فقـــد لاحـــظوا عجائب الحِكَم الإلهية في كل ماأبـــدع الله في هذا الكون المشـــهود، فأدركوا من طريق الفكر أن الخالق العظيم الحكيم، سيبـــعث الخلق بـــعد الموت ليجزيهم على ماعملوا في الحياة الحاضرة، وسوف لايتركهم هملا بدون جزاء، لأن تركهم بلا جزاء يتنافى مع مقتضى الحكمة الإلهية.

وهل يتشكك عاقل في عظمة حكمة الله المنبثة في كل شيء؟ إن الغفلة عن ملاحظتها هي التي تصرف الإنسان عن تقديرها حق قدرها.

وتعال الآن ياأخي نلاحظ بعض ماأبدع الله من العجائب الظاهرة في ذواتنا فقط.

من عجائب ذات الإنسان :

إنَّ جَسَدَ الإنسان عَالَمٌ يَزْخَرُ بالآيات الدَّالَّة على عظمةِ الخالق، وإنَّها لآياتٌ **عجيبةٌ**، وليست غريبةً عن أيِّ أحدٍ من الناس، ومع هذا القُرب الشديد فإن أكثر الناس عنها غافلون، ولقد قال الله سبحانه : (**وَفِي الأَرْضِ ءاياتٌ لِلْمُوقِنِينَ(20)وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ(21)**) والذاريات

وحسبُنا الآن أن نُلْقِيَ نظْرةً سَريعةً على ماأبدَع اللهُ في ماهو ظاهرٌ من جسد الإنسان.

أمَّا الحديثُ عما أَتْقَنَ فيه من أجهزَةٍ بـــاطنةٍ، فذلك من نصيب الســـادة علماءِ الطِّبِّ والتشريح.

من عجائب العينين :

لقدْ وضع اللهُ العينين في أفضل وأعزِّ موقعٍ من جسد الإنسان، وتتبيَّن لنا الأهمية العجيبة لذلك الموقع من أنَّنا إذا افترضنا أنْ لوْ كانت العينَان في أيِّ موقعٍ آخر من جســـد الإنســـان كالكتفين، أو الصدر، أو الجنبـــين، أو الركبـــتين، أو غيرِ هذه الأماكن، فهل تؤدِّي العينان– عندئذ– مهمَّتهُما على أكملِ وجهٍ؟ وهل تسْلَمانِ من العَطَب الخطير مثلما تكونان سالمتين في الموقع الذي وضَعتْهما الحكمة الإلهية فيه.

وبالاضافة إلى عزَّة موقعهمَا فإنّ الله تعالى جعلهما تتحرّكان يميناً وشِمَالاً، وإلى أعلى وأسفلَ في دائرةٍ متَّسعةٍ، تخفيفا علَى الرأس مِنْ عِبْءِ التحـــرُّك الكثير عند متابـــعة النظر إلى ماحول الانسانً.

وأعْجَبُ من كلِّ ذلك أنّ الله جَعلهمَا قَادرتين على تمكين الانســـان من التمييز بـــين أحْجَام الأشياء لِيُدرك ماهو ضخمٌ وماهو أَضخَمُ من غيره، كما تتمكنان من التمييز بين أبعاد الأشياء، فيعرفَ ماهو بعيدٌ منه وماهو أَبْعَدُ وماهو قريب منه وماهو أقْرَبُ، ومن التمييز بـــين أشكال الموجودات وإدراك مالا يُحصى من الألوان التي تفيضُ بها الحياة.

إنَّ ماتُسَيْطِرُ عليه العينُ في كل مايدركه الإنسانُ بواسطتها ماهو إلاّ من النعم الصادرةِ عن حِكَمٍ إلهية بالغةٍ، بالرغم من ضآلةِ حَجْمِ العين، ومن تناهي عدستها في الصِّغر.

ثمَّ إنّ الله تعالى جعل للعينين جفنين لوقايتِهمَا من المؤْذيات، كما جعل للجفنين أهدابًا من الشعر.

إنّ شعر الأهداب يراه الإنسان شعرًا، ولكنه ليس كسائر الشعر، لأنّه لا يسترسل بلا انقطاع كشعر الرأسِ مثلا،فإنه لايتوقّف عن السير، بخلاف شعر الحاجبين وشـــعر الأهداب، كما يدرك ذلك كلُّ انسان من نفسه، فلو طال شعرُ الحاجبين وشـــعرُ أهداب العينين لاختلَّ نَظَر العينين، واحتاج الإنسانُ إلى حِلاقَةِ الحاجبيْن والأهداب، مثلما هو محتاج إلى حلاقة شعرِ رأْسِه من وقت إلى آخر (**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**) المؤمنون –14.

ومن عجائب الأذُنين :

إنّ موقع الأذنين مِنْ جسَدِ الانسان موقعٌ ممتاز جدًّا كموقع العينين، والله قد خلقــهما على شكْلٍ يتيسّرُ به التقاطُ ذبذَبات الأصوات المتموِّجَةِ مع الهواء بجميع أنواعها.

ثمَّ إنه تعالى ماخَلَقَهُمَا عظْمَيْنِ صلْبَيْنِ شديدَيْنِ، لَئِلاّ يَتَأَلَّمَ الانسانُ عندما ينام على أحد جنبيه، وَيَضَعُ رَأْسَهُ على وسادة ليست ليِّنة.

كما أنّه لم يخلقــهما مجرَّد جلدتين، فإنهما – عندئذ – لاتتماســكان، ولاتنهضان بكيانهما، بل ينطبِق بعض الجِلد على بعض لاِرْتِخَائِهِ، وَيَنسَدُّ بــذلك الوضعِ الرِّخوِ مســمعُ الانسانِ.

ولكن الله تعالى خلق الأُذنين غُضْرُوفَيْنِ، لا عظمين ولاجِلْدَتينِ، تحقيقــا لراحـــة الانسان.

كما أنه بحكمته لم يخلق مسَامِعَ الانسان مجرَّدَ ثَقْبَيْنِ في الرأس ، لأن المســمع لو كان مجرَّدَ ثَقْبِ لاَلْتَبَسَ الصوتُ على السّامع هلِ هو آتٍ من أمَامِهِ أو من خلْفِهِ؟

ولكننا نُدْرِكُ بوضوح أنَّ الإنسان يميِّز الجهة التي يصله الصوت منها وذلك بواســطة الاتجاه اللاّقِطِ للأصوات من ذات الشكلِ والصُّورَةَ التي أبدَعَ الله عليها أُذْنَ الإنسان.

وأَعْجَبُ من كلِّ ذلك أنَّ الله جعل الأُذْنَ تُميِّزُ الأصواتَ المختلفة، حتى إذا كان مصدرُ الصوت غائبًا عن العَيْنِ.

أو ليْسَ الإنســانُ يميُّزُ العديدَ من النّاس بواســطة أصْواتهم ولو أنّه لا يراهم كالمُذِيعِينَ والمُتكلِّمِين في الظلام إذا سبقــتْ له معرفتُهمْ قبـــل ذلك؟ وتَتَّضِحُ هذه الموهبَة الإلهية أكْثر الاتضاح لدى مَنْ فَقَدوا أبصارهم، واعْتَمدوا على آذانهم في تمييز الناس بعضهم عن بعضٍ.

وبالإضافة إلى هذه الدائرة الفســيحَة التي تَجولُ فيها طاقَةُ الأذنِ لتدركَ مايَخْتَلفُ من

أصْوات البشـــر نجدُ الأُذنَ تميِّزُ أيضاً صَوْتَ العصْفور من صوتَ الحَمَامِ ، وصوتَ البــعير من صوْت الفرسِ ، وصَوتَ البقَرةِ من صوت النَّعجةِ إلى آخر ما لا يُحـــصى من الأصْواتِ (**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**) النمل -90.

ومن عجائب الأنْف :

وللأنْفِ أيضا موقعٌ ممتاز، لايحسُنُ أن يَفوقه أو يُماثِلَهُ في أَدَاءِ مُهَمَّتِهِ أيُّ مَوقعٍ آخَر من جسد الإنسان.

ولنفرضْ أن يكون موْقِعُهُ جَنْبَ الانسان، فهل يَلْبَسُ عليه الثياب، أو يَفْتَحُ له نافذَةً في الثّياب؟ وهل يتيسّر له أن ينامَ على ذلك الجنْب بدُون تنفُّس؟

وهكذا تتعذَّر استفادةُ الجسمِ من مهمَّةِ الأنفِ كلما افترضنا أن يكُون له أيُّ موقــعٍ آخرَ من الجسم.

ومع بقائِه في موْقِعه فلنفْرِض أنْ يكونَ مقلوباً، بحيث يصير مَدْخَلُ الهواءِ ومَخْرَجُهُ مِنْ أعْلَى الأنفِ لا من أسفله، فإن مايُفْرَزُ من مُخَاط الانســـان يتعذَّر عليه أن يتخلَّصَ منه، وفوْقَ هذا فإنَّ ثُقْبَــتَــيْ الأنفِ تتعرَّضـــــان إلى الانسداد بما قد يَسْقُطُ فيها من غَبْرَةٍ أو قَطراتِ مطرٍ أو غيرهِمَا ، ولايخفى مايَلْحَق الانسانَ في ذلك من مكدّرات ومشاقّ.

ومع هذا الوضع العجيبِ الذي صاغَ اللهُ عليه الأنفَ، فان الإنسان يتنفس بواســطته لتستمرّ حياتُه حتى إذا كان غيرَ منتبه لذلك، بل حتى إذا كان نائما.

كما جَعَلَهُ اللهُ سبيلاً لِتَمْييزِ الرائحةَ الطيّبَةَ من الرائحةِ الكريهة، ويُدْرِكُ الفوارقَ القائمة بين الروائح الطيبة المختلفة الانواعِ حقًّا (**إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ**) العاديات-6.

ومن عجائب الفم :

عندما يكون الجنينُ في بطن أُمِّهِ، فإنه يتغذَّى على غِذَاءِ أُمِّهِ، بواســطة سُرَّتِهِ، فســرَّتُه المرتَبطَةُ بأمِّهِ، هي السبيل الوحيدُ لغذائِه مادام في بطن أُمُّهِ، ويستمرُّ فَمُهُ مُغْلَقًا، لانه لا حـــاجةَ تدعوه إلى فَتْحِهِ.

لكنه إذا وُلدَ وقُطِعَ ذلك الحبْلُ السُّرِيُّ الذي كـــان يَرْبطُهُ في غِذَائِه بأمِّهِ، فـــإنّ فَمَهُ - عندئذ - ينفتح تِلْقَائِيًّا، ويَلْتَقِمُ ثَدْيَ أُمِّهِ، فَيمْتَصُّ مِنْهُ غِذَاءً يلقَاهُ جَاهِزا، ومؤَلّفًا في تركيبه من

خصائِص الجسدِ الذي كان يحمِلُهُ وهو جَنينٌ، لتتواصلَ بهذا التَّحوُّل حــياتُه في جوٍّ جديدٍ من مراحِلِ الحياة(**إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ**) فاطر-31.

والجنينُ يولدُ بدُون أسنان لكي لايَجْرَحَ ثَدْيَ أُمِّهِ، ثم تبــزُغُ أســنَانُه رُوَيْدًا رُوَيْدًا، فتتعوّدُ عليها الأمُّ بالتدرُّج، وكلّماً لحِقَهَا بعضُ الأَلَمِ منه أحدثَتْ حركةً أو صوتًا يدركُ منهُما الرضيعُ أنّ تصرُّفَهُ بما أفْضَى إلى تلك الحركَة أو الصوتِ ماهو إلا أمرٌ لا يليقُ عنــد الرّضــاعِ، فيتحاشاهُ في المستقبل.

ثم يتواصلُ إنباتُ الله لأسنان الإنســان وهو طفلٌ غير أنه إذا كَبرَ لابــدّ أن يَكْبَرَ فكّاه الأعلى والأسفلُ، فيحتاجُ وَضعُ الفَمِ إلى تبديل تلك الأسنان الدقيقة الوقتيةِ.

فلو بقيتْ الأسنان على حالِها والفكّان قد كَبرَا لصار بين كل سنٍّ وسنٍّ فجوةٌ، سَوَاءٌ في الفَكِّ الأعلى أم في الأسفَلِ. وفي ذلك من التّعَب عند الأكل أمرٌ لايخفَى.

من أجلِ هذا وغيره جعل الله الأسنان الأولى تؤدّي مهمَّةً وقتيّةً، ثم يُنْبتُ بَدَلَهَا أســنَانًا أَمْتَنَ منها وأَغْلَظَ وأثْبَتَ.

ثم إنّ الله سبحانه لم يجعل الأسنان كلها قطعة واحدة، من عظم واحد، يكون بشكل هلال في الفكِّ الأسفل، ومثله في الفكِّ الأعلى، وذلك لأنّه إذا حدث كسْرٌ في بعض الأسنان - وكثيرا مايحدث ذلك- فإنّ كسر هذا الجزء أيسر على المصاب من تهشيم فكه كله في ما لو كانت الأسنانُ كلها قطعةً واحدة.

ومن أعظم مواهب الله للانسان أنه جعل لسانه يتمتّع بطاقــةٍ هائلةٍ من المذاق. لنأخذ مثلا ما يتذوقه مما طَعْمُهُ حلوٌ، فالانسانُ بلســانه يدرك أن حَلاَوَةَ التين هي غير حَلاَوَةِ العنب، وحلاوة التمر غير حلاوة الموز، وحلاوة البطيخ غير حــلاوة التفاح، وحــلاوة جميعها غير حلاوة العسل، وهكذا إلى ما لايكاد يُحصى من بُرتقال ومشمش وكمّثْرَى .... الخ .

ولكنّ الأعجب من كل ذلك هو أننا إذا نظرنا إلى قيام الفم بالكلام، وقَدَّرْنا المساحة التي ينطلق منها نُطْقُ الانسان ابتداء من حَلْقِهِ وانتهاءِ إلى شفتيه فإننا نجدها لاتقدّرُ إلا بعدد قليلٍ من الصَّانتيمات، ومع مُشاهدتنا لهذا المدى القصيرِ المحدُودِ فاننا نندهش عندما نحاول الإحاطةِ بأبعادِهِ .

أفلا يستطيعُ هذا الجهازُ البسيطُ في ظاهره أن يتكلّم بلُغَاتِ جَمِيعِ البَشَرِ إذا تعلّمها؟

كلّ هذا بغضِّ النَّظَر عن مَدَى طَاقَتِهِ العجيبة وقدرته على تسمية الأشياء وعمّا تقوم به، وعنِ نتائجِ ماتقوم به في جميع ميادين الحياة من طبٍّ وهَنْدَسَة وفِلاَحة وقضاء... وغير ذلك في أَي لُغةٍ من لُغَات بني آدم، فتبارك الله الذي خلق الإنسان وقال: (**أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ(8)وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ(9)**) البلد

ومن عجائب اليدين:

موقع اليدين كَبَقّية أجزاءِ الجسم، إذ لاَيَحْسُنُ باليدين أي مَوْقِع آخَرَ من جسد الإنسان ليكونا فيه.

إفْتَرِضْ لَهمَا أيَّ مكان آخَرَ مِنَ الانسان فإنَّهُ يستحيل أن يَكُونَ أنسب من مكانهما الذي هما فيه، لانهما – عندئذ– لايؤدّيان عملهما الأداء المتوفّر لهما في موقِعهمَا المعروف.

أمّا تجهيزُ اليدين بالأصابع فهو الأمر الذي يَبْهَرُنَا عندَ التأمُّل، لأن الأصابع يَرْجِعُ إليها كلُّ أثرٍ ممَّا صَنَعَهُ أو يصنُعه أيُّ إنسَان في هذه الحياة.

فلو لم تكن للانسان أصابعُ، بل كانت يداه كأيدي الحيوانات من خيل أو بقر أو غيرهما فكيف يستطيعُ أن يُمسكَ أيَّ شيء؟ وهل يتمكَّنُ من أخذ إبرة أو قلم أو ورق؟ أفيقدرْ بدون الأصابع أن يصنع أيّ جهازٍ أو أبسَطً الأدوات؟

ثم إنّ أصابعَ اليدين لو خُلِقَتْ كالأقلام بحيث إنّها لاتنثَني ولاتَنْحَني ولاتنطبقُ فهل يستطيعُ الانسانُ أن يستفيد منها كاستفادَتِه مما هي عليه؟

ولو خُلِقَتْ أصابع اليدين أقْصَرَ مما هي عليه بل كانت في طُولِهَا كأصابع الرجلين، فهل يُمْكِنُ أن تؤدّي المهامَ التي تُؤديها أصابع اليدين بحجمها الذي خلقها الله عليه؟

ولو كانت أصابعُ اليدين أطوَلَ مما هي عليه حتى صارت كأصابع الأخطبوت، فهل تكونُ صالحةً لتحقيق أغراض الإنسان؟

ومع كلِّ ماأبدع الله في الأصابع من طاقات عجيبةٍ فإنه جعلها أيضا وسيلةً لادراك ماتلمسُهُ من خُشُونة أو نعومة ومن يُبْسٍ أو رُطُوبَةٍ، ومن حرارة أو برودة... الخ .

ثمّ حصَّن أطْرَافَهَا بالأظافِر تلطيفًا لما يصيبُها عند ارتِطامِهَا بما يُؤْلِمُ، وجعل الآظافِرَ متجددة ليخلف اللاَّحِقُ ماعسى أن يتلف من السابق.

وأعجب العجاب هو ماخصّ الله به كلّ بنان من البصمات بحيث لا تلتبس بصمات

بنان الإنسان أبداً لا ببصمات أبيه ولا أمه ولا إخوته ولا جميع البشر.

وكم في هذه الحكمة الإلهية من منافع بشريةٍ. ومن أعظمِهَا أن يقعَ التثبّتُ بواسطتها من شخصية الانسان حتى لايقع الناسُ في حيْرَة من أمرهم في ما إذا هم لم يعتبروها. وصدق الله القائل (**أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ(3)بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ(4)**) القيامة.

ومن عجائب الرِّجلين :

إنّ الله تعالى ماخلق رِجْلَ الإنسانِ مُستديرةً كأخْفافِ الإبلِ، وأظلافِ البقر، وحوافر الخيل.

فلو كانت مستديرةً لكان الإنسان لايمشي إلا على أربَع، لأن الله خلقه مُنتصِبَ القامةِ، فكان بانتصاب قامته يمتاز عن سائر المخلوقات التي تَعْمُرُ الأرض، ولهذا يستحيلُ على الإنسان أن يمشي برجلَيْنِ مُستديرتين وهو مُنْتَصِبُ القامة.

ومن أجلِ تكَامُل التنسيق بين قامته ورجليه خلق الله رِجْلَ الإنسان مُسْتَطِيلَةَ الشكل، ومع هذا الشكل المناسب لقامته جعلها الله تمتد إلى جهة الأمام، لا إلى الخَلْفِ، ولا إلى الجانب الأيمن، ولا إلى الأيسر، ولو كان الوضعُ كذلك لما تيسَّر للانسان أن يمشيَ بيُسْرٍ وسُهُولَةٍ مثلما عليه حاله التي أكرمه بها الله.

ولقد جعل اللهُ لكلّ رجْل أصابع، لتقوم بالمساعدة على حِفْظِ تَوازُنِ الجسم المنتصب القامة عندما تدْعُو الحاجةُ إلى المَيلان إلى الأمام أو إلى أحد الجانبين.

ثمّ إنّ طولَ تلك الأصابع كان هو الطُّولَ المناسَب لتلك المهمةِ، فهي لم تزد في طُولها حتى تكون مثل أصابع اليدين، كما أنها لم تكن أقصر من القَدْرِ الذي خلقها الله عليه، وإلا لمَا استقام سيْرُ الإنسان في كلتا الحالتين، فسبحان الله الذي خلق فسوَّى (**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**) الفرقان -2.

أرأيت أنّ المؤمنين بالبعث نقلا وعقلا قد جَمَعُوا بين ماتَلَقَّوْهُ عن غيرهم، وبين مالَمَسُوهُ في أنفسهم بأنفُسهم؟

أرأيت كم وَجَدُوا في أجسامهم من آياتٍ؟ وما أفْصَحَهَا من آياتٍ تعبِّرُ عن عظمةِ الخالق الحكيم.

أفيكون المتَّصِفُ بالحكمةِ البالغةِ في كل شيء، لا تقتضي حكمته أن يقتصّ من الجبابرة ولا من الظالمين، بعد خروجهم من الدينا بدون عِقاب؟

أفيكون المُتَّصِفُ بالحكمة البالغة لايُجازي المُحْسنينَ في الدنيا إذا ماتوا و لم ينالوا الجزاء المناسبَ لاعمالهم الصالحة؟

إنَّ ماتقتضيه عظمةُ الحكمة الإلهية هو ان يبعثَ اللهُ العِبادَ بـــعد مَوتِهِم (**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**) النجم-30.

ولله الحُجَّةُ البـــالغةُ على بَعثهم، أفلم يَقُل اللهُ سبحـــانه: (**أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى(36)أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى(37)ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى(38)فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى(39)أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى(40)**) القيامة.

ثمّ أرأيتَ أنَّ ا المؤمنين بالبعث نقلاً وعقلا كيف يرسخُ الايمانُ به في أعماقِهِمْ رُســوخَ الجبال، فيكونُون مِنْ أقْوَى المؤمنين إيمانا، ومن أكثَرِهِم استقامةً، ومِنْ أشدِّهِمْ خوفًا من اليومِ الذي سَيُبْعَثُونَ فيه مَعَ كافةِ الخَلْقِ للحِسَابِ والجزاء.

وإنَّكَ لترَى هَؤُلاءِ في جميع تصرُّفاتهـــم يحـــذَرُونَ الآخِرَةَ (**وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**) الإنسان -7، إنه يومُ القيامة ياأخي.

يـوم القيـامة

يقـــول الله تعالى: (**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثًا**(87)النساء.

ويقـــول : (**أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ(4)لِيَوْمٍ عَظِيمٍ(5)يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(6)**المطففين.

إنَّ يوْمَ القِيَامَةِ – كما وصفه الله في القـــرآن – هو يوم عظيمٌ يقـــومُ الناسُ فيه لرب العالمين، ويعْتَريهم هوْلٌ من الحَيْرة والذُّهُول، بحيثُ (**تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى الـــنَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ الـــلَّهِ شَدِيدٌ(2)**)الحج، – (**ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ(103)**)هود، يومئـــذ (**يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ(34)وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ(35)وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيـــهِ(36)لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيـــــــهِ(37)وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ(38)ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ(39)وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ(40)تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ(41)أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ(42)**). عبس، (**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ(37)**)مريم.

وفي ذلك اليوم يخاطِبُ الله كفرةَ الإنس والجنِّ بقـــوله : (**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءاياتِي وَيُنـــذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا؟ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ(130)**)الأنعام.

(**فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ(9)عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ(10)**)المدثر، (**يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ(11)وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ(12)وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيـــهِ(13)وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيـــعًا ثُمَّ يُنجِيـــهِ(14) كَلا إِنَّهَا لَظَى(15)نَزَّاعَةً لِلـــــشَّوَى(16)تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى(17)وَجَمَعَ فَأَوْعَى(18)**) المعارج.

حاشا الذين سبقت لهم من الله الحُسْنى، فأولئك قد قـــال الله في شـــأنهم: (**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ(101)لا يَسْمَعُونَ حَسِيـــــــسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنـــفُسُهُمْ خَالِدُونَ(102) لا يَحْزُنُهُمْ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمْ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**) الأنبياء.

(يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ(21)خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ(22)) التوبة.

(فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17)) السجدة.

2) الكافرون بالبعث :

وأما المنكرون للبعث فقد اعتقدوا أنْ لاحياة بعد هذه الحياة، **(وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ(29))** الأنعام .

(وقالُوا ما هي إلا حياتُنا الدُنيَا نموتُ ونَحيا وما يُهْلِكُنا إلاَّ الدَّهر وما لهم بذلك من علمٍ إنْ هُم إلاَّ يظنُّون(29)) الجاثية.

وقد استدلوا عن إنكارهم للبعث بأمرين :

الأمر الأول :

هو أنهم رأوا الجسم الإنساني يتحلل بعد الموت، فيصير ترابا، فقالوا: كيف ينشأ الجسم من جديد بعد أن صار ترابا وامتزج بالتراب؟

ولقد تكرر منهم هذا الاستدلال في صيغ متعددة أعربوا فيها عن عدم إيمانهم بالبعث **(وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا(49))** الإسراء.

(وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) السجدة-10.

(بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ(81)قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (82)لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ(83))المؤمنون.

(بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ(2)أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ(3)) ق.

وكما تكرر استدلالهم على إستبعاد بعث الناس بعد موتهم تكررت مُحَاجَّةُ الله لهم في القرآن، فقد نبههم الله إلى أن يقيسوا ماغاب عنهم على ما هو حاضر لديهم، سواء في ذلك مايبصرونه في ذواتهم، ومايبصرونه في غيرها من الكائنات، لأنهم إذا أبصروها بتأمل وتدبر أدركوا أن المتصرف بعظيم قدرته في مايرونه في الدنيا، هو المتصرف بعظيم قدرته في ما سوف يرونه في الآخرة ، فقال : **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا**

نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنـــزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيـــجٍ(5) ذَلِكَ بِأَنَّ الـــلَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(6)وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ الـــلَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ(7)) الحج .

وقال سبحانه : (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ) فاطر – 9.

وقال تعالى : (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ(48)وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ(49)فَانـــــظُرْ إِلَى أَثَرِ رَحْمَـــةِ الـــــلَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(50)) الروم.

وقال : (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(57)) الاعراف .

وقال : (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ(6) وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيـــجٍ(7)تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ(8)وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ(9)وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ(10)رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ(11)) ق .

وقال : (أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ(77)وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ(78)قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيـــــمٌ(79)الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الـــــشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ(80)أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ الـــسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ(81)إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(82)فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(83)) يس .

الأمر الثاني :

أمَّا الأمر الثاني من أدلتهم على إنكارهم للبعث فهو أهم اشترطوا أن يَقَعَ إحياء الموتى من آبائهم لكي يروهم أحياء عيانا، وعندئذ يؤمنون بأن هنالك حياة بعد الموت، أما إذا لم يروهم- في هذه الدنيا- أحياء بعد موهم فذلك دليل على أن لا حياة بعد هذه الحياة.

وقد نقل القرآن حجتَهُمْ هذه في قول الله تعالى: (**وإذا تُتْلَى عليهم ءاياتنا بيِّنات مَّا كان حُجَّتَهَم إلاَّ أنْ قالوا ائْتُوا بآبَائِنَا إنْ كُنْتُمْ صَادقِينَ(25)قُلِ اللهُ يُحْيِيكم ثم يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُم إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ(26)**) الجاثية .

الإيمان بالبعث واجب

لقد دعا الله سُبحانه إلى الإيمان بالغيب، وأنزل القرآن هُدًى وبشرى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب، فقال : (**الم(1)ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ(2)الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(3)وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ(4)أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(5)**) البقرة.

كما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أنه لما سئل عن الإيمان قال في جوابه للسائل : (**أنْ تُؤْمِنَ بالله، وملائكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُله ، واليَوم الآخر**).

وفي الدعاء الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن ثابت رضي الله عنه وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم، جاء فيه قوله : (**اللّهمَّ فَاطِرَ السّموات والأرض،عَالِمَ الغيب والشَّهادَة، ذا الجلال والإكرام، إنِّي أعهدُ إليْكَ في هذه الحياة الدنيا، وأُشْهِدُكَ وكَفَى بكَ شهيدا، أَنّي أشهد أَنْ لا إله إلا أنتَ وحدَكَ لاَشَريكَ لَك، لك المُلْكُ ولكَ الحمدُ، وأنْتَ على كل شيء قديرْ، وأشهد أنَّ محمدا عبْدُكَ ورسولُكَ، وأشهد أنَّ وَعْدَكَ حقّ، ولقاءكَ حقّ، والجنةَ حقّ، والنارَ حقٌّ، والساعة آتيةَ لاريْبَ فيها، وأنك تبعثُ من في القبور**).

فتبين أن بعث الناس يوم القيامة هو من الدعائم التي يقُومُ عليها الإيمان بالغيب.

ولما كان البعث من مقوّمات الإيمان بالغيب كان التصديق به واجبا، وصار إنكاره موجبا لأنواع من العقاب، وهي المبينة في قول الله (**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**

وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا(9)وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا(10)) الإسراء .

وفي قوله : (**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ(14)فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ(15) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ(16)**) الروم .

وفي قوله : (**وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا(97)ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا(98)**) الإسراء .

علامات المنكرين للبعث

المنكرون للبعث لهم صفاتٌ تميزهم عن غيرهم، وتصرُفاتٌ تَبْعُدُ بهم كل البعد عن تصرفات أهل الإيمان، وتتناقض معها كل التناقض.

فمن علاماهم أهم لايستبشرون بذكر الله تعالى، وإنما ينقبضون من ذكره كلما سَمِعُوا أحدا يذكر الله ويعظّمه بما يجب له من توحيد وإجلال وخضوع مُطلق.

ولكنهم يستبشرون كلما سمعوا أحدا يصف غير الله بالكمال المُطلق، ويبتهجون بالتماس رضاه.

ولقد قال العليم بشأهم سبحانه: (**وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ(45)**) الزمر .

ومن علاماهم أهم يتّبعون السُّبُل المتفرقة، ويجتنبون صراط الله الذي أمر باتباعه إذ قال: (**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ (153)**) الأنعام.

وهذه العلامة أيضا بَيَّنَهَا الخالق في قوله : (**وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(73)**) وفي قوله (**وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ(74)**) المؤمنون.

ومن علاماهم أهم لايشعرون بالعقاب المُعَجَّل لهم في الدنيا، من حيث إنَّ الأعمال

السيئة التي تَنْبُعُ من ضلالهم يرونها أعمالا حسنة، وهم لايفقهون، ألم يقل الله في بيان ماأصابهم: (**إنَّ الَّذِيــنَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَة زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ(4)أُولَئِكَ الَّذِيــنَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمْ الأَخْسَرُونَ(5)**) النمل.

3) المتشككون في البعث :

المتشككون في البعث لايَقِلُّ ضلالهم عن ضلال المنكرين له، فهؤلاء وأولئك سواء من حيث إنهم جميعا يُعْوِزُهم الجزم الراسخ بالبعث.

على أن من المتشككين من يتبجَّحون – في استكبار واستهزاء – بأنهم لايعلمون شيئا اسمه الساعة، فسجل الله عليهم أعمالهم وأقوالهم، وبيّنَ في القرآن ماصدر عنهم هنا، كما بين ماسيصيبهم هنالك فقال تعالى : (**هذا كِتَابُنَا ينْطِقُ عليكُم بــالحقِّ إنَّا كُنَّا نسْتَنْسِخُ ما كُنتم تَعْمَلُون (29)فأمَّا الذينَ آمنوا وعمِلوا الصَّالحات فيُدخِلُهُم ربُّهُم في رحْمَته ذلكَ هو الفوزُ المُبِينُ(30)وأمَّا الذين كفروا أفلمْ تكُن ءاياتِي تُتلى عليكم فاســتكبرتُم وكنتم قــوماً مجرمينَ(31)وإذا قيل إنَّ وعد الله حقٌّ والساعةُ لا ريبَ فيها قُلتُم مَّا نَدْري ما السَّاعةُ إن نَّظُنُّ إلاَّ ظنًّا وما نحْنُ بِمُستيْقنين(32)وبــدا لهم ســيئاتُ ما عمِلُوا وحَاقَ بِهم ما كانوا بــه يسْتَهْزِءُونَ(33)**) الجاثية .

4) من لايعرفون عن الآخرة شيئا :

من الناس من لايعرفون أيَّ شيء عن الآخرة، وقد لاتَخْطُرُ لهم الآخرة على بال، ذلك لأنّهم لم تبلغهم دعوة أيِّ رسول من رسل الله.

إمّا لأنهم حمقى لايعقلون ماأرسل الله به الرسل، إذ الأحمق ليس له مَايُمَكِّنُهُ من معرفة الرسول، ولا من إدراك ما يدعو إليه تمام الإدراك.

وإمّا لأنهم عندما بعث الله فيهم رسولا كانوا من الطاعنين في الســنّ إلى حــد أنّهم لايفقهون ماجاء به الرسول يومئذ.

وإمّا لأنهم كانوا من الصم – طول حياتهم – فلم يســمعوا عن الآخرة شــيئا، لا ممّن يؤمنون بالبعث، ولا ممّن ينكرونه.

وإمّا لبعدهم عن دعوة الرسل، بُعدا بالزمان أو بُعدا بالمكان.

وهؤلاء الأصناف الأربعة لهم مشهد خاص بهم في الآخرة، وسيأتي بيانه إن شـــاء الله عند استعراض مشاهد القيامة(1).

نهاية الدنيا وبداية الآخرة

ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وســـلم أنّه تحدث عما يكون عند نهاية الدنيا، وعند بداية الآخرة.

وممّا ثبت عنه في هذين الأمرين مارواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم ذكر خُرُوجَ الدّجال في الأمة، وأنّ الله سيسلّط عليه عيسى بن مريم فيطلبه فيهلكه، ثم قال عليه الصلاة والسلام: (**ثم يَمْكُثُ النَّاسُ سبعَ سنين ليس بين اثنين عداوةٌ، ثم يُرسلِ الله عزّ وجلّ ريحا باردة مِنْ قِبَلِ الشمال، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقَالُ ذرّة من خَيْر أو إيمان إلا قَبَضَتْهُ، حـــتى إن أحـــدهم لو دخل في كَبد جبـــل لدخلت عليه حتىّ قَبضَتْهُ، فيبقـــى شِرار الناس في خِفّةِ الطّير، وأحْلاَمِ السبـــاع لايعرفون معروفا ولايُنْكِرُون مُنكرًا، فيتمثل لهم الشيطانُ، فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقـــولون : فما تأمرنا؟ فيأمُرُهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دَارَّةٌ أرزاقهم، حَسَنٌ عيشـــهم، ثم يُنفَخُ في الصُّور، فلا يسمعه أحد إلاّ صغى،وأول من يسمعه رجل يَلُوطُ حوضه فَيَصْعَقُ، ثم لايبقى أحد إلاَ صَعِقَ، ثم يرسل الله مطرًا كأنّه الطلّ فتنبت منه أجســـادُ الناس، ثم يُنفخُ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال : (ياأيها الناس هَلُمُّوا إلى ربكم...)**.

وروى كل من البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بين النفختين أربعون) قالوا ياأبا هريرة أربعون يوما؟ قال أَبَيْتُ، قالوا أربعون شهرا؟ قال أبيت، قالوا أربعون عاما؟ قال أبيت) ثم يُنْـــــزِلُ الله من السماء ماء فَيَنْبُتُونَ، كما ينبت البقل، وليس من الإنسان شـــيءٌ إلاّ يَبْلى إلاّ عظَمٌ واحِدٌ، وهو عَجْبُ الذَنَبِ، ومنه يُرَكّبُ الخَلْقُ يوم القيامة)**.

---

1) انظر صفحة **104**

ماهو معنى الصور ؟

روى أبو داوود والترمذي والنَّسائي والحاكم وابن حِبّان كلهم جميعا عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال : جاء أعرابي إلى النبيء صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ماالصور؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (**قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه**)

وأورد السيوطي في الدر المنثور أن مُسدَّدًا وعبد بن حميد وابن المنذر رووا عن عبد الله ابن مسعود أنه قال : الصور كهيئة القرن يُنفخ فيه.

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قول الله تعالى : (**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ**(8)) المدثر، أنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم: (**كيفَ أَنْعَمُ وصاحِبُ القرن قدْ الْتَقَمَ القرْنَ، وحنى جبهتَهُ يستمِعُ متى يؤْمَرُ فينفخُ**) فقال أصحـــاب محمد صلى الله علية وسلم : كيف نقول؟ قال : (**قولوا حسْبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا**)

وقد روى الترمذي أيضا هذا الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ولقد تكرر ذكر الصور في القرآن مقترنا ببعض مايحدث من أمر الله عند النفخ فيه.

فمن ذلك قول الله تعالي: (**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ**(13)**وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً**(14)**فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ**(15)) الحاقة .

وقـــوله تعالى : (**قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**(73)) الأنعام .

وقوله (**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ**(20)) ق.

وقوله (**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ**(87)) النمل .

وقوله :(**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**(68)) الزمر.

وقوله :(**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ**(51)) يس.

وقوله: (**يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا**(18)) النبأ.

وقوله : (**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا**(99)) الكهف.

وقـــــوله: (**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ(101)**) المؤمنون.

كم من مرة يقع النفخ في الصور؟

لقد مرَّ في الحديث الذي رواه كل من البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النفخ في الصور يقـــــع مرتين، وإلى هذا العدد ذهب أكثر أهل العلم، وذكروا ان المرة الأولى يَصْعَقُ منها جميع الناس، وهي التي وقعت الإشارة إليها في قول الله تعالى: (**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ(48)مَا يَنظُرُونَ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ(49)فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ(50)**) يس.

أما النفخة الثانية فيبعث الناس عندها من قبورهم، وهي التي وقع بيانها بقوله (**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ(51)**) يس.

ولقـــد نبّه القـــرآن إليهما معا في قـــول الله تعالى : (**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ(6)تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ(7)**) النازعات.

وفي تفســـير قـــول الله تعالى : (**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ(68)**)،الزمر - روى ابـــــن جرير عن عكرمة أنه قال : الأولى من الدنيا، والأخيرة من الآخرة.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن النفخات ثلاث، وهي : نفخة الصعق، ونفخة البعث، ونفخة الفَزَعِ، وذكر أنّ نفخة الفزع تكون للاعلان عن تعظيم جلال الله، عندمـــا يتجلـــى سبحانه للفصل بين الخلائق، وهي التي وقعت الإشارة إليها في قـــوله تعالى : (**كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا(21)وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا(22)وَجَاىءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى(23)يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي(24)**) الفجر.

فمن مَهَابَةِ جلال المشهد الذي لم يعهد البشر مثله، ومن عظمة مايفيضه على ذلك من خوف ورهبة، ومن سماع المخلوقات إلى النفخة تنبههم إلىأنّهم وقتئذ في يوم الدين، فَمِنْ كلّ هذا وذاك يفزع كل من في السموات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله، إذ إن هؤلاء(**لا يَحْزُنُهُمْ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمْ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ(103)**)الأنبياء.

فعلى هذا القول تكون النفخات ثلاثا، ولكن المشهور بـــين أهل العلم أنّهما نفختان، والله أعلم.

كم بين النفختين من الزمان؟

لقد مر في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الزمن الفاصل بين النفختين أربعون، ولكنه عندما سئل أهو أربعون يوما أو شهرا أو سنة أبى أن يعين المراد من الأربعين كما جاء في صحيحي البخاري ومسلم.

وفي إحدى الروايات أن الزّمن الفاصل بين النفختين هو أربعون عاما، وهذه الرواية أخرجها أبو داوود في البعث عن أبي هريرة.

ونقل القرطبي في التذكرة أن الحليمي قال : اتفقت الروايات على أن بين النفختين أربعين سنة(1) .

ولكن ابن جرير روى عن قتادة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(بين النفختين أربعون) وقال أصحابه : فما سألناه عن ذلك ومازاد، غير أنّهم يرون من رأيهم أنها أربعون سنة.

من الذي ينفخ في الصور ؟

أجمع علماء الأمة على أن الذي ينفخ في الصور هو الملك إسرافيل عليه السلام، وقد وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه صاحب القرن في قوله (**كيف أَنْعَمُ وصاحب القرن قد التقم القرن**)؟

وقد ورد ذكر اسمه في حديث رواه الطبري في تفسيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال (... ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق...).

في أي يوم من أيام الأسبوع تقع نفخة الصَّعْقِ؟

روى الإمام أحمد وابن حِبّان وابن خُزيمَة والحاكم عن أوس بن أوس أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**إنَّ من أفضل أيامكم يَوْمَ الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه قُبض، وفيه نفخة الصور، وفيه الصعقة**).

---

1) **الصحيح من التذكر ص 150**

كيف يبعثُ الخلق بعد موهم؟

أحوال البعث ومابعده عجيبة، إذ هي ليست مما يعرفه الناس في هذه الحياة، حتى أن من الناس من لايستطيعون أن يتصوروها في أذْهَانهم مجرد تصور، ولقد قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: (**إن في طبع الآدمي إنكارَ مالم يأنس به ولَم يشاهده، ولو لم يشاهد الإنســـان الحية وهي تمشي على بطنها من غير رِجْل، لأنكر أن يقع المشي على البطن، والمشيُ بـــالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك. ثم قـــال: فإياك أن تنكر شـــيئا من عجائب يوم القـــيامة لمخالفتها قياس الدنيا، فإنك لو لم تشاهد عجائب الدنيا ثم عُرِضَتْ عليك قبل المشـــاهدة لكنت أشد إنكارا لها.**

فَأَحْضِرْ – رحمك الله – في قلبك صورتك، وأنت قد وقفت عاريا ذليلا مدحـــورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء).

في البعث يجمع الله كل متفرق

نقل القرطبي في التذكرة عن الحليمي أنه قال : يجمع الله ماتفرق من أجساد الناس، من بطون السباع وحيوانات الماء وبطن الأرض، وماأَصَابَتْ النيران منها بالحرق، والمياه بالغرق، وماأبلته الشمس، وذرته الرياح فإذا جمعها وأكمل كل بدن منها، و لم يبق لها إلا الأرواح، جمع الأرواح في الصُّور وأمر إسرافيلَ عليه السلام فأرسلها بنفخةٍ من ثُقَبِ الصُّورِ، فرجع كل روح إلى جسده بإذن الله تعالى.

مشهد خروج الخلق من القبور

يقـــــول الله تعالى : (**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا(17)ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا(18)**) نوح.

إذا رجعت الأرواح إلى الأجساد بـــأمر الله تعالى، ونُفِخَ في الصور نفخة البـــعث فإن القبور تنشق عنِ الخلق فيرفعون رؤوسهم ويخرجون من مقابـــرهم وهم في أكفاهم التي دُفِنُوا فيها حيث تَعُودُ إليهم كما عادت إليهم أجسادهم، روى أبو داوود في ســـننه عن أبي ســـعيد الخُدري رضي الله عنه أنّه لما حضرته الوفاة دعا بثياب جُـــدُدٍ فلبسها وقال سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول : (**إنّ الميت يُبعَثُ في ثِيابِهِ التي دُفِنَ فيها**(1)) .

إنّ أول من ينشق عنه القبر، وأوّل من يرفع رأسه عند البعث هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيئ صلى الله عليه وسلم قال: (**أنا سَيّدُ وَلَدِ آدمَ يومَ القيامةِ، وأوّلُ من ينشقُّ عنه القبْرُ، وأوّلُ شافعٍ ومُشَفَّعٍ**).

كما روى البخاري عن أبي هريرة أيضا أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**إنّي أوّلُ مَنْ يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلّقٌ بالعرش فلا أدري أكذلك كان، أم بعد النفخة**).

وروى كل من البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال : بينما يهوديٌّ يعرِض سِلعته، أُعْطِيَ بها شيئا كرِهَهُ، فقال لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار، فقام فَلَطَمَ وجهَه وقال : تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبيء صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا؟

فذهب إلى النبيء صلى الله عليه وسلم فقال: أبا القاسم إن لي ذمةً وعهدًا، فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال لِمَ لطمت وجهه؟ فذكره، فَغَضِبَ النبيء صلى الله عليه وسلم حتى رُؤِيَ في وجهه ثم قال : (**لاتُفَضِّلُوا بين أنبياء الله، فإنّه يُنْفَخُ في الصّور فيصْعَقُ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم يُنفخُ فيه أخرى، فأكونُ أوّلَ مَنْ بُعِثَ، فإذا موسى آخذٌ بالعرش، فلا أدري أحُوسِبَ بِصَعْقَةِ يومِ الطُّورِ أمْ بُعِثَ قَبلي**).

---

1) سيأتي أن تلك الثياب لا تبقى عليهم، بل تسقط عنهم عند تسارعهم إلى أرض المحشر، فيكونون هنالك حُفَاةً عُرَاةً.
انظر الصفحة التالية رقم 26

الحشر

الحشر هو سَوْقُ المبعوثين بعد الموت إلى أرض المحشر لفصل القضاء بين جميع الخلق، وذلك عند خروج الناس من مواضع دفنهم في الأرض كما قال الله تعالى: (**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**(55)) طه. وكما قال: (**إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءامنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ**(4)) يونس.

فلقد قضى الله أنه سوف يجمع الناس ليوم لاريب فيه، فيحشرهم جميعا حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً.

روى كل من البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عيله وسلم: (**تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً**)، فقلت يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (**الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أنْ يُهِمَّهُمْ ذاك**).

كما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قام فينا النبيء صلى الله عليه وسلم يخطب فقال :(**إِنَّكُم محشُورون حُفَاةً عُراةً غُرْلاً، كما بدَأْنا أوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ**).

فإذا خرج الناس من مدافنهم وحشرهم الله حفاة عراة غرلا كانوا في كثرهم كما وصفهم الله بقوله:(**يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ**(4)) القارعة.

وبقوله : (**يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاث كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ**(7)) القمر، وبقوله (**يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ**(6)) الزلزلة.

ياله من مشهد مَهُولٍ، قد اجتمع فيه من أعداد البشر مايفوق عدد الرمل والحصى والتراب.

حقا إنه لمشهد لايتسع الخيال إلى تصور مَدَاهُ، وتَصَوَّرْ ياأخي موقعك أنت حين تكون في خضم هذا المشهد الرهيب العجيب.

أفيظنّ أحد أنه سوف يغيب عن هذا المشهد ولن يحضره؟ لا ياأخي، ألم يقل الله سبحانه: (**هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ**(38) **فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ**(39)) المرسلات.

فليحاسب الإنسان نفسه على ماأعدَّ لهذا المشهد ولما بعده.

ماهي أرض المحشر ؟

روى البخاري عن سَهْل بن سَعْد أنه قال: سمعت النبيء صلى الله عليه وسلّم يقـــول: (**يُحْشَرُ النّاسُ يوم القيامة على أرض بَيْضاءَ عَفْراءَ كَقُرْصَةِ النّقِيّ، ليس فيها مَعْلَمٌ لأحدٍ**)، وفي رواية لمسلم (**ليس فيها عَلَمٌ لأحدٍ**) (1) .

وفي تفسير قول الله تعالى : (**يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ**) إبراهيم -48.

رُوِيَ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنها أرض بيضاء كأنها فضةٌ، لم يُسْفَكْ فيها دمٌ حَرَامٌ، و لم تُعْمَل عليها خطيئةٌ.

قيام الناس لرب العالمين

في تلك الأرض التي لايعلم مدى سَعَتِهَا إلاّ الله يجمع الله الناس، فيقـــومون فيها لله رب العالمين، محشورين جميعا كما قال سبحانه (**وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**(47)) الكهف، لاصغيرا ولاكبيرا، لاغنيا ولافقيرا، لا مأمورا ولا أمِيرًا، (**وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ**(2) (87)) النمل، ينتظرون فصل القضاء.

فورب الســـــماء والأرض (**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا**(93)**لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا**(94)**وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**(95)) مـــريم، فـــلا أعوان، ولاخدم، ولاممتلكات، ولامعرفة لمقدار الزمن المحدد لحسابـــه من يوم (**كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**(4)) المعارج.

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وســـلم : (**كَيْفَ بـــكُمْ إذَا جَمَعَكُمْ اللهُ كما يُجْمَعُ النبْلُ في الكِنَانَةِ** (3) **خمسين ألفَ سنةٍ لايَنْظُرُ إليكم**(4)).

---

1) العفراء هي التي تكون شديدة البياض مع حمرة خفيفة
وقرصة النقي هي الخبزة المصنوعة من الدقيق الخالص من أي أثر للنخالة.

ن، ولابناء ولا أثر، ولاشيء

وماذا عسى أن تكون توقعات الإنسان في موقف لم يشـــهد له مثيلا، و لم يكن خياله ليسمح له بتصوره على حقيقته من قبـــل؟ أليس ينتظر الحُكْمَ على مصيره الأبـــدي في ذلك المشهد الغريب؟

حقا إنه لمشهدٌ عظيمٌ، وموقفٌ مُفْعَمٌ بالخوف، وبمزيج من الحَيْرَة والاضطراب، (**يَقُولُ الإنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ(10) كَلا لا وَزَرَ(1)(11)إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ(12)يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ(13)**) القـــيامة، (**يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى(23) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي(24)**) الفجر.

وحسبنا أن نستعرض بعض الأحداثَ التي وَرَدَت عن الله ورسوله من مشـــاهد هذا اليوم العظيم.

المشهد العام في الموقف

من المستحيل أن نتصور ذلك المشـــهد العظيم على حقيقـــته، لأن عقـــولنا هي الآن محصورة في مشاهد الدنيا، لذلك كانت عاجزة عن تصور مشـــاهد الآخرة، لأنها لم تَأْلفْ لها مثيلا.

غير أننا بما ورد عن الله ورسوله في شأن اليوم الآخر نستطيع أن نتصور القليل من أمره بعض التصور، وعلى نِسَبٍ متفاوتة بيننا في هذا التصور المحدود.

لقد ورد أن الناس في هذا اليوم العظيم يَمْثُلونَ قياما لله كما قال سبحـــانه: (**أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ(4)لِيَوْمٍ عَظِيـــمٍ(5)يَوْمَ يَقُومُ الـــنَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(6)**) المطففـــين، والشمس تَدْنُو من رؤوس العباد، ويتضاعف حرُّها فتصهرهم، وَيَعْرَقُونَ عَرَقًا شديدا على قدْرِ أعمالهم في الدنيا، حتى يذهبَ عرقهم في الأرض سبعين ذراعا.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال : (**يَعْرَقُ النّاسُ يوم القيامة حتى يذهبَ عَرَقُهُمْ في الأرض سبعين ذراعا ويُلجِمُهمْ حـــتَّى يَبْلُغَ آذانَهمْ**)

---

1) الوزر : المكان الذي يلتجيء إليه الخائف.

وروى ابن أبي شيبة عن سلمان رضي الله عنه أنه قال : (**تُعْطَى الشمسُ يوم القيامة حرَّ عشرِ سنين، ثم تُدْنَى من جَمَاجِم النّاس حتى تكونَ قابَ قوسين، قال فيَعْرَقُون حتى يرشَحَ العرقُ في الأرضِ قامةً، ثم يرتفعُ حتى يُغَرْغِرَ الرجل، قال سلمان حتى يقول الرّجل غرْغرْ**).

وروى أحمد والترمذي عن المقداد رضي الله عنه أنه قال سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**إذا كان يوم القيامة أُدْنِيَت الشّمسُ، منَ العباد، حتّى تكون قِيدَ مِيلٍ أو إثنين – قال سليم(1) : لا أدري أي الميلين عَنَى، أمسافة الأرض أو الميل الذي نكتحلِ به العين؟ قال فَتَصْهَرَهُمُ الشمسُ، فيكونون في العرَق بقدر أعمالهم، فمنهم من يأْخُذُه إلى عَقِبَيْهِ، ومنهم من يأْخذُه إلى رُكبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حَقْوَيْهِ، ومنهم منْ يُلجمْه إلجاما، قال المقدادُ: فرأيتُ رسول الله من صلّى الله عليه وسلم يُشير بيده إلى فيه، أي يُلجمه إلجامًا**).

إنّ عَرَق الناس يوم القيامة قد ورد ذكْرُه في أحاديث كثيرة، وقد اتفقت تلك الأحاديث على مايعتري الخلقَ هنالك مِن عرقٍ مَهُولٍ، ولكنها قد تختلف في القليل من صفات أحواله.

وهل العرقُ الذي يكتنفُ الإنسانَ يومئذ هو عَرَقُ ذاتِه نفسها، أو هو عرق مَنْ يحيطون به في الموقف؟ كِلاَ الأمرين يَحْتَمِلُهُمَا الحديث، لكنَّ رِوَايَةً لابن حِبَّان في صحيحه تدلُّ على أن العرق المُلْجمَ للأفواه هو عرقُ الإنسان نفسهِ، حيث روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّ النبيءِ صلىَ الله عليه وسلم قال:(**إنَّ الكافِرَ لَيُلْجَمُ بعَرَقِهِ يوم القيامةِ من طُول ذلكَ اليوم، حتى يقول ياربِّ أَرِحْني ولو إلى النّار**).

على أنَّ مِنْ أهْلِ الموقف من نجّاهم الله من سَطْوَة الحرّ المُتَوَهِّج في ذلك اليوم، فكتب لهم السّلامةَ وَجَعَلَهُمْ في مأْمَنٍ منه، وهم الذين وفّقَهُمْ اللهُ في الدنيا فقاموا بأشياء معيَّنةٍ مِن صالح الأعمال، وهم فئاتٌ كثيرةٌ، منهم الذين تحدَّثَ عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: (**سَبعةٌ يُظِلّهُمُ اللهُ في ظِلّه (2) يوم لاظلَّ إلاّ ظِلُّه : إمامٌ عادلٌ، وشابٌّ نشأ في عبادة الله، ورجلٌ قلبُه مُعَلَّقٌ بالمَسْجدِ إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابَّا في الله، فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه، ورجلٌ ذكَر الله خاليا ففاضتْ عَيناه، ورجلٌ دَعَتْهُ إمرأةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجمال، فقال إنّي أخافُ الله ربّ العالمين، ورجلٌ تصدَّقَ بصدقة فأخفاها حتى لاتَعْلَمَ شِمالُهُ ماأنفقَت يمينُه**) (3).

---

1) سليم : هو الراوي لهذا الحديث عن المقداد

2) يعني في ظل عرشه، كما ورد ذلك في ماورواه الطبراني

3) رواه مالك في الموطإ وأحمد والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه كما رواه مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه.

فالإمامُ العادلُ هو وليُّ أمر المؤمنين، ولما كان عادلا بين رعيته العدل التامَّ بحيث يستظلُّ المظلومُ مِنهم بظِلِّ عدله، جَعَلَهُ اللهُ مِنَ المستظلين في الآخرة بظِلِّ عرشه، جزاءً وفاقًا.

والشابُّ الذي نشأ في عبادة الله كان لايستجيب لدَواعي الفِتَنِ، وإنّما كان مُلازما لطاعة الله رغم حِدَّة المَيْلِ للشَّهَوَات في هذه المرحلة من حياته.

ولما كان يُقَاوِمُ المَيْلَ الغريزيَّ للشَّهَوَات ويَصْبِرُ عند المقاومة، أكرمه الله تعالى فأظله بظلّ العرش، جزاءا لمقاومته لِحِدَّة الشهوات الآثمة .

أمّا الرّجلُ الذي قَلْبُهُ معلّقٌ بالمسجد - أو بالمساجد كما في إحدى الروايات - فقد كان حُبُّه للمسجد من جهة مايُفيضُ الله عليه مِن إشراق ومن نور فريدٍ ، في ذلك الموضع العزيز الفريد، ومن هنا كان قلبه شديدَ التَّعَلُّق بالمسجد، حتى إذا كان خارج المسجد بِبَدَنه فإنّه يكون في المسجد بقلبه، حتى يعودَ إليه، فيصيرَ فيه ببدنه وبقلبه.

فمن كثرة تردّده على المسجد، ومن طولِ ملازمته له أظلّه الله بظِلِّ عرشه.

والرجلان اللذان تحابّا في الله، إنّما كانت الرابطةُ الجامعةُ بينهما هي الحُبَّ الخَالِصَ الذي يحمل كلاًّ منهما على الإحسان لأخيه في غيبته وفي حُضُوره، وعلى مُقَابَلَتِهِ بكلّ مايستطيعْ من قولٍ حسنٍ وفعلٍ جميلٍ، وكان كلّ ذلك منهما ابتغاءً لوجه الله.

فلمّا دامت هذه الرابطةُ المتينة بينهما، وبذلا من جهودهما الكثيرَ في رعايتها، أنعمَ اللهُ عليهما فجازاهما بالاستظلال بظلّ عرشه.

وأمّا الرّجل الذي ذكرَ الله خاليًا ففاضت عيناهُ فهو الذي يكون في خَلْوَة مع الله بقلبه، ولو كان مع الناس ببدنه، فينفردُ بالحضور لدى الله حضورا وجدانيّا، وتَفِيضُ فيه عيناه بالدمع، إمّا لفرط الشعور بقُرْبِهِ، وإمّا شوقًا للقاء ربّه، وإمّا خوفًا من أن يؤاخِذَهُ بذنبه.

والرجل الذي دَعتْه إمرأةٌ إلى الحرام فأبى، هو رجلٌ قد ثَبَتَ أمَامَ عَديدِ المُغريات بالحرام، لأنّ المرأة التي دعته إلى اقتراف المعصيةِ ليستِ إمرأةً مثل جميع النساء، وإنّما هي ذاتُ حسب راق، وذاتُ جمال فائق، وذاتُ مركز اجتماعيٍّ مرموق، فلما هَاجَمته بجحافلها تلك، وجدتهُ في حِصْنٍ من إيمانه مَنيعٍ، ولذلك ارتدَّت مُنهزِمةً لمّا سَمِعَتْ صوتَ السِّلاحِ الذي شَهَرَهُ في وجهها، وهو قوله : **إنّي أخَافُ الله ربّ العالمين.**

ولما كانت هذه الدعوةُ مُفْعَمَةً بالمُغْرَيَاتِ التي تَهُزُّ الغرائزَ من أعْمَاقِهَا، فقد تَعَفَّفَ

وصَبَرَ على تحمُّلِ التِهَابَها وتَوَهُّجِ حراراتِها، لذلك كان جزاؤُه الوقـــاية من حــرِّ ذلك اليوم، والاسظلالَ بظلِّ العرش.

وأمّا المُتَصَدِّقُ المُبَالِغُ في إخْفَاء صدَقَته فقد غَالبَ الشَّهوةَ الطبــيعيَّة في الانســـان، من حيث إنّ النفس ميّالةٌ إلى التباهي بالفعل الجميل، ونشـــر خَبَره بـــين الناس، ولكنه قَمَع هذه الشهوةَ، فكان في مايَبْذُل من صدقات، قد أخْلَصَ عَمَلَهُ لله الذي هو بصدقَتِهِ عليمٌ، فأنعَمَ عَليه يومَ القيامة بظِلِّ العرش العظيم.

ولقــد نَظَمَ الشــيخُ الجَعْبَرِيُّ صفاتِ المُسْتَظِلِّينَ بـــظلِّ العرش حَسْبَ ما ورد في هذا الحديث قائلا.

وقـــال النبيءُ المصطفى إنَّ سَبْعَةً * يُظِلُّهُــمُ اللهُ العظيـــمُ بظِلِّـــهِ
مُحِبٌّ، عَفِيفٌ، نَـــاشِئٌ، مُتَصَدِّقٌ * وبَـــاكٍ، مُصَلٍّ، والإمَامُ بعَدْلِهِ

غير أنَّ أحاديثَ أُخْرَى وَرَدَتْ في بيان عَدَد آخرَ مِن المســتظلين في ذَلك اليوم زيادةً على السبعةِ المذكورين في هذا الحديث. فمِن تلك الأحـــاديث ما رواه الإمام أحمد في مُسْنَدِهِ عن رجل من الصحابة أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**ظِلُّ المؤمِن يومَ القيامةِ صدَقتهُ**).

ومنها مارواه أبـــو عبـــد الله الحاكم في تاريخه عن أبي هريرة عن النبيء صلى الله عليه وســـلم أنه قـــــال (**ثَلاَثَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ في ظلِّهِ** (1) **يومَ لاظِلَّ إلاّ ظِلُّه، التاجرُ الأمينُ، والإمامُ المُقْسِطُ**(2) **وراعِي الشمسِ بالنهارِ**(3)).

ومنها مارواه أبـــو الشـــيخ في الثواب عن جابر رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيه أَظَلَّهُ اللهُ تَحْتَ ظلِّ عرشـــه يوم لا ظلَّ إلاَّ ظِلُّه، الوضوءُ على المكَارِهِ** (4) **والمشيُ إلى المساجدِ في الظُّلمِ، وإطعامُ الجائع**).

ومنها مارواه الإمام مسلم عن أبي اليسر أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**من أنظر معسرًا** (5)**أو وضع عنه أظلّه الله في ظِلّهِ يوم لاظلّ إلاّ ظلّه**).

غير أن الشيخ عبد الرؤوف المُنَاوي قد نقَلَ عن ثَلاَثَةٍ من علماء الحديث أن المستظلّين بظِلّ العرش تُعَدُّ أصنَافُهُم بالعشَرات، ثمَّ قال ولكن أكثر الأحاديث الوارِدَة فيهم ضعيفةٌ، هذا ما قاله في شرحه للجامع الصغير.

---

1) يعني في ظل عرشه
2) المقسط : العادل
3) يعني المؤذن للصلاة، قال بعض العلماء إذا كان يؤذن محتسبا أجره على الله.
4) كالوضوء في شدة البرد.
5) المعسر : هو المدين الذي يشق عليه أداء الدين.

وعلى فرض التسليم بصحة بعضها، فللباحث أن يقول إن الحديث الصحيحَ الذي اتفق عليه الإمامان مالكٌ وأحمدُ، والشيخان البخاريُّ ومسلم قد عد سبعة فقط فلماذا خَصَّ أولئك السبعةَ بالذكر دون غَيْرِهِمْ؟

لعَلَّ تَخْصِيصَهُم بالذكر في هذا الحديث إنّما كان لإمْتِيَاز درجات هؤلاء عن درجات غيرهم من المستظلين الآخَرينَ، إذ إنَّ الناسَ في الآخرة يكونون على درجاتٍ مُتفاوتة كشأن الناس في الدنيا، (وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ، وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً(21)) الإسراء.

مشهد من لم يستظلوا بظل العرش

أمّا الجُمُوعُ الخارجةُ عن دائرة الظل فهي متراكمةٌ في مشهد مهول، ولايحيطُ بعدد تلك الجموع، ولابعدد ماتراكم فيها إلا الذي (أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا(94)) مريم.

وفي هذا المشهد العام المذهل (تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ (22)) الشورى، ويكون الخلق بمشيئة الله - منقسمين إلى قسمين اثنين تقسيما عامّا كما قال الله للرسول صلى الله عليه وسلم : (وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ(7)) الشورى.

(وترَى كلَّ أُمَّةٍ جاثيةً كلُّ أُمةٍ تُدعى إلى كتَابِهَا اليومَ تُجزَوْنَ ما كُنْتُم تَعْمَلُون(28) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُم بالحقِّ إنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (29)) الجاثية.

(وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ(49)سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ(50)لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ(51)) إبراهيم.

(وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ(44)وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) الشورى.

أعظم المشاهد في المحشر

المشاهدُ العامةُ لاتكاد تحصى، ومن أظهرها وأشدّها بروزا مشاهد أراد الله أن يكرم بها من شاء من عباده، فيراهم جميعُ أهل المحشر وهم مُكْرَمُونَ أعزَّ التكريم، ومَشَاهِدُ أراد اللهُ أن يُهينَ بها مَن شاء من الخلق، فيراهم جميعُ أهل المحشر وهم في هوانٍ شديد وعَرْضٍ فريد.

فمن مشاهد التكريم ماأعزَّ اللهُ به المؤمنين الصادقين حين يُبْعَثُون من قبــورهم ويأتون المحشَرَ، فإن لهم شعارًا خاصًا يمتازون به عمن ســواهم، وهو قــولهم لا إله إلا الله، وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

روى ابن مرْدَويْهِ في تفسيره بإسناد حسن عن عائشة رضي الله عنها أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**شِعَارُ المؤمنين يومَ يُبــعثُون مِنْ قُبُورهِم لا إله إلا اللهُ، وعلى اللهِ فَلْيَتَوَكّل المُؤْمِنُونَ**).

سبحــان الله العظيم، لقــد كان توكلهم في الدنيا على الله لا على ســواه، إذ كانوا يقــولون(**رَبَّنَا عَلَيْكَ توكَّلْنَا وإليك أَنَبْنَا وإليكَ المصيرُ**(4)) الممتحــنة، وهكذا أيضا يكون توكلهم على الله في الآخرة (**ومَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**(3)) الطلاق.

ومن مشاهد التكريم تقديم الله لمن شاء أن يَكْسُوَهُ قبل غيره من أهل المحشر. فلقد ثبت وَصَحَّ أن جميع أهل المحشر يكونون حفاة عراة غرلا،(1) ثمّ إنّ الله تعالى يَتَحَنَّنُ على من شاء من عباده فيكسوهم، وأول من يكسى يومئذ إبراهيم الخليل عليه السلام.

روى البزار عن عائشة رضي الله عنها أنّ النبيء صلّى الله عليه وسلم قــال : (**أوّلُ مَنْ يكْسَى مِنَ الخلاَئِق إبْراهيمُ عليه السلام**).

ويظهر ان هذه الكسوة من حلل الجنة مثل كسوة المصطفى عليه الصلاة والسلام، فقد روى الترمذي بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قــال: (**أَنَا أَوّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عنه الأرضُ، فَأُكْسَى حُلّةً مِنْ حُلَلِ الجنَّةِ، ثُمّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ، لَيْسَ أَحَدٌ منَ الخلْقِ يَقُومُ ذلكَ المَقَامَ غَيْرِي**).

وقد لاحظ الشيخ عبــد الرؤوف المناوي مايتراءى من تدافع بــين هذين الحديثين في تعيين من يكسوه الله الأول من الخلق، فقال ماملخصه : إنّ إبراهيم جُرِّدَ في ذات الله لمّاَ أُلْقِيَ في النار، فَجُوزِيَ بأنه أوّلُ مَنْ يُكسَى، ثم يكسى المصطفى صلى الله عليه وســلم حُلَّةً أعظمَ من كسوة إبْراهيم، لينجبر التأخير بنفاسة الكسوة.

ومن مشاهد التكريم أن المؤمنين من هذه الأمة يجعلهم الله يومئذ متميزين عن غيرهم، فيكونون غُرًّا محجلين دون سائر الأمم.

---

1) راجع صفحة **26**

روى الترمذي عن عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أُمَّتِي يومَ القيامةِ غُرٌّ مِنْ السجود، مُحَجَّلُونَ من الوضوء**).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أنتم الغُرُّ المُحَجَّلُونَ يوم القيامة مِنْ إسْبَاغِ الوُضُوءَ**).

ومن مشاهد التكريم لجميع الموحدين أن الله تعالى جعل لهم شعارا في ظلم يوم القيامة، وهو قولهم لا إله إلا أنت.

روى الشيرازي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (**أن شعار المؤمنين في ظلم القيامة لا إله إلا أنت**).

ومن مشاهد التكريم لهذه الأمة أن الله يبعث الجمعة منيرة لأهلها، فيحفون بها، ويمشون في ضوئها.

روى أبو عبد الله الحاكم والبيهقي في الشعب عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**إنَّ اللهَ يَبْعَثُ الأيامَ يوْمَ القِيامَةِ على هَيْئتِهَا، ويَبْعَثُ الجُمُعَةَ زَهْرَاءَ مُنيرَةً لأهْلِهَا، فَيَحُفُّونَ بِهَا كَالعَرُوس تُهْدَى إلى كَرِيمِهَا، تُضِيءُ لَهُمْ، يَمْشُونَ في ضَوْئِهَا**).

ومن مشاهد التكريم أن الله تعالى قد اختص المهاجرين بمنابر من ذهب يجلسون عليها، وهم في مأمن من الفزع الأكبر.

روى ابن حبان والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال:(**للمهاجرين مَنَابِرُ مِنْ ذهب يجلسون عليها يوم القِيامةِ، قد أَمِنُوا من الفَزَعِ الأكبر**).

ومن مشاهد التكريم أنّ الله تعالى أعدّ منابر من نور للمتحابين في الله.

روى الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبيء صلي الله عليه وسلم قال: (**قال الله تعالى: المُتَحَابُّونَ في جَلالِي، لَهمْ مَنَابِرُ من نور يَغْبِطُهمُ النبيئُونَ والشهداءُ**).

ولا يذهبن بك الظنّ إلى أن مقام المتحابين في الله أرفع وأعلى من مقام النبيئين والشهداء ، لأن هؤلاء يغبطونهم كما ورد في هذا الحديث.

والذي يدفع عنك هذا الظن هو مانقله الشيخ المناوي عن البيضاوي حيث قال : كل

مايتحلى به الإنسان ويتعاطاه من علم وعمل، فإنّ له عندَ الله منـــــزلة لايشاركه فيها من لم يتصف بها، وإن كان له نوع آخر ممّا هو أرفع قَدَرا، وأعزَّ ذخرا، فَيغْبطُهُ بأَنْ يتمنَّ ويحـــب أن يكون له مثل ذلك مضمومًا إلى ماله من المراتب الرفيعة، الشريفة، فذلك معنى قوله يغبـــطهم النبيئون، لأنّ الأنبياء قـــد استغرقـــوا في ماهو أعلى من ذلك من دعوة الخلق، وإظهار الحق، وإعلاء الدّين، وإرشــــاد العامة، وتكميل الخاصة، إلى غير ذلك من كليات تشـــــغلهم عن العكوف على مثل هذه الجزئيات.

والشهداء وإن نالوا مرتبة الشهادة لكنهم إذا رأوا في يوم القيامة منازلهم(1) وشاهدوا قربهم وكرامتهم عند الله وَدُّوا لو كانوا ضامين خصالهم إلى خصالهم، فيكونون جامعين بـــين الحسنين فَائِزينَ بالمرتبتين.

ومن مشاهد التزكية والتوقير لهذه الأمة أنّ الله تعالى قد جعلها يوم القـــيامة شـــاهدة مقبولة الشهادة، وذلك عندما تُنْكِرُ الأمم الأخرى أن الله أرسل إليهم رسله، فيستشـــهد بها الرسل– لعلمهم عليهم الصلاة والسلام أن القرآن أنبأ هذه الأمة بتفاصيل ماحدث بـــين تلك الأمم وبين المرسَلين إليهم– فإذا استُشْهِدَت الأمة فإنّها تشهد بـــأن رســـل الله قـــد جاءهم، وأبلغهتم مايريد الله منهم.

روي الإمام أحمد في مسند أبي ســـعيد الخدري رضي الله عنه أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**يُدْعَى نوحٌ يوم القيامة، فيقال له هَلْ بلّغْتَ؟ فيقول نعم، فَيُدْعَى قوْمُهُ، فيقال لهم هل بَلَّغَكُمْ ؟ فيقولون ماأَتَانَا مِن نَذِير، أو ما أتانا مِنْ أَحَدٍ، قال فيقـــال لنوحٍ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فيقـــول مُحَمَّدٌ وأُمَّتُهُ، قـــال فذلك قول الله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا(2) لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) البقرة–143، قـــال فَيُدْعَوْنَ فيشهدون له بالبلاغ، قال صلى الله عليه وسلم: ثمّ أشْهَدُ عليْكمْ**).

وروى البخاري عن أبي سعيد أيضا أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**يُدْعى نُوحٌ يوم القيامةِ، فيقول لَبّيْكَ وسَعْدَيْكَ يارب، فيقول هل بلّغْتَ؟ فيقول نعم، فيقال لأمته هل بلَّغَكُمْ؟ فيقولون ماأَتَانَا مِنْ نَذِير، فيقول مَنْ يَشْهَدُ لك؟ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وأُمَّتُهُ، فَيَشْهَدُونَ أنه قد بلَّغ، ويكونُ الرسول عليكم شـــهيدا، فذلكَ قـــوله جل ذكْرُهُ وكذلك جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**).

---

1) يعني منازل المتحابين في الله
2) الوسط العدل

ومن مشاهد التكريم لهذه الأمة انّ الله تعالى يدخل منها بفضله سبعين ألفا بغير حساب ولاعذاب، كما بشّر بذلك رسول الله صلىا لله عليه وسلم.

فقد روى كل من الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النبيءَ ومعه الرَّهْطُ، والنبيءَ ومعه الرجلُ والرجلاَن، والنبيءَ وليس معه أحدٌ، إذ رُفِعَ لي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فظَنَنْتُ أنّهم أُمّتي فقِيلَ لِي هذا مُوسَى وقَوْمُهُ، ولكن أُنْظر إلى الأفق، فإذا سواد عَظِيم، فقيل لي أنظر إلى الأفق الآخر فإذا سوادٌ عظيمٌ فقيل لي هذه أمتكَ، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، هم الذين لايَرْقُونَ، ولايَسْتَرْقُونَ، ولايَتَطَيَّرُونَ، وَلاَيَكْتَوُون، وعَلَى رَبِّهِمْ يَتوَكَّلُونَ**).

وجاء في رواية للترمذي أنّ مع كلّ ألف سبعينَ ألفاً. وثلاثَ حَثَيات من حَثَيات الله، فقد رَوَى عن أبي أُمامة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**وَعَدَني ربِّي أنْ يُدْخِلَ الجنة من أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلفًا لاَحِسَابَ عليهم ولاعذابَ، مع كل ألف سبعُونَ ألفا وثلاثُ حثيات من حثيات ربّي**)

وفي رواية أخرى أنّ الله أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم مع كل رجُلٍ وَاحِدٍ سَبْعِينَ ألفا، وزاده وزاده(**ولايقال لفضل الله ذا بِكَم**) وهذه الرواية أوردها الإمام أحمد في مسنده والبزار والطبراني جميعهم عن أبي بكر رضي الله عنه أن النبيء صلّى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ ربّي أعطاني سبعين ألفا من أُمَّتي يَدخُلونَ الجنةَ بغير حساب، فقال عمر يارسول الله فهلاَّ استزدْتَهُ، قال قد استزدْتَهُ فأعطاني مع كُلِّ رجلٍ سبعين ألفا، قال عمر فَهَلاَّ استزدته، قال قد استزدته فأعطاني هكذا**) وفرج أحد رجال سند الحديث بين يديه، وجاء وصف جمال هؤلاء في حديث رواه كل من الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**يدخل الجنة من أمتي زُمْرَةٌ هم سبعون ألفا، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر**) قال أبو هريرة فقام عُكَّاشَةُ بن محصن الأسدي يرفع نَمِرَةً عليه، فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال (**اللهم اجعله منهم**) ثم قام رجل من الأنصار فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال (**سبقك بها عُكَّاشَةُ**).

ومن مشاهد المبعوثين على ماعاشوا عليه

لقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (**ياعبد الله بنَ عَمْرو إن قاتلت صابرا محتسبا بعثك الله صابرا محتسبا، وإن قاتلت مُرائيا مُكاثرا، بعثك الله مُرائيا مُكاثرا. ياعبد الله بن عَمْرٍو على أي حالة قاتلت أو قوتلت بعثك الله على تلك الحالة**) رواه أبو داود والحاكم عن ابن عمرو.

كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (**يُبْعَثُ كلُّ عبد على ما مات عليه**) رواه مسلم عن جابر.

وقد قال العلماء في بيان معنى الحديث : إنّ الزامر يأتي يوم القيامة بمزماره، ومُدْمِنَ الخمر بقدحه، والمؤذن يؤذّن والمِلبيّ يلبي ... إلخ.

ذلك لأنه هو الذي قال الله في شأنه (**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا(30)**) آل عمران.

وقال تعالى : (**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا(49)**) الكهف.

وقال (**إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا، وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءامنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ(4)**) يونس .

مشهد من يحشرون ودمائهم تسيل

فمن أولئك المكرمين فئات الشهداء الذين كانوا قد أخلصوا نياتهم لله في قتالهم، وما قاتلوا إلاّ لتكون كلمة الله هي العليا. أمَّا من قاتل طالبا للغنيمة أو الشهرة أو الثأر أو الغضب أو أي مقصد غير إعلاء كلمة الله فهو ليس بشهيد.

روى أبو داود والنسائي عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل فقال يا رسول الله أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذِّكْرَ ماله؟ قال صلىّ الله عليه وسلم: (**لاشيءَ لهُ) فأعادها الرجل ثلاثا، كل ذلك يقول: (لاشيء له) ثم قال : (إن الله تعالى لايَقْبَل مِنَ العَمَل إلاّ مَاكَانَ خَالِصاً له وابْتُغِيَ به وَجْهُهُ)** .

وروى البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال : جاء رجل إلى النبيء صلى الله

عليه وسلم فقال يارسول الله ما القتال في سبيل الله ؟ فإن أحدنا يقاتل غضبا، ويقـــاتل حمية، فقال صلى الله عليه وســـلم : (**مَنْ قَاتَل لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هيَ العُليا، فهْوَ في سَبيل الله عَزَّ وجلّ**).

فمَن قاتل في سبيل الله فتوفاه الله فهو هو الشهيد حقا.

وإنّ هؤلاء الشهداء يبـــعث الله كل واحـــد منهم على نفس الحالة التي توفاه عليها، فيكون جرحه يسيل دما طريا،أمّا لونه فلون الدم وأما رائحته فرائحة المسك تنتشر بـــين من يشاء الله من أهل الموقف، إشهاراً لعظيم فضله، وإعلانًا عن كرامته عند ربه.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**كلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُهُ** (1) **المسلم في سبيل الله يَكُونُ يومَ القـــيامةِ كَهَيْئتها** (2) **إذْ طُعِنَتْ، تَفَجَّرُ دمًا، اللَّونُ لَوْنُ الدَّمِ والعَرْفُ** (3) **عَرْفُ المِسْكِ**).

من أجل هذا تقرر في تعاليم الإسلام أن الشـــهيد لايُغْسَل عنه الدم، كما أنه لا يصلّى عليه، لأنَّ الصلاة ماشرعت إلا على الأموات، والشهداء أحياء كما قال تعالى: (**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**(169)) آل عمران.

فهؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله هم الشهداء المكرمون يؤمئذ ذلك التكريم الخاص بهم.

قال ابن أبي جمرة : (ذهب المحققون من علماء الأمة إلى أن المقـــاتل إذا كان البـــاعث الأول له على القتال هو إعلاء كلمة الله، لم يضره ما انضاف إليه.) يَعْني كَنَصِيبِهِ مِنَ الغَنِيمَةِ.

مشهد من يخرجون من قبورهم يؤذنون

ومن المكرمين في المشهد العام أناس وصفهم رسول الله صلى الله عليه وســـلم بـــأنهم يكونون أطول الناس أعناقا يوم القيامة.

وهؤلاء هم المؤذنون الداعون لإقامة الصلاة، قـــال الشـــيخ محي الدين بـــن عربي : والمؤذنون أفضل جماعة دعت إلى الله، عن أمر الله ورسوله، ولولا رفق المصطفى صلى الله عليه وسلم بأمته لأَذَّنَ، فإنّه لو أذّن وتخلف عن إجابته من سمعه إذا قال حـــي على الصلاة عصى، وكان صلّى الله عليه وسلم بالمؤمنين رحيما.

---

1) كل كلم : أي كل جرح
2) كهيئتها : أي تلك الجرحة
3) العرف : الرائحة

غير أنّ طول الأعناق الذي ثبت أنه هو الميزة الخاصة بالمؤذنين يوم القيامة، قد يسأل عنه فيقال هل هو طول حقيقي؟ أو هو إشارة إلى رفع رؤوسهم فرحا واستبشارا بارتفاع درجتهم عن غيرهم حِفَاظاً لهم من الله على ماكانوا يمتازون به في الدنيا من ندائهم لإخوانهم المؤمنين إلى أداء أعزّ وأشرف العبادات، لذلك يحشرون متمكنين - دون غيرهم - من تكرار ذلك النشيد الإسلامي العريق؟ الله أعلم بذلك.

روى الإمام أحمد ومسلم وابن ماجه عن معاوية رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**المؤذِّنونَ أَطْوَلُ النّاسِ أعنَاقاً يومَ القيامة**).

كما روى الطبراني أيضا عن أبي مَحْذُورَةَ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال :(**المؤذّنونَ أُمَنَاءُ النّاسِ عَلَى فِطْرِهِمْ وسُحُورِهِمْ**).

وهذا الحديث يقتضي أن مسؤوليتهم في تحرير أوقات الأذان مسؤولية عظيمة، وعليهم مراعاتها، فإن لم يَرْعَوْهَا فَلَيْسُوا بأُمناء.

ويبقى النظر في من يكرمه الله في ذلك المشهد بطول العنق هل هو المؤذن المحتسب الذي يبتغي بأذانه وجه الله تعالى فقط، أو هو والمأجور سواء في هذه المكرمة؟ لقد اختلف علماء الأمة في هذه المسألة.

مشهد من يخرجون من قبورهم يُلَبُّونَ

ومن المكرمين في المشهد العام أناس يخرجون من قبورهم وهو يرفعون أصواتهم بالإعلان عن الحق، في اليوم الحق، مرددين لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لاشريك لك.

وهؤلاء هم الذين توفاهم الله وهم في حالة إحرام إما بحج، وإما بعمرة.

روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا كان مع النبيء صلى الله عليه وسلم فوَقَصَتْهُ(1) نَاقَتُهُ وهو مُحْرِمٌ فمات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**اغْسلوهُ بماء وسِدْرٍ، وكَفِّنُوهُ في ثَوْبَيْهِ(2)، ولاتمسُّوهُ بطيبٍ، ولاتُخَمِّرُوا رأْسَهُ، فإنَّه يُبْعثُ يومَ القِيامَةِ مُلبّيًا**).

---

1) وقصته : رمت به على الأرض، فدقت عنقه، فمات.

2) في ثوبيه : يعني في ثوبي احرامه

كما روى النسائي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أن النبيء صلّى الله عليه وسلم قال: (**إغسلُوا المُحرمَ في ثَوْبيْه الّذين أحرمَ فيهما وأغْســلُوه بماء وسِدْرٍ وكفِّنُوهُ في ثوْبَيْهِ، ولا تَمَسُّوهُ بطيبٍ، ولا تُخمِّرُوا رأْسَهُ، فإنَّهُ يُبْعَثُ يومَالقيامةِ مُحْرِمًا**).

وروى الطبراني في المعجم الأوســط عن جابــر رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ المُؤَذِّنينَ والمُلَبِّينَ يَخرُجُونَ من قُبورِهمْ يؤذِّن المؤَذِّنُ، ويُلَبِّي المُلبِّي**).

فما أسعد هؤلاء الذين تنطلق ألسنَتُهُمْ بالتلبية وهم يُرَدِّدُونها بأصوات رفيعة (**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إلاّ مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا(38)**) النبأ.

مشهد من يأتون الحشر وهم في نور على نور

ومن المكرمين يومئذ إكراما عاما، أُمَّةٌ كاملة ولو أن إكرامها يكون على نسب متفاوتة بين أفرادها.

يقول الله تعالى :(**يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ (12)**) الحديد.

قال الشيخ الطاهر ابن عاشور في تفسيره : سعْيُ النور هو امتداده وانتشــاره، والمعنى يسعى نورهم حين يسعون، فحذف ذلك لأن النور إنّما يسْعَى إذا سَعَى صاحبُه، وإلا لانفصل عنه وتركه،.... وكونه بين أيديهم وبإيماهم يُبيِّنُ أنّه نورٌ لذواهم أُكْرموا به (1).

وهؤلاء المكرمون بإشراق ذواهم بالنور في المشهد العام هم المتوضِّئون المصلّون.

روى البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قــال : (**إنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يوم القيامة غُرًّا مُحَجَّلين من آثارِ الوُضُوء**)

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قــال : (**أنتُم الغُرُّ المُحَجَّلُون يوم القيامة من إسْبَاغِ الوُضُوء**).

وروى الترمذي عن عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه أن النبيء صلّى الله عليه وسلم قال: (**أمَّتي يوْمَ القيامَة غُرٌّ مِنَ السُّجود مُحَجَّلُونَ مِنَ الوضُوء**).

---

1) التحرير والتنوير ج 27 ص 380

قال المناوي في شرحه للجامع الصغير : الغرة هي لمعة بيضاء تكون بجبـــهة الفرس، ثم استعملت في الجمال والشهرة، والمراد هنا هو النور الكائن في وجوه هذه الأمة.

ونقل الأشرف أنّ المُحجَّل من الدواب ماكانت قوائمه بيضاء.

قال المناوي (وماذاك إلا لأن المؤمن يُكْسى في القيامة نورا من أثر السجود ، ونورا من أثر الوضوء، نورا على نور، فمن كان أكثر سجودا أو أكثر وضوء في الدنيا، كان وجهه أعظم ضياء وأشد إشراقا من غيره، فيكونون فيه على مراتب.

وهل النور المنبعث من الذوات هو من خصائص هذه الأمة تبعا للوضوء الذي هو من خصائصها دون غيرها من الأمم هذا ماذهب إليه بعض العلماء، ولكن الحافظ بن حجر قد ردّ هذا القول بما ورد في صحيح البخاري من قصة سَارَةَ، حيث ورد فيها قامت تتوضأ وتصلي، وبما ورد في قصة جُرَيْج الراهب، ففيها قام فتوضأ، ثمّ قـــال : فالظاهر أن الخاص بهذه الأمة إنما هو الغرة والتحجيل، لا أصل الوضوء.)

أقول أن الذي يدل على أن الغرة والتحجيل من خصائص هذه الأمة هي الأحـــاديث السابقة لقوله صلى الله عليه وسلم فيها أمتي، إنّ أمتي، حتى عند ورود الأمة على حـــوضه فهو صلى الله عليه وسلم يعرفهم بالنور الذي خصهم الله به دون غيرهم، فقد روى ابـــن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قـــال :(**تَرِدُونَ عليَّ غُرًّا مُحَجَّلين من الوضوء، سِيمَا أمتي، ليس لأَحَدٍ غيرِها**).

فالحمد لله الذي يختص برحمته من يشاء، وسبحان الله ماأشد تعاسة التاركين للصلاة.

ومن مشاهد التشهير المهينة والمذلة في المحشر

مشهد من يحشرون ووجوههم مُسْوَدَّةٌ

أما الذين كذبوا على الله وادَّعَوْا أن له ولدا، أو شريكا، أو وصفوه سبحانه بـــصفة لم ترد عن الله ورسوله فهؤلاء قد جعل الله لهم علامة تُميّزهم عن غيرهم في ذلك المشهد المَهُول، وهي التي بيّنها بقوله : (**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ(60)**) الزمر.

كما جعل الله سبحانه للمجرمين علامة خاصة فقال : (**يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّور، وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا(102)يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا(103)نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا يَوْمًا(104)**) طه.

مشهد من يحشرون يمشون على وجوههم

وأمّا الذين كذّبوا بآيات الله وكَذَّبُوا ببعثهم بعد الموت فإن العلامة المُمَيِّزَةَ لهم هي أنّهم لايحشرون كسائر الخلق، ولكن الله يحشرهم يمشون على وجوههم، ويكونون أيضا مجردين مما كانوا يتمتعون به في الدنيا من نعمة السمع والبصر واللسان كما قال تعالى (**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا(97)ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا(98) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلا كُفُورًا(99)**) الإسراء.

إنّ هؤلاء المجرَّدين في المحشر من نعمة السمع والبصر واللسان، كان تجريدُهم منها جزاء وفاقا، حيث إنهم في الدنيا قد عَطَّلُوا مِن ذواقم تلك الوسائلَ التي متعهم الله بها، إذ لم يُحاولوا الاهتداءَ بها عندما كانوا في الدنيا ينظرون إلى ملكوت السموات والأرض، وماخلق الله من شيء، ولو حاولوا ذلك لآمنوا ببعثهم يوم القيامة يقينا، ولذلك قال الله تعالى:(**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ(6) وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(7)تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ(8)وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ(9)وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ(10)رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ[1](11)**) ق.

إن البعث للجزاء هو إحياءٌ بعد الموت، كما أنَّ تَجَدُّدَ الإنْبَات للرزق هو أيضا إحياءٌ بعد الموت، فلماذا لم يستدلوا بهذا الذي يدركونه الآن على ذلك الذي لا يدركونه الآن؟

ولايعجب المؤمن من حشر الله لأناس على وجوههم، فقد روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : جاء رجل فقال يانبيّ الله، كيف يُحْشَرُ الكافر

---

1) الخروج هو خروج الناس من مدافنهم، كما قال تعالى : (يوم يخرجون من الأجداث سراعا) فكما أحيى الله الأرض بعد موتها يحيى الله الخلق بعد موتهم، فيخرجون من قبورهم.

على وجهه؟ قال : (**أليْسَ الذي أمْشَاهُ على الرِّجلين في الدنيا قــادرًا على أن يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يوْمَ القيامة؟**)

كما روى أحمد في المسـند والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**يُحْشَرُ النّاسُ يومَ القـيامة ثلاثةَ أصناف : صِنْفًا مُشَاةً، وصِنْفًا رُكْبَانًا، وصنفًا علي وجوهِهِمْ، إن الذي أمشـاهم على أقْدامهم قَادِرٌ أَن يُمْشِيهُم على وجوههم، أما إنّهم يَتّقُونَ بوجوههم كلَّ حَدَبٍ وشَوْك**).

واعلم أنه لاتعارض بين حشرهم على وجوههم مُجَرّدين من وسائل الإدراك كما في آية الإسراء–97– وبين نُطقـهم قـائلين : (**ربَّنَا أبْصَرْنا وَسَمِعْنَا فأَرْجعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إنَّا مُوقِنونَ**) كما في سورة السجدة –12– لأن لهم يومئذ حالتين : الأولى عندما يَحشرُهم، الله، والثانية عندما يَعْرِفُون مصيرَهم.

ففي الحالة الأولى يحشرهم الله على وجوههم لايسمعون، ولايُبصرون، ولاينطقون.

وفي الحالة الثانية يَرُدُّ اللهُ إليهم سَمْعَهم وأبصارَهم ونطقَهم، فيتكلمون عندئذ قائلين : (**ربَّنَا أبْصَرْنا، وسَمِعْنَا، فارْجِعنا نَعمَلْ صَالحًا وإنَّا مُوقِنُونَ**)

مشهد من يحشرون عميا

ومن المحشورين عُمْيًا أنَاسٌ من أمم مختلفة أعرضوا عن هُدَى الله لمَّا جاءهم على أَلْسنَة رُسُله، وذلك لقوله تعالى مخاطبا لآدم وإبـليس: (**اهْبطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى(123)وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذكْرِي فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنـكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(124)قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَني أَعْمَى وَقَدْ كُنـتُ بَصِيرًا(125)قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءاياتُنَا فَنَسيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى(126)وكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى(127)**) طه.

قال الشيخ الطاهر ابن عاشور (إنَّ الله أوصى آدم وذريته باتباع الرسـل والوحـي الإلهي، وبذلك الإتباع يَسْلَم المُتَّبِعُ مِن عواقب الضلال في الدنيا والآخرة.

أمّا إذا أعرض عن هدى الله فإنّه يعيش دنياه في عسر الحال واضطراب البال، ويحشره الله يوم القيامة أعمى.

والمعنى أن مَجامع هَمِّه ومَطامِح نَظَرِه تكون إلى التَّحَيُّل في إيجاد الأسباب والوسائل لمطالبه، فهو مُتهالك على الازدياد، خائفٌ من الإنْتقَاص غيرَ ملتفت إلى الكمالات، ولامأنوس.بما يسعى به إلى الفضائل، يجعله الله في تلك الحالة وهو لايشعر.

وبعضهم يبدو للناس في حالة حسنة ورفاهية عيش، ولكنَّ نفسه غيرُ مطمئنة).

ثم قال في بيان قوله الله تعالى : (**وكَذَلكَ نَجْزي منْ أَسْرَفَ ولَمْ يُؤْمِنْ بآيات ربِّهِ**) والمعني : ومثلُ ذلك الجزاء نَجْزي من أسرف أيْ كَفَر بآيات ربه، فالإسراف هو الاعتقاد الضالُّ، وعدم الايمان بالآيات، ومُكَابَرَتُها.(1).

وأما قول الله (**وكذلك اليوم تُنسى**) فإنه لايتعارض مع قوله تعالى: (**وماكان ربُّكَ نَسيًّا**) مريم – 64 – لأن قوله (**وكذلك اليوم تُنْسَى**) أي تُتْركُ في العذاب محروما من كل خير، والله أعلم (2).

مشهد الحَاملين لأثقالهم وأثقال غيرهم

وفي هذا المشهد العام يأتي إلى الموقف أفواج حاملين لاثقالهم ولأثقال غيرهم من الناس.

إن امتياز هؤلاء عن غيرهم في المحشر لهَوَ امتياز عجيب، حيث إنه مشهد تتراكم فيه على ظهورهم الأثقال، وتتنوع صنوف الأحمال.

وهذا المشهد العجيب لايتعارض مع قول الله تعالى (**وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى**) فاطر–18- لأن لله سبحانه قد بيَّن سببَ حملهم لأثقال غيرهم مع حملهم لأثقال أنفسهم، وذلك في قوله (**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**(25)) النحل.

فهؤلاء قد كانوا كما قال الله تعالى (**يُضِلُّونَ النّاس بغَيْرِ علم**) وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**دُعاةٌ على أبوابِ جهنم مَنْ أَجابَهُمْ إليها قَذَفُوه فيها**) رواه البخاري عن حذيفة.

كم من دعاة في الأرض يدعون إلى خلاف هُدَى الله ورسوله صراحةً، أو تَزْيينًا : صراحة في مايقولون، وفي ماينشرون، وتزيينا في مايعملون وفي مايُصَوِّرُونَ ويَعْرِضُونَ، وكم من أناس قد استجابوا لمثل هؤلاء الدعاة ولكنهم عن عواقب ماجذبوهم إليه غافلون.

---

1) من تفسيره (التحرير والتنوير) ج16 ص329

2) من (أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن) للشيخ محمد أمين الشنقيطي ج 10 ص 133 .

ولسوف يكون المستجيبـــون لأولئك الدعاة موقـــوفين معهم، ملازمين لهم في ذلك المشهد المهول ليوفيهم الله أسوأ الذي كانوا يعملون.

روى أبو عبد الله الحاكم والترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مامنْ دَاعٍ دَعَا رَجُلاً إلى شيءٍ إلاّ كان معه موقوفا يومَ القـــيامة لازمًا له لايفَارِقُهُ، وإنْ دَعَا رجلٌ رَجلاً**).

مشهد من يحشرون كأمثال الذر

ومن عجائب الموقف يومئذ أنّ الله تعالى يحشر فيه أقـــواما في منتهى الضآلة والمهانة، وتكون أحجامهم كأحجام الذّرِّ ، كما بيَّنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه العجيبة بقوله (**يُحْشَرُ المُتَكَبِّرُون يوم القيامة أمثال الذّرِّ في صُوَرِ الرجال، يغشـــاهم الذُّلُّ من كل مكانٍ**) رواه أحمد والترمذي عن عبد الله بن عَمْرٍو.

إنَّ الكبرياء لله وحده، فلا يحل لأحد أن ينازع الله فيه، فقد روى ابن حـــبَّان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وســـلم قـــال: (**قَالَ الله تعالى الكِبْرِياءُ رِدائي، والعَظَمَة إزاري، فمن نازَعَني واحدًا منهما قَذَفْتُهُ في النّار**).

ولقد كان صحابة رسول الله يَخْشَونَ من أن يُدَاخِلَ الكِبْرُ نفوسَهم أشدَّ الخشية، ولهم في هذا الأمر مواقف كثيرة، فَمِن تلكمُ المواقفِ مارواه الطبراني أن عبد الله بن سَلاَم رضي الله عنه مرَّ في السوق وعليه حزمة من حطب، فقيل له مايَحْمِلك على هذا وقد أغناك اللّهُ عن هذا؟ قال أردتُ أن أَدْفَعَ الكِبْرَ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (**لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ مَنْ في قلبه مِثْقَالُ خرْدَلَةٍ من كِبْر**).

ومن تلك المواقف مارواه أحمد عن أبي سلمة بن عبد الرحمان بن عوف أنه قال : التقى عبد الله بن عُمَر وعبد الله بن عَمْرو بن العاص على المَرْوَة فَتَحَدَّثَا، ثمّ مضى عبد الله بن عمرو وبقي عبد الله بن عمر يبكي، فقال له رجل : مايُبكيكَ ياأبا عبد الرحمن؟ قال: هذا -يعني عبد الله بن عمرو- زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـــول (**مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ كَبَّهُ اللهُ لِوَجْهِهِ في النَّار**).

ومن تلك المواقف مارواه البخاري عن ابن عمر أن النبيء صلى الله عليه وسلم قـــال :

(منْ جرَّ ثَوبَهُ خُيَلاَءَ لم يَنْظُرِ الله إليه يومَ القيامَةِ، فقــال أبــو بَكر يارســول الله إنَّ إزارِي يَسْتَرخي إلاَّ أنْ أَتَعَاهَدَه، فقَال له رسولُ الله إنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفعَلُهُ خُيَلاَءَ.)

ومنها مارواه مسلم والترمذي عن ابن مسعود أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قــال: **(لايَدخُلُ الجنَّة من كان في قَلْبِهِ مثْقَالُ ذَرَّة مِنْ كِبْرَ)**، فقــال رَجُلٌ: إنَّ الرجل يحبُّ أن يكون ثَوبَهُ حسنًا ونعلُهُ حسنًا، قال صلى الله عليه وسلم: **(الكِبْرُ بَطْرُ الحقّ (1) وغمْطُ النَّاس (2))**.

إن الكِبْرَ والايمان لايجتمعان في قلب من يؤمن بالله ورسوله، ذلك لأنه يعلم أن كل ذي فضل في الحياة لم يكن الفضل من ذاته أبــدا، وإنما هو من واهِب الحياة، وَوَاهِبِ كلَّ شــيء تتفاضَلُ به الكائنات.

فتكبر الانسان ماهو إلا زورٌ وبُهتانٌ، وهَوًى خادعٌ، ومَسْلكٌ من مسالك الشيطان، أَفَلَمَ يمتنع الشيطان من السجود لآدم، فلمَّا خاطبه ربُّ العالمين بقوله: **(يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ(75)قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ(76))** ص.

حتى قال أحد أبناء آدم عليه السلام منكرا على الشيطان حَمَاقَتَهِ وغروره:

إنْ كَانَ للنار فضلٌ فــالفضلُ لله لا لك

فكيْفَ تختَالُ عُجْبًا أمــا تَبيّنْتَ حــالَكَ؟

إن الكِبرَ داء متسلّلٌ خدّاعٌ، ينمو في العبد بالتدرجِ، ولايزال يذهب به بعيدا ثم يهوي به في مستنقع الفضيحة، حــتى يصير يغضب من اهتداء غيره إلى الحقّ، ألَم يشــتدّ هوسُ الكِبْرِ بفرعون حتى ارتعَدَ قائلا للسّحرة لــمّا آمنوا **(آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ)** طه – 71.

أرأيت إلى أيِّ مدًى تذهب حماقة المتكبّر بصاحبها؟ حتى ينكر على غيره أن ينقــدح الإيمان في قلبه إلا إذا أذنَ له؟ فهل الإحساس الوجداني يحتاج إلى الإستئذان؟ وهل يُعقــل أن يقال لمن يُحسُّ بقُشَعرِيرَة في بدنه مثلا: ماكان ينبغي أن تقشعرَّ حتى آذَنَ لك.

فانظر كيف يذهب المتكبر إلى ماهو أبعد من دائرة الغباوة؟

لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لايَزَالُ الرجُلُ يَذهبَ بنفْسهِ (3) حــتى يُكْتَبَ في الجَبَّارين، فَيُصِيبَهُ ماأصابَهم)** رواه الترمذي عن سلمة بن الأكوع.

---

1) بطر الحق: رده ودفعه
2) غَمَطَ الناس: احتقارهم وازدراؤهم.
3) يذهب بنفسه: يترفع ويتكبر

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**ثلاثةٌ لايُكَلِّمُهُم اللهُ يوم القيامة ولايُزَكِّيهِم ولاَينْظُرُ إليهم، ولهم عذابٌ أليمٌ، شيخٌ زانٍ (1) ومَلِكٌ كذّابٌ، وعائِلٌ (2) مُسْتَكْبِرٌ**).

مشهد من يجرون ألسنتهم على أرض المحشر

وفي المحشر مشاهد لاتقل غرابة عن مشاهد المحشورين من الناس كأمثال الذر، بل هناك ماهو أشد غرابة وأخزى، ذلك أن مِن الناس مَن يأتي أرض المحشر وهو يَجُرُّ لسانه على الأرض والناس يَتَوَطَّؤُونَ لِسَانَه.

روى الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن عَمْرو رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ الكَافِرَ لَيَجُرُّ لِسَانَهُ يوم القيامةِ وراءهُ قَدْرَ فرْسَخَيْنِ (3) يتوطَّؤُهُ النّاسُ**).

مشهد المقتولين المتعلقين بقاتليهم

ومن عجائب المشهد العام للمحشر أنَّ مَنْ ماتوا مقتولين، يحضرونه متعلقين بقاتليهم تعلقا لاانفكاك منه ولاانفلات، فيتحاكمون إلى الله في القتل وفي أسبابه.

روى الترمذي والطبراني بسند رجاله رجال الصحيح أن ابن عباس رضي الله عنهما سأله سَائِلٌ فقال ياابن عباس هل للقاتل من توبة؟ فقال ابن عباس كالمتعجب من شأنه : ماذا تقول؟ فأعاد عليه السؤال فقال ابن عباس ماذا تقول؟ مرتين أو ثلاثا، ثُمَّ قال ابن عباس: سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : (**يأتِي المَقتولُ مُعَلِّقًا رأسَهُ بإحدى يَدَيْهِ مُتَلبِّبًا (4) قاتلَه باليد الأخرى تَشْخَبُ أوْداجُهُ (5) دمًا ، حتى يأتِيَ بِهِ العرشَ، فَيَقُولُ المَقْتُولُ لِرَبِّ العالمين هذا قَتلَنِي، فيقولُ اللهُ لِلْقَاتِلِ تَعِسْتَ، ويُذْهَبُ به إلى النّارِ**).

إن كل النصوص الواردة عن الله ورسوله تَدُلُّ على أن أكبرَ الكبائر - بعد الشرك بالله- هي جنايَةُ قتل المؤمن بغيْر حقٍّ، وهذا هو مااتفق عليه جمهورُ علماء الأمة، فالله سبحانه يقولُ: (**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**(93)) النساء .

---

1) شيخ : كبير السن.
2) فقير ذو عيال.
3) مقدار الفرسخين الإثنين بالمتر المعروف الآن هو عشرة كيلومتر و 625 مترا.
4) اللبة هي موضع الذبح، ومتلبّبًا: آخذا بتلابيبه يعني جعل في عنقه شيئا وجره به، أو بما يحيط بعنقه من ملابسه.
5) الأوداج : هي ما أحاط بالعنق من العروق، ومفردها ودج

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (**كُلُّ ذَنب عسى الله أنْ يَغْفِرَهُ، إلا مَنْ مات مُشْرِكًا، أو قَتَل مُؤمِنًا مُتَعَمِّدًا**) رواه أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه كما رواه الإمام أحمد في المسند والنسائي وأبو عبد الله الحاكم عن معاوية رضي الله عنه.

وفي تفسير قول الله تعالى (**مَنْ قَتَل نَفْسًا بغَيْر نَفْسٍ او فَسَاد في الأرض فكَأنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَميعًا ومَنْ أَحْيَاهَا فكَأنّما أحْيَ النّاسَ جَمِيعًا**) المائدة –34 . قال قتادة : إنّ الله أعْظَمَ أجرها وأَعْظَمَ وزرهَا.(1)

وروى كل من البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لَزَوَالُ الدنيَا أهْوَنُ على الله من قَتْلِ رَجُلٍ مسْلم**).

كما روى الترمذي عن أبي هريرة وأبي سعيد أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**لَوْ أنَّ أهْلَ السّمَاءِ وأهلَ الأرْضِ اشترَكُوا في دَمِ مُؤمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ اللهُ في النّار**).

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**مَنْ أعَانَ على قَتْلِ مُؤمنٍ ولو بِشَطْرِ كَلِمَةٍ، لَقِيَ اللهَ مَكْتُوبًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيسٌ مِنْ رَحْمَةِ الله**).

قال سفيان بن عيينة في بيان الإعانة بشطر كلمة أن يقول (أُقْ).

إن قتل الانسان ظلما ماهو إلا جريمة بَشِعَةٌ وكبيرة صارخة،وفي بعض الحالات قد يأمر بالقتل شخصٌ ويقوم به شخصٌ آخر، ولاشك أن كلا من الآمر والمنفذ شريكان في هذا الاثم العظيم.

لكن هل يستويان في العقاب الإلهي؟ أو يختلفان؟

روى الإمام أحمد في المسند عن مَرْثَد بن عبد الله عن رجل من الصحابة أنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القاتل والآمر بالقتل فقال : (**قُسِّمتِ النار سبعين جزءا فللآمر تسعٌ وستون وللقاتل جزءٌ، وحَسْبُهُ**).

فتبين من هذا الحديث أن القائم بالقتل يعذَّبُ عذابا شديدا، وأن الآمر به يضاعف له العذاب أضعافا كثيرة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

أمّا مُسَاءلَةُ القاتلين عن الأسباب التي دعتْهم إلى القتل، فقد روى فيها النَّسائي عن جُنْدُب أنّ النبيء صلّى الله عليه وسلّمَ قال : (**يَجِيءُ المَقْتُولُ يوم القِيَامَةِ مُتَعلّقًا بقَاتِلِهِ، فيقُول الله فِيمَ قَتَلْتَ هَذا؟ فيقولُ في مُلْكِ فُلَانٍ**).

---

1) معنى أحياها: خلصها من المهلكات كالحرق والغرق والجوع المفرط، والحر والبرد المفرطين.....إلخ

كما روى النسائي أيضا عن عبد الله بن مسعود أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : **(يَجيءُ الرّجلُ آخِذًا بيَدِ الرَّجُلِ، فيقولُ يارب هذا قتَلني، فيَقُول الله لِـمَ قَتَلْتَهُ؟ فيقول قَتَلْتُهُ لتَكُونَ العزَّة لك، فيقول فإنّها لي ، ويَجيء الرّجلُ آخِذًا بيدِ الرّجل فيقول أيْ ربّ إنّ هذا قَتلني، فيقول الله لمَ قتَلتَهُ؟ فيقول لتكُونَ العِزَّةُ لفُلانٍ، فَيَقُولُ : إنّهَا ليْسَتِ لفلان فَيَبُوءُ بإثْمِهِ).**

مشهد من يأتون وفي أعناقهم أطواقٌ من طبقات الأرض

وفي المشهد العام تتراكم فضائح الجناة، إذ يحضر المحشرَ أيضا أناسٌ صارت أعناقهم – بحكمِ الله – مَدِيدَةً طويلة، وهم يحملون في تلك الأعناق أطواقا من سَبْع أرضين، ولايعلم مقدار حجمها إلا الله، فيعذَّبُون بحمل تلك الأطواق حتى يقضي الله بينهم وبين خصمائهم.

وهؤلاء هم الذين كانوا قد استَوْلَوْا على أراضٍ لايملكونها، وإنما اغتصبوها من أصحابها ظلما وعدوانا.

وسبحان الله كيف انتقم الله ممن كانوا يجتهدون في إخفاء حقِّ المالك للأرض، حتى لايشعر بهم أحد، فحشرهم الله مفضوحين ليعرفَهم بتلك الأطواق المغتصبة كلّ أحد.

فكانوا مِثْلَمَا انتقم من المتكبرين قبل حسابهم فحشرهم في منتهى الضّآلة والحقارة كأمثال الذر، وذلك على خلاف ماكانوا يتعاظمون به في الدنيا من تكبر واختيال.

روى كل من البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : **(مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ (1) منْ أرضٍ طُوِّقَهُ منْ سَبْع أَرَضينَ)**

وروى الطبراني وابن حبَّان في صحيحه عن يَعْلَى بن مرة أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : **(أيُّمَا رجلٍ ظَلَمَ شِبْرًا من الأرضِ كلَّفَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ أنْ يحْفرَ لهُ، حتى يبلُغَ بــه سبْعَ أرَضين ثم يُطَوَّقُهُ يوم القيامة، حتى يُقْضَى بين الناس).**

وروى الضِّياءُ المقْدِسيُّ عن الحَكَم بن الحارث أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : **(مَنْ أخَذَ من طَريقِ المسلمين شيئًا جاء به يومَ القيامَةِ يَحْمِلُه منْ سَبْعِ أرَضِينَ).**

وروى أحمد والطبراني عن يَعْلى بن مُرّةَ أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال **(مَنْ أخَذَ مِنَ الأَرْضِ شيئًا ظُلْمًا جاء يومَ القيامة يَحْمِلُ تُرابَهَا إلى المحشر).**

---

1) أي مِقدار شبر

وروى أحمد والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال قلت يارسول الله أيُّ ظُلْم أظْلَمُ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (**ذراعٌ من الأرضِ ينْتَقِصُهُ المَرْءُ المسلمُ من حقِّ أخيهِ، فلَيْسَ حَصَاةٌ مِنَ الأرضِ يأخُذُهَا إلاّ طُوِّقَها يوم القيامة إلى قعْرِ الأرضِ، ولا يعلمُ قَعْرَهَا إلا الله الذي خَلَقَها**).

وروى أحمد والطبراني عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أَعظَمُ الغُلُول عند الله ذراعٌ من الأرضِ، تجدُون الرّجُليْن جاريْن في الأرضِ أو في الدّارِ فيقْتَطِعُ أحَدُهُمَا من حظِّ صاحبِهِ ذراعا إذا اقتطعَهُ طُوِّقهُ من سبعِ أرَضِينَ**). سبحان الله، هذا إذا كان القَدْرُ المقتطع شبرًا أو ذراعا، فكيف يكون حالُ المُغْتصِب إذا كان مقدار المغصوبِ آلاف الآلافِ من الأذرع والأشبار؟

مشهد من يحشرون وفي أعناقهم أشْرَسُ الثعابين

ومن المفضوحين في المشهد العام أناسٌ يحشرون أيضا بالأطواق في أعناقهم، ولكنَّ أطواقهم ليست من التراب، وإنّما هي من أخبَثِ أنواع الثعابين وأشدِّها عُنْفًا وشراسة، وهؤلاء هم الذين كانوا لايُزَكّون، فيبخلون بما آتاهم الله من فضله، فَيُحْشَرُونَ كما قال الله فيهم (**وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ(180)**) آل عمران.

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**منْ آتَاهُ اللهُ مالاً فَلمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ له يوم القيامة شُجاعًا أَقْرَعَ له زَبِيبَتان (1) يُطَوّقُهُ يومَ القيامةِ ثُمّ يأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ (2) ثم يقول أنا مَالُكَ أنا كَنْزُكَ**)، ثم تلا (**ولايَحسَبنَّ الذين يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هو خيرًا لهم، بل شرٌّ لهم، سَيُطوَّقُونَ مَابَخِلوُا بهِ يَوْمَ القِيامةِ**).

مشهد من تنطحهم الحيوانات وَتَعَضُّهُمْ وتدوسهم

وإذا كان أولئك الذين لايزكون أموالهم ينالهم العذاب وهم في المحشر واقفون، فإنّ منهم فريقا آخر ينالهم العذاب وهم على أرض المحشر مبطوحون لأنواع من الحيوانات وهي

---

1) الشجاع : الذكر من الحيات، والأقرع: الذي سقط شعر رأسه. والزبيبتان: زبدتان في شِدْقَيْهِ.
2) يأخذ بلِهَزِمَتَيْهِ : يعني يَأْخذ بأُصولِ الحَنَكَيْن ابتداء من العظمين الناتئين تحت الأذنين.

تَطَؤُهُمْ وتَنْطَحُهُمْ وتَعَضُّهُمْ.

فقد روى كل من الإمام أحمد ومسلم وأبي داود والنسائي حديثا طويلا عن أبي هريرة رضي الله عنه جاء فيه أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (... **ولاَ صَاحِبِ إبلٍ لا يُؤَدي منها حَقَّهَا – ومنْ حقِّهَا حَلْبُهَا يوم وُرُودهَا– إلاَّ إذا كَانَ يومُ القيامةِ بُطِحَ لهَا بقَــاعٍ قَرْقَرٍ (1) أَوْفَرَ ماكانت، لا يَفْقِدُ منها شيئًا وَاحِدًا، تَطَؤُهُ بأَخْفَافِهَا، و تَعضّهُ بــأفْوَاهِهَاكُلَّمَا مرَّ عليه أُولاها رُدَّ عليه أُخْراهَا، في يوم كانَ مِقْدَارُهُ خمسينَ ألفَ سنةٍ، حتى يُقْضىبين العبَادِ، فَيَرَى سبيلَه إمّا إلى الجنّةِ، وإمَّا إلى النار.**

ولاصاحِبِ بقـــرٍ ولاغنمٍ لايُؤَدِّي منْهَا حَقَّهَا إلا إذا كان يومُ القِيامَة بُطحَ لها بقَاعٍ قَرْقَرٍ، لايَفقِدُ منها شَيئا ليس فيها عَقْصاءُ(2) ولاجَلْحَاءُ (3) ولاعَضْبَاءُ (4) تَنطَحُه بقُرونَهَا، وتَطؤُهُ بأظْلافِهَا، كلّمَا مرَّ عليه أولاَهَا رُدَّ عليه أخرَاها في يوم كانَ مقداره خمسين أَلف سَنة حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيلَهُ إمَّا إلى الجنّةِ، وإمّا إلى النار).

مشهد من يأتون حاملين لأنواع من الحيوانات

وفي المشهد العام أناسٌ يأتي أحدهم حاملا لبعير، أو بقرة، أو شاة، وربما يكون الواحد منهم حاملا لأكثر من حيوان واحد، إما من نوعٍ واحـــد، وإمَّا من أنواع مختلفة، وهؤلاء هم الشعاة المبعوثون لجمع زكاة الحيوانات، فَيَغُلُّون شيئا منها، ويَكْـــتُمُونَهُ لأنفسهم.

روى الطبراني في المعجم الكبير بإسناد صحيح عن عُبادة بن الصّامت رضيَ الله عنه أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم بعثه على الصَّدَقةِ فقال : (**ياأبا الوليد، اتَّقِ الله لاتأتي يومَ القـــيامة بَبعيرٍ تَحْمِلُهُ لَهُ رُغَاءٌ، أو بَقَرةٍ لها خُوار، أو شاةٍ لها ثَغاء**).

قال : يارسول الله إن ذلك لكذَلكَ؟

قال : **(إي والذي نفسي بيَده)**

قال: فَوَالذي بعَثَكَ بالحقِّ لاأعْمِلُ لكَ على شيءٍ أبدًا.

الرّغُاء والخُوَار والثُّغَاءُ أصواتُ تلك الحيواناتِ، فهو لايعَذَّبُ بحملها فقط، وإنما تُنادي عليه في المحشر بصُرَاخِها زيادةً في فضيحته وعَذَابِهِ.

---

1) القاع: المكان المستوي، والقرقر: الأملس.
2) العقصاء : الملتوية القرن.
3) الجلحاء: التي ليس لها قرن.
4) العضباء : المكسورة القرن.

وروى مسلم عن عدي بن عُمَيرة رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**مَنْ اسْتَعْمَلْنَاهُ منكم على عمَلٍ فكَتَمَنَا مِخيَطًا فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلولاً يأتِي به يومَ القيامة**).

فقام إليه رجل أسود من الأنصار كأني أنظر إليه فقال يارسول الله، إقْبَلْ عنِّي عمَلَكَ.

قال : (**ومالك؟**)

قال سمعتك تقول كذا وكذا.

قال : (**وَأنَا أَقُولُ الآنَ، من اُسْتَعْمَلْنَاهُ على عملٍ فلْيَجئْ بقَليلِه وكَثيره، فَمَا أوتِيَ منْهُ أخذَ، ومَانُهِيَ عنه اُنْتَهَى**).

وروى أبو داود عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أنه قال : بَعثَني رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ساعيًا ثم قال : (**انطَلقْ أَبَا مَسْعُودٍ، لا اُلْفِينَّكَ تَجيءُ يومَ القيامَةِ على ظَهْرِكَ بَعيرٌ منْ إبلِ الصدَقَةِ لهُ رُغاءٌ قدْ غلَلْتَهُ**).

قال : إذًا لاأَنْطَلِقُ.

قال : (**إذًا لا أُكْرِهَكَ**).

وروى البخاري ومسلم عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنه قال : استعمل النبيء صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزْد، يقال له ابن اللُّتْبِيَّةِ على الصدقة، فلما قدم قال : هذَا لكُمْ، وهذا أُهدي إليَّ، قال فقامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فحَمِدَ الله وأثْنى عليه ثم قال : (**أمَّا بَعْدُ فإنّي أسْتَعْمِلُ الرّجلَ منكم على العمل مّما ولاَّني اللهُ ، فَيأْتِي فيَقُولُ هذا لكُم، وهذا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لي، أفلا جلس في بيتِ أبيه وأمِّهِ حتى تأتيَهُ هديّتُهُ إنْ كان صادقًا؟ والله لا يأخُذُ أحدٌ منكم شيْئا بغير حقِّهِ إلاّ لَقيَ اللهَ يَحْمِلُهُ يوم القيامة، فلا أعْرِفَنَّ أحدًا منكُمُ لقيَ اللهَ يحْمِلُ بَعيرًا له رُغاءٌ، أوْ بَقرةً لها خُوارٌ، أوْ شاةً تَيْعَرُ**) ثم رفع يديه حتى رُؤِيَ بَياضُ إبطَيْهِ يقول: (**اللهَّم هلْ بلَّغْتُ؟**).

مشهد من يأتون ووجوههم عظامٌ تُقعْقِعُ

ومن المفضوحين في المشهد العام أُناسٌ يُحْشَرُون وفي وجوههم خُدُوشٌ أو جُرُوحٌ، ومنهم منْ يُحْشَرونَ وليس في وجوههم أيّ أثرٍ لِلَّحمِ وإنَّما يأتون المحشر ووجوههم عظام تُقَعْقِعُ.

وهؤلاء هم الذين يسألون النّاسَ أموالَهم منْ غير حاجةٍ تدفَعُهم إلى السّؤال، وإنّما يسألون الناسَ تكَثُّرًا لما عنْدَهُمْ مّمّا يَكْفيهم.

وسبحان الله الذي بيده الخلق والأمر، فلقد حَذَّرَ الأغنياءَ من الشُّحِّ بمال الزكاة، وتوعَّدهم الوعيدَ الشديد على البُخْل بالزكاة حتى تزْكُوَ نفُوسُهم بأدائها وتتطهَّرَ، وحذَّرَ الفقراءَ أيضا من الإلحافِ في السؤال، صِيَانَةً لِكَرامَتِهم، ومُحَافظَةً على ماءِ وجُوهِهم.

روى النِّسَائِيُّ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ سألَ وله مايُغْنيهِ جاءتْ** (1) **خُمُوشًا وكُدُوحًا في وجهِهِ يوم القيامة**).

وروى كل من البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**ما يَزالُ الرّجلُ يَسأَلُ النّاسَ حتّى يأتِيَ يومَ القيامَةِ وليس في وجههِ مُزْعَةُ** (2) **لَحْمٍ**).

وروى مسلم عن أبي جُنَادَةَ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ سَأَلَ مِن غيْر فقْرٍ فكأنَّما يأكُلُ الجَمْرَ**).

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن سَهْلِ بن الحنظَلِيَّة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**منْ سأَلَ وعِنْدَهُ مايُغنيهِ فإنَّمَا يسْتَكثِرُ مِنْ جَمْر جهنّمَ – قيل ومَا يُغْنيهِ؟ – قال : قَدْرُ مايُغَدِّيهِ ويُعَشِّيهِ**).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ يَسْأَلُ النَّاس أموالَهُمْ تكثّرًا فإنَّما يَسأَلُ جَمْرَ جَهَنَّمَ فَلْيَستَقللْ منه أو لِيَسْتَكْثِر**).

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ الله تعالى يُبْغضُ السّائل المُلْحِفَ** (3)).

وروى الطبراني والبزار عن مسعود بن عمرو أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لا يَزَال العَبْدُ يَسْأَلُ وهو غنيٌّ حتَّى يُخْلَقَ**(4) **وَجْهُهُ فلا يكُونُ له عند الله وَجْهٌ**).

وروى الترمذي والنسائي عن سَمُرَةَ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ المسألة كدٌّ يَكُدُّ بِهَا الرجلُ وَجْهَه، إلاّ أنْ يسأَل الرَّجُلُ سلطَانًا، أو في أمْرٍ لابدَّ منه**).

---

1) أي جاءت مسألته
2) مزعة : قطعة .
3) الملحف : الملح
4) يبلى، وتنمحي منه وضاءة العزة.

مشهد مَنْ يَفضحهم الله أعظم فضيحة

ومنْ أَشنَعِ الفَضَائِحِ في المحشر فضيحةٌ لاَيعلم مدَى سَعَتِهَا وانتشــارها يومئذ إلا اللهُ، لأنها سوف يَشهدُهَا من في المحشر من الأولين والآخرين.

إنّها فضيحة أناسٍ يُنكرون أبناءهَمُ الذين هُم من أصلابهم، فَيَعْمِدُ أحــدُهم إلى إنكارِ الوَلَدِ الذي يَعْلَمُ أنه منه، مدَّعِيًا أنه ليس ولَدَهُ، ذَكَرًا كان الذي نَفَاهُ عن نَفْسِهِ أو أنثى.

فقد تسبَّب بتلك الدعوى في فضيحَتَين : فضيحة المولود، لأن الناس ســينظُرون إليه طولَ حياته نَظْرَةً غيرَ سليمةٍ، فيعتبرُونه ابنَ زِنًا، وفضيحةِ أُمِّهِ لإِتّهامِهَا بالزنا مع أنها قد تكون بريئة.

ولَمَّا كان الرّجلُ يعلم أن المولودَ هو ولدهُ وإنّما نَفَاهُ عن نفسه كَذِبًا، وزُورًا، وتسبب بــتلك الدعوى في فضيحــتين للوليد ولأمه في الدنيا، فإن الله تعالى سَيَفْضَحُهُ في الآخرة على رؤوس الأولين والآخرين.

روى كل من أبي داود والنسائي وابن ماجه وابن حبَّان وأبو عبــد الله الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قــال : (...**وأَيُّمَا رَجلٍ احْتَجَبَ مِنْ ولَدِهِ وهو يَنْظُرُ إليهِ** (1) **إحتجَبَ اللهُ مِنه، وَفَضَحَهُ على رُؤُوسِ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ يَوْمَ القِيَامةِ**).

مشهد نساء يأتين المحشر بلباس من قَطِرَان....

وَمِنَ المُعَذَّبِينَ في المشهدِ العام نساءٌ يأتين أرضَ المحشر وعليهن سرابــيلُ مِنْ قــطران، ودروعٌ من جَرَبٍ يلتهب، وماهؤلاء إلا اللاتي كنَّ يَنُحْنَ على الأموات.

لقد كان النُّوَاحُ شيئا لازما في عصر الجاهلية، وكان لايقوم بــه إلا النســاء، وكانت طريقتهن فيه أن تقوم النائحةُ في حشد من النساء، فتصف الفقيد بــكلام تتعرض فيه إلى كل ماكان يتحلَّى به من الصفات التي كان الناس يومئذ يعتبرونها من جوانب الكمال في الانسان، وتُكرِّرُ في نديبها صفات الفقيد في صوَرٍ مختلفة الألوان، وذلك بقول مُنَسّقٍ موْزُون، يشدّ آذانَ السامعات بموسيقاه وإيقاعه، ويُثِيرُ فيهنَّ مشاعرَ الألم من أعماقــها، فيشــتد لذلك شــهيق الباكيات من حول النائحة، ويغرقن في بحر من الدموع، وقد يَفْزَعْنَ إلى تمزيق شعر رؤوسهن أوإلى حلقها، وإلى خرق ماعليهن من ملابس، وإلى خدش أجسادهن.

---

1) أي أنه يتحقق أنه ولده كأنه يشاهد ذلك عيانا.

وكان للرجال في الجاهلية اعتزازٌ بالنُّواح عليهم عند مماتهم، فقد قال أحدهم :

إذا متّ فانْعَيْني بمَا أنَا أهْلُهُ   وَشُقّي عليَّ الجيْبَ ياابْنَةَ مَعْبَدِ

فَلَمَّا جاء الإسلام حرّم النُّواح، وكلَّ ماكان يتصل به من مناكر.

فقد روى أبو داود والنسائي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**لَيْسَ مِنَّا مَنْ سَلَقَ (1) ومنْ حَلَقَ ومنْ خرَقَ**).

وروى الإمام أحمد ومسلم عن أبي مالك الأشعري أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**النّائحةُ إذا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوتِها، تُقَامُ يوم القِيامَةِ وعليْهَا سِرْبَالٌ منْ قَطِرَانٍ ودِرعٌ من جَرَبٍ**).

وروى ابن ماجه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**النِّيَاحَةُ على المَيْتِ منْ أمْرِ الجاهلية، وإنَّ النَّائحةَ إذا لم تَتُبْ قبلَ موْتِها فإنّها تُبْعثُ يومَ القيامة عليها سَرابيلُ منْ قَطِرَانٍ، ثمّ يُغْلَى عليها بدُروعٍ منْ لَهَبِ النّارِ**).

قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي : خُصَّتِ النائحةُ بذلك الدِّرْعِ لأنها كانت تجرح بكلماتها المؤنقة قلبَ المُصَاب، كما خُصَّتْ بلونِ القطران لأنّها كانت تلبس السّوّادَ في المَأْتِمِ.

على أن البكاء على الميت إذا كان بالدمع فلم يصحبه صوتٌ ولانُوَاحٌ فقد أجازه الإسلام، و لم يمنعه.

روى ابن سعد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهمَا أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إبْكِينَ، وإيَّاكُنَّ ونعيقَ الشيطانِ، فإنَّهُ مهما كان من العينِ والقلبِ فمِنَ الله، وما كان منَ اليد واللِّسَانِ فَمِنَ الشيطانِ**).

مشهد من ترفع لهم ألوية الغدرَ في المحشر

ومن المفضوحين في المشهد العام من يرفع له هنالك لواءٌ للتشهير بجنايته، ويكون ارتفاع اللواء على مقدار تلك الجناية، ليُعْرَفُ أنه إنسان غَادرٌ، فَيُنَادَى عليه في ذلك المشهد العام هذه غدرة فلان بن فلان.

روى كل من البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لِكُلِّ غَادرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِه يوم القِيامَة**)

---

1) سلق : رفع صوته عند المصيبة بالبكاء

روى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قـال: **(إذَا جَمَعَ اللهُ الأوّلينَ والآخرِينَ يوم القِيامَةِ، يُرْفَعُ لكُلّ غادرٍ لِواءٌ، فَقيلَ هذه غَدْرَةُ فلان ابن فلان).**

كما روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(لكُلّ غَادرٍ لواءٌ يوم القيامة يُرْفَعُ لهُ بقَدْرِ غَدْرَتِهِ، ألا ولاَ أعْظَمَ غَدْرًا من أميرِ عامّةٍ).**

ثم من هو الغادر الذي يشمله الحديث النبوي؟

قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في شرحه للجامع الصغير : هو الذي يقـول قـولا ولايفي به، ثم قال : فشمل من لم يف بما نذر، وبما حلف عليه، وبشـرطٍ شَرَطَهُ، فيرفع له يوم القيامة لواء ليعرف به، فيزداد فضيحةً واحتقارًا وإهانةً.

ثم قال : وهذا تقبيح للغدر وتشديد في الوعيد عليه، سيَّمَا إذا كان من صاحب الولاية العامّةِ، لأنّ غَدْرَهُ يتعدّى ضَرَرُهُ إلى كثيرين، انتهى كلام المناوي.

ولما كان كل الرشـداء من الناس يعتبرون الغدر رذيلةً شـنيعةً، كان العربُ من أهل الجاهلية لايَمقُتُونَ الغادرَ فقط، وإنما يفضحونه بالتشهير به، فيرفعون له لواءً في المحافل، ويُنَادَى عليه ليعرفه الناسُ ويَحْذَرُوهُ، حتى كان من افتخار أحـدهم واعتزازه أنه لم يُرفع له ذلك اللواءُ المشؤومُ فقال :

أَسُمَــيُّ (1) – وَيْحَـكِ – هل سَمِعْـتِ بغَدْرَة
رُفِـعَ اللّواءُ لنـا بهـا فـي الـمَجْـمَعِ؟

ولكن اللواء المرفوع للغادر يوم القيامة في ذلك المشـهد العام لن يكون صورة مكررة للألوية المعهودة للناس في الدنيا بل هو أعظم وأفضح وأشهر حتى يقضيَ اللهُ بين العباد.

مشهد من يأتون المحشر مقيَّدين مغلولين

ومن المفضوحين في المشهد العام أناسٌ يؤتى بهم إلى المحشر وأيديهم مغلولةٌ إلى أعناقهم حتى يحاسَبـوا على أعمالهم، وهؤلاء هم الأمراء الذين كانوا يتولون أمور عامة الناس، فإنهم يساقون إلى المحشر مغلولين، سواء أكانوا في الدنيا عادلين أو جائرين، ولاتسقـط عنهم تلك الأغلالُ إلا بعد حسابهم، وظهور عدلهم بين الناس.

---

1) أسمي : أصل الكلمة ياسمية اسم إمرأة فلما ناداها نداء ترخيم قال : أسمي

روى الطبراني عن ابن عباس أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(ما مِنْ أَميرٍ يُؤَمَّرُ على عشرةٍ إلاّ سُئِلَ عنهم يوم القيامة)**.

وروى البهيقي عن أبي هريرة أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(مَامِن أمير عَشَرةٍ إلاّ يُؤْتى بِهِ يَومَ القِيَامَةَ وَيَدُهُ مَغْلُولَةٌ إلى عُنُقِهِ)**.

وروى البيهقي أيضا عن أبي هريرة من طريق آخر أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(ما منْ أَمير عَشَرَةٍ إلاّ وهُوَ يُؤْتى به يوم القيامة مغلولا، حتى يَفُكَّهُ العَدْلُ أَوْ يُوبِقَهُ الجَوْرُ)**.

وبهذا اللفظ رواه الطبراني في المعجم الأوسط وكذلك البزار، قال المنذري ورجال البزار رجال الصحيح.

إنّ تولِّيَ الإِمَارةِ في الحياة أمر لابد منه، ولكن الإمارة لاتصلح لرجلين :

– رجل يعلم من نفسه أنه لايصمد أمام الشهوات أو المغريات.

– ورجل قلبه مُفْعَمٌ بالحلم والرأفة إلى حدٍّ يُغْري الأشرارَ بالإيغال في الظلم مستغلين طِيبَتَهُ ولُطْفَهُ.

ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذرّ رضي الله عنه أن يتولّى أمورَ غيره، ولو على أدنى الولايات، كأنْ يتأمَّرَ على اثنين فقط، أو يتولّى أمرًا متعلّقا بمال يتيم، فقال في مارواه مسلم وأبو داود والنّسائي **(ياأبا ذرّ، إنّي أراك ضَعيفا، وإنّي أُحِبُّ لك ماأُحِبُّ لِنفْسي، لا تتأمَّرَنَّ على اثنين ولا تولّيَنَّ مالَ يتيمٍ)**.

وروى عنه مسلم أيضا أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال له: **(ياأبا ذرّ، إنّكَ ضعيفٌ، وإنَّهَا أمانةٌ، وإنها يومَ القيامة خِزْيٌ ونَدَامةٌ، إلاّ مَنْ أخَذَهَا بحَقّهَا وأدّى الذي عليه فيها)**.

قال ابن بَطّال : هذا وعيدٌ شديد على الجور، فَمَنْ ضيَّع من استرعاه، أو خانه أو ظَلَمَهُ يوَجَّهُ إليه الطَلَبُ بمظالِمَ العباد يوم القيامة، فكيف يقدر على التَّحَلُّلِ من ظُلمِ أمّةٍ عظيمة.

وروى أبو عبد الله الحاكم وابن حِبَّان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال : **(لَيَتَمَنَّيَنَّ أقوامٌ يوم القيامة أنّ ذوائِبَهُمْ (1) مُعلّقةٌ بالثّريّا يُدلُّونَ بين السماء والأرض، وأنهم لم يَلوُا عَمَلاً)**.

---

1) ذوائبهم : شعر مقدم رُؤُوسِهِمْ

الشفاعة عند الله يوم القيامة

الشفاعة هي سَعْيُ الشفيع في حاجة غيره إلى من بيده تلك الحاجة.

والناس قد اختلفوا في توقع الشفاعة في الآخرة، فمنهم من نفاها، ومنهم من أثبتها.

أما الذين نَفَوْهَا فحملهم على نفيها أمران :

الأمر الأول :

هو أهم قالوا لَوْ كانت الشفاعة ممكنة لكان الناس يتوكلون على شفاعة الشافعين، ويكتسبون من الإثم ماتُسوِّل لهم أنفسُهم، مادامت العاقبة سليمة لجميع العصاة.

الأمر الثاني :

هو الآيات التي ورد فيها نفْيُ الشفاعة وهي آيات متعددة منها قول الله تعالى: **(وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُون اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(18))** يونس.

وقوله : **(وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ(18))** غافر.

وقوله : **(فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ(48))** المدثر.

وقوله : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ(254))** البقرة .

وقوله : **(وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ(48))** البقرة.

وأما الذين اعتقدوا إثبات الشفاعة فقد حملهم على إثباتها أمران :

الأمر الأول :

هو الآيات التي ورد فيها إثبات الشفاعة لمن يأذن الله لهم أن يشفعوا، كقوله تعالى: **(إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَابَينهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ(3))** يونس.

وقوله : (**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بإِذْنِهِ**) البقرة –255.

وقـــــوله : (**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ(26)لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ(27)يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ(28)**) الأنبياء .

وقوله : (**يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا(109)**) طه .

وقـــوله : (**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى(26)**) النجم.

وقـــــوله : (**وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(86)**) الزخرف.

الأمر الثاني :

هو أن إثبات الشفاعة قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدة أحـــاديث صحيحة، منها مارواه البخاري في صحيحـــه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قـــال : قـــلت يارسول الله من أَسْعَدُ النّاس بشفاعتك؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (**لقد ظَنَنْتُ يا أبا هريرة أنْ لا يسْأَلَني عن هذا أحَدٌ أوْلَى مِنْكَ، لَمَا رأيْتُ منْ حِرْصِكَ على الحديثِ، أسْعَدُ الـــنّاسِ بشَفاعَتِي يوم القيامةِ من قال لا إله إلا الله خالصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ**).

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أنه قال: (**قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم** : (**أنَا سيّدُ وَلَدِ آدمَ يومَ القيامة، وأوّلُ منْ يَنْشَقُّ عنه القَبْرُ، وأوّلُ شافعٍ، وأوّلُ مُشَفَّعٍ**).

ومنها مارواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم: (**أنَا سيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يومَ القيامةِ، ولافَخْرَ، وبِيَدِي لِواءُ الحَمْدِ ولافخْرَ، وما من نبِـــــــيء يومئذٍ آدمَ فمَنْ سِوَاهُ إلاَّ تحْتَ لوائي، وأنا أوّلُ شافعٍ، وأوّلُ مُشَفَّعٍ ولافَخْرَ**).

ومنها من رواه الإمام أحمد والحاكم والبيهقي في الشعب والطبراني في المعجم الكبـــير عن عبد الله بن عَمْرِو بن العاص أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**الصِّيامُ والقرآنُ يشفعان للعبد يومَ القيامة، يَقُولُ الصّيامُ أيْ ربّ إنّي مَنَعْتُهُ الطّعامَ والشّرابَ والشّهواتِ بالنهار فشَفِّعْنِي**

فيه، ويقولُ القرآنُ ربِّ مَنَعْتُهُ النَّومَ بالليل فشَفِّعْنِي فيهُ، فيشْفَعَانِ).

والأحاديث الواردة في الشفاعة كثيرة، وسيأتي بعضها - إن شاء الله- في مشاهد الشفاعة.

<u>المُوَازَنَةُ بين القولين :</u>

إنّ النافين للشفاعة لايقوم قولهم على أساس سليم، لا في ما احتجوا به أولا، ولا في ما احتجوا به ثانيا. ذلك لأن افتراضهم أن الناس لابد أنْ يتّكلوا على الشفاعة في مايقترفون من معاصٍ ماهو إلا افتراض باطل، لأن الشفاعة عند القائلين بثبوهّا لايقولون إهّا مضمونة نافعة لكل انسان، لأن الله سبحانه قد قال: (**وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلا لِمَنْ أَذنَ لَهُ**) سبأ -23، فهذا بيان إلهي واضح في أن الشفاعة ثابتة، إلا أهّا لايستفيد منها كل أحد، وإنما يستفيد منها من يأذن الله للشافعين أن يشفعوا فيهم، فبطل مايقال من أن عاقبة العصاة جميعا عاقبة سليمة من أجل وجود الشفاعة.

وأما الآيات التي استدلوا بها على نفي الشفاعة فمنها ماكان النفي فيها خاصا بما اعتقده المشركون من أن معبوداهم ستكون لهم شفعاء عند الله فنفت الآية الكريمة تلك الشفاعة الباطلة وهي قول الله تعالى : (**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُون اللَّهِ مَا لا يَضرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(18)**) يونس.

وهناك آيتان تزيدان هذا المعنى تأكيدا، وهما قول الله تعالى: (**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ(12)وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ(13)**) الروم، وقوله تعالى: (**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ(18)**) غافر.

وأما الآية التي خاطب الله بها المؤمنين إذ قال : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ(254)**) البقرة، فجاء فيها نفي الشفاعة نفيا عاما. ولكن غيرها من الآيات قد خصصها صراحة وهي الآيات المتقدمة في حجة المثبتين للشفاعة، وكذلك قوله تعالى : (**اللَّهُ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ(4)**) السجدة ، وقوله : (**وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ**

مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ(51) الأنعام ، وقوله (**قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(44)**) الزمر.

وبعد كل ماتقدم فان القائلين بنفي الشــفاعة يلزمهم أن يَرُدُّوا كلَّ ما صحَّ نقــله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأحـــاديث التي تتناول أنواعا عديدة من الشـــفاعات يوم القيامة.

كما أن عليهم – لإثبات قولهم – أنْ يقومُوا بــتأويل الآيات التي هي نصّ صريح في إثبات الشفاعة كقوله تعالى : (**وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنْ ارْتَضَى**) الأنبياء -28 .

أمّا القائلون بإثبات الشفاعة فحجتهم قــويّةٌ، لأنهم حملوا كلّ آية على محْمَلها من غير تأويل، إذ لا حاجة إلى التأويل عند حمل كل آية على محملها الواضح، كما أن القائلين بإثبات الشفاعة قد قبلوا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الواردة عنه في الشفاعة، ســواء في ذلك ما كان منها مُبَيِّنًا لشفاعته العامة، أو للشفاعات الخاصة الأخرى.

وفي غير تنازع الفريقين بعدما تبين فيه وجه الحق قد يتساءل أحــد عن معنى الآية التي تقدمت في سورة السجدة وهي قوله تعالى : (**ثم اســتوى على العَرْشِ ، مالكُم منْ دُونهِ مِنْ وليّ ولا شــفيع**) وعن مثيلتها الواردة في ســورة الأنعام وهي (**وَأَنْذِرْ بهِ الذين يَخافُون أنْ يُحْشَرُوا إلى ربِّهِمْ ليْسَ لهم منْ دُونهِ وليٌّ ولاشَفيعٌ**) فيقول في تساؤله : لَمّا كانت الشفاعة هي سَعْيُ الشفيع في حاجة غيره إلى من بيده تلك الحاجة، فَلَدَى منْ سَيَشْفَعُ الله سبحـــانه، مَعَ أنَّ الأمر كلّه لله؟

فالجواب – والله أعلم – هو أن مُقْتَضَى اسمِهِ العَفُوِّ يَشْفَعُ في مقتضى اسمه المُنْتَقِم، وأنَّ مُقْتَضَى اسمِهِ المُعِزّ يشفعُ في مُقْتَضَى اسمِهِ المُذِلِّ، وأَن مُقْتَضَى اسمه الباسِطَ يشفعُ في مُقْتَضَى اسمِهِ القَابضِ، وأن مقتضى اسمه الرَّافِعِ يشفع في مُقْتَضَى اسمه الخَافِضِ.

فالله سبحانه هو ذو الجلال، والله سبحانه هو ذو الإكرام والحمد لله أوّلا وآخرًا.

الشفاعة العظمى

لقد أجمع علماء الأمة الاســلامية على أن الشــفاعة العظمى هي من خصائص النبيء الذي ختم الله به الرسالات، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

كما أجمعوا على أن الشفاعة العظمى هي إحدى شفاعاته، لأن له شـــفاعات أخرى غيرها.

ولنبدأ أولا بالحديث عن شفاعته العظمى.

مهما يتسع الخيال لتصوُّرِ الهَوْل الذي يكون عليه الناس في المحشر، فلن يَصِلَ إلى إدراك الأقل مما سيكونون عليه يومئذ من هول الموقف، ومن طول انتظاهم للحســـاب والجزاء، وهم واقفون عندئذ في عدد لايحصيه إلا الله، وأكثر ذلك العدد المهول يكونون غرقى في ذعر سَائِق، وفي حر خانق، وفي عرق دافق.

وترى الناس يموج بعضهم في بـــعض وهم في ذلك الكرب العظيم زمنا لايعلم مِقْدَارَ مداه إلا الله، ثم يُلْهِمُ اللهُ من يشاءُ مِنْ أهل الموقف ليبحثوا عمن يشفع لَهُمْ إلى الله، ليبـــدأ فصل القضاء بين الخلق.

فلنتصور شدة ذلك الموقف بقدر مانستطيع من التصور، ولنستحضر في أذهاننا مقدار حاجة الخلق إلى ما يُخَلِّصُهُمْ من الهول الذي هم فيه، ثم لنتصور بـــعد ذلك قـــيمة الشـــفاعة لتخليصهم من ذلك الهول العظيم .

مشهد الشفاعة العظمى

حديث الشفاعة العظمى رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه في باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم من كتاب التوحيد .

ورواه أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه في باب (**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ**) من كتاب تفســـير القرآن.

ورواه مسلم عن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما في كتاب الإيمان

ورواه الإمام أحمد في مسند أبي بكر ومسند ابن عباس ومسند أَنس ومسند أبي هريرة رضي الله عنهم.

ورواه الترمذي عن أبي هريرة في باب ما جاء في الشفاعة، ولما أنهى الحديث قال : وفي الباب عن أبي بكر الصديق وأنس بن مالك وعقبة بن عامر وأبي سعيد.

ورواه ابن ماجه عن أنس في باب ذكر الشفاعة من كتاب الزهد.

ورواه الدارمي في سننه عن عقبة بن عامر الجُهَنِيِّ مختصرا في باب في الشفاعة.

وسأقتصر على رواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال أبو هريرة أُتِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم، فَرُفِعَ إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة ثم قال : (**أنا سيّدُ النَّاسِ يوم القيامة، وهل تدرون ممَّ ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس مِن الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس ألا ترون ماقد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام، فيقولون له أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى مانحن فيه؟ ألا ترى ماقد بَلَغَنَا؟ فيقول لهم إن ربي قد غَضِبَ اليوم غَضَبًا لم يَغْضَبَ قبله مثله، ولن يغْضَبَ بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيتُه نفسي، نفسي ، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا، فيقولون يانوح إنك أنت أوّلُ رَسُولٍ إلى أهل الأرض وقد سَمَّاكَ الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقولُ إن ربي قد غضِب اليوم غضَبًا لم يَغضبْ قبله مثله، ولن يَغْضَبَ بعده مثلَه، وإنه قد كانت لي دعوةٌ دعوتُها على قومي، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون ياإبراهيم أنت نبيُّ الله وخليلُه من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى مانحن فيه؟ فيقول إن ربي قد غَضِبَ اليوم غَضَبًا لم يغضَبْ قبلَه مثلَه، ولن يَغْضَبَ بعده مثلَه وإني قد كنت كذبتُ ثلاثَ كَذَبَات نفسي نفسي نفسي اذهبو إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون ياموسًى أنت رسول الله فضَّلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلَى مانحن فيه؟ فيقول إنّ ربي قد غَضِب اليوم غَضبا لم يَغضَبْ قبلَه مثله، ولن يَغْضَبَ بعده مثله وإني قد قتلتُ نفسا لم أُوْمَرْ بقَتْلِها نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون ياعِيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلَّمْتَ الناس في المهد صبيًّا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى مانحن فيه؟ فيقول عيسى إنّ ربي غضِب اليوم غضبا لم يغضَبْ قبله مَثله، ولن يغضَبَ بعده مثلَه، ولم يذكر ذنبا، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون محمَّدًا صلى الله عليه وسلم فيقولون يامحمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غَفَرَ الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى مانحن فيه؟ فَأَنْطَلِقُ، فآتى تحتَ العرش فَأَقَعُ ساجدا**

لربي عز وجل، ثم يَفْتَحُ الله عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِه وحُسْنِ الثناء عليه شيئا لم يَفْتَحْهُ على أحدٍ من قبلي، ثم يقال يا محمد ارفع رأسـك، سَلْ تُعْطَهْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأَرْفَعُ رأْسِي فأقـول : أمتي يارب ، أمتي يارب، فيقال يامحمد أَدْخِلِ مِن أمتك مَنْ لاحِساب عليهم من الباب الأيمنِ مِنْ أبْوَابِ الجنَّةِ، وهمْ شُرَكَاءُ الناسِ في ماسِوى ذلك مِن الأبواب، ثم قال والذي نفسي بـيده إن مابين المِصْرَاعَيْنِ من مَصَارِيعِ الجنة كما بين مكة وحِمْيَرَ أو كما بين مكة وبُصْرَى).

إنّ هذه الشفاعة العظمى هي المقامُ المحمودُ الذي أشار إليه القرآن في قـول الله تعالى: (**وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**(79)) الإسراء .

قال ابن كثير في تفسيره هذه الآية : أي إفْعل هذا الذي أمرتك به، لِنُقِيمَكَ يوم القيامة مقاما محمودا، يَحْمَدُكَ فيه الخلائقُ كلهم، وخالقُهم تبارك وتعالى.

ثم نقل عن ابن جرير قوله : قال أكثر أهل التأويل ذلك هو المقام المحمود الذي يقـومه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس، لِيُريحَهُم ربُّهم من عظيم ماهم فيه من شـدة ذلك اليوم.

هذا هو ماورد في المقام المحمود الذي هو الشفاعة العظمى من القرآن الكريم، أمّا مَاوَرَدَ فيها من السنن الصحيحة فهو مارواه البخاري في باب قـول الله تعالى (**عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا محمودا**) من كتاب تفسير القرآن عن ابـن عمر رضي الله عنهما أنه قـال : (**إنَّ النّاسَ يَصِيرُونَ يوم القيامة جُـثًا– جَمَاعَات –كُلُّ أمّةٍ تَتْبَعُ نبيَّهَا يقولون يا فُلانُ إشْفَعْ لنا، حتّى تَنْتَهِيَ الشفاعةُ إلى النبيءِ صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يَبْعثهُ اللهُ المَقَامَ المحمودَ**).

<u>ملاحظات لبيان ماجاء مجملا في رواية البخاري عن أبي هريرة:</u>

<u>الأولى :</u>

لم يَردْ بَيَانُ الكَذَباتِ الثلاثِ التي اعْتَذرَ بها ابراهيمُ عليه السلام في هذا الحديث.

وجاء بيانُها في حديث آخر اتفق عليه كل من البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لَمْ يَكْذِبْ إبْراهيمُ عليه الصلاة والسـلام إلا ثلاث كَذَبـات، ثِنْتَيْنِ منهن في ذات الله عزَّ وجلّ، قوله إنِّي سَقيمٌ**(1) **وقوله بل فعله كبيرهم هذا** (2).

---

1) قوله إنّي سقيم : أي مريض مرضا نفسيا مؤلما لإصراركم على عبادة الأصنام .

2) لما حطّم إبراهيم عليه السلام أصنام قومه وجعلهم جُذاذًا طلبوا منه الإعتراف بعمله لِيُؤْذُوهُ فَنَسَب الفعل إلى صنمهم الكبير، لأن شدة تعظيمهم لذلك الصنم قد أغاظه اعظم الغيظ، حتى فعل مافعل، ولما كان غيظه من كبير الأصنام أعظم الغيظ نسب الفعل إليه، وهذا بعض ما قيل في تفسير قوله عليه السَلام.

وقال بينما هو ذاتَ يومٍ وَسَارَةُ إذ أتى على جبَّار من الجبابرة، فقيل له إن هذا رجل معه امرأةُ من أحسنِ الناس، فَأَرْسَلَ إليه، فسأله عنها، فقال منْ هذِه؟ قال أختي(1).

فأتى سارة فقال ياسارّةُ ليس على وجه الأرض مؤمِنٌ غيري وغيرُك وإن هذا سألني عنك، فأخبرته أنك أختي، فلا تُكَذِّبيني، فَأَرْسَلَ إليها، فلما دخلتْ عليه ذهب يتناولها بيده فأُخِذَ، فقال إدْعِي اللهَ لي ولاأضُرُّكَ، فدعت اللهَ فأُطْلِقَ ثم تناولها الثانية فأُخِذَ مثلَها أَوْ أَشَدَّ، فقال ادْعِي الله لي ولا أضُرُّك فدعتِ الله فَأُطْلِقَ.

فدعا بعضَ حَجَبَتِهِ فقال إنك لم تأتِني بإنْسَان إنما أتيْتَني بشيطان فَأَخْدَمَهَا هاَجَرَ.

فأتته وهو قـــائم يصلي، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ مَهْيَمْ (2) قـــالت ردَّ اللهُ كيْدَ الكافِرِ أو الفاجرِ في نحْرِه وأخْدَمَ هاجَرَ(3)).

__الثانية :__

ورد في مسند الإمام أحمد عن أبي بـــكر رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وســـلم عندما يأيته الراغبون في الشفاعة يوم القيامة يجيبهم بقوله (**أنا لها**).

إنّ قوله هذا ليس القصدُ منه التَّعالِيَ والفَخْرَ، وإنما كان تعبيرا عن ابـــتهاجه بلحـــظةِ التَّلَقِّي لما وَعَدَهُ الله به من إنْعَامٍ كريم في هَذَا المشهد العظيم، مشهد المقام المحمود.

__الثالثة :__

لم يَرِدْ في حديث أبي هريرة مِقْدَارُ الزمن الذي يبقى فيه رسول الله ساجدًا، وهو يُثْني على اللهِ.

وجاء في مسند الإمام أحمد عن أبي بكر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وســـلم (**يَخِرُّ ساجدا قَدْرَ جُمُعَةٍ**) يعني مقدارَ أسبوعٍ من أيام الدنيا.

__الرابعة :__

قد يقال إن الذين فزعوا إليه كانوا يطلبون منه أن يشفع في تعجيل الحساب لكل مَنْ في المحشر، فلماذا عند رفعه رأسه من السجود بادر قائلا (**أُمَّتِي يارب أُمَّتِي يارب؟**)

---

1) هي أخته في الله.

2) مهيم : ماالخبر؟

3) وقوله صلى الله عليه وسلم في الكذبات الثلاث ثنتين منهن في ذات الله قال الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي في شرحه زاد المسلم: في ذات الله أي بسببه ولأجله،وإنما خصهما بذلك لأن قصة سارة وإن كانت أيضا في ذات الله لكنها تضمنت نفعا لإبراهيم عليه السلام.

إنه صلى الله عليه وسلم ماقال ذلك إلا حِرْصًا منه في ذلك المَقَام الرهيب على سلامة أُمَّتِهِ في المرتبة الأولى، وذلك لسببين :

السبب الأول هو أن قوله ذلك جاء وفاءً لما كان وَعَدَ به أُمَّتَهُ، حيث كان يقول، (**لِكُلِّ نبيٍء دعوةٌ مستجابةٌ(1) فَتَعَجَّلَ كُلُّ نبيٍء دعوتَه، وإني اخْتَبَأْتُ دعوتي شفاعةً لأُمَّتِي يوم القيامةِ**) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

أمّا السبب الثاني فلأنه إذا فُتِحَ بابُ القضاءِ والجزاء لأُمَّتِه، فُتِحَ لها ولجميع مَنْ في المحشر، وقد كان يقول في مارواه الامام أحمد في مسند ابن عباس رضي الله عنهما(... **فإذا أرادَ اللهُ أن يَصْدَعِ بين خلقه نادى مناد أين أَحْمَدُ وأُمتُه، فنحن الآخرون الأولون، نحن آخِرُ الأُمَمِ وأوّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، فَتُفرِجُ لَنَا الأُمَمُ عن طريقنا، فَنَمْضِي غُرًّا مُحَجَّلِينَ من أثر الطُّهُورِ، فتقول الأُمَمُ كَادتْ هذه الأمةُ تكونَ أنبياءَ كُلُّهَا**).

كما رَوَى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**نحنُ آخِرُ الأُمَمِ، وأوّلُ منْ يُحَاسبُ، يقال أين الأُمةُ الأُمّيَّةُ ونبيُّهَا، فنحنُ الآخرون الأولون**).

كم لنبينا صلى الله عليه وسلم من شفاعة؟

لم يتفق علماء الأمة على عدَدِ شفاعاته صلى الله عليه وسلم، ولو أن أَكْثَرَهُمْ مُتَّفِقُونَ على توليِّهِ لها جميعًا.

وسببُ اختلافهم في عددها أنَّ بعضَ العلماءِ إذا عدَّهَا يُدْخِلُ نوعًا منها في غيره من الأنواع، بينما يُفَصِّلُهَا غيرُه تفصيلا.

فيرى المُكْثِرون مِنْ عَدَدِهَا أنها ثمانٍ، وهي :

1- الشفاعةُ العظمى، وقد تقدمَ سَنَدُهَا، ويضاف إليه مارواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وأبو عبد الله الحاكم عن أُبَيٍّ بن كَعْب رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**إذا كانَ يومُ القيامَةِ كُنْتُ إمَامَ النبيئين وخَطِيبَهُم، وصاحِبَ شَفَاعَتِهم، غَيْرَ فَخْرٍ**).

2- شفاعته في دخول قومٍ الجنة بغير حساب، وسَنَدُهَا هو مارواه الإمام أحمد في مسند أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال :(**سَأَلْتُ ربي عزّ وجلّ،**

---

1) **دعوات الأنبياء كلها على رجاء الإجابة إلا دعوة واحدة مقطوع بإجابتها هبة من الله لهم فبعضهم تعجلها في الدنيا وبعضهم ادخرها للآخرة.**

فَوَعَدَنِي أن يُدْخِلَ الجنةَ مِنْ أُمَّتي سبعين ألفا على صورةِ القَمَرِ ليلةَ البدرِ، فاسْتَزَدْتُ فزادِني مع كُلِّ ألفٍ سبعينَ ألفا).

كما روى السيوطي في الجامع الصغير مانسبه إلى هناد ورمز لحسنه أن أبا هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**سألتُ اللهَ الشفاعةَ لأمّتي فقال: لك سبعون ألفًا يَدْخُلُونَ الجنة بغير حساب ولاعَذَاب، قلت ربِّ زِدني فحَثَا لي بيدَيْه مرَّتين عن يَمِينِهِ، وشِمَالِهِ**).

3- شفاعَتُهُ لِطَوَائِفَ مِنَ المؤمنين كالصابرين على لأواء المدينة المنورة (1) وسندها مارواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لا يَصْبِرُ على لأْوَاءِ المدينةِ وشِدَّتِهَا أحدٌ مِنْ أُمَّتِي إلا كنتُ له شفيعًا يوم القيامة أو شهيدًا**).

وروى مسلم عن أبي سعيد مولى المهدي أنه جاء إلى أبي سعيد الخدري ليالي الحرة، فاستشاره في الجلاء عن المدينة، وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله، وأخبره أن لاصبر له على جهد المدينة ولأوائها، فقال له ويحك لاآمرك بذلك، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**لايَصْبِرُ أحدٌ على لأْوائِهَا فيَمُوتَ إلا كنتُ له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة إذا كان مسلما**).

4- شفاعته في قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وهذه الشفاعة ذكرها بعض العلماء، ولكني لم أقِف على سند لها.

5- شفاعته في رفع درجات من يدخلون الجنة فيشفع لهم لرفع درجاتهم فيها، وسند هذه الشفاعة هو مااستنبطه بعض العلماء من دعائه صلى الله عليه وسلم لأبي سلمة (**بأَنْ يرْفَعَ الله دَرَجتَهُ في المهْدِيِّينَ**) على مارواه مسلم عن أم سلمة.

6- شفاعته لأهل الكبائر من أمته، لقوله صلى الله عليه وسلم (**شفاعتي لأَهْلِ الكَبَائِرَ مِنْ أُمَّتِي**) وقد رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن حِبَّان وأبو عبد الله الحاكم عن جابر، كما رواه الطبراني عن ابن عباس، والخطيب البغدادي عن ابن عُمَر، وكعب بن عُجْرَةَ.

7- شفاعته في قوم دخلوا النار فيشفع فيهم ليخرجوا منها، وسندها رواه الإمام أحمد في مسند عِمْرَانَ بن حُصَيْن عن النبيء صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**يَخْرُجُ من النَّار قومٌ**

---

1) لأواء المدينة: ماقد يلحق ساكنها من شدة وجوع ونَحْوِهِمَا.

بشفاعةِ محمد صلى الله عليه وسلم يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّين)، ورواه أيضا البخاري عن أنس بن مالك كما رواه أبو داود والتِّرْمِذِي وابن ماجه.

كما رواه الامام أحمد في مسند حُذَيْفَةَ بن اليماني رضي الله عنه أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**يُخرِجُ الله قوما مُنْتِنِين قد مَحَشَتْهُمُ النارُ بشفاعة الشافعين، فَيُدْخِلُهُمُ الله الجنة فَيُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ**).

8- شفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب، وسندها مارواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه أنه سمع النبيء وقد ذُكِرَ عنده عَمُّهُ فقال: (**لعلَّهُ تنْفَعُهُ شفاعتي يوم القيامة، فيُجْعَلُ في ضَحْضَاحٍ من النار يبلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنه دماغه**).

كما روى البخاري ومسلم عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال للنبيء صلى الله عليه وسلم : ما أَغْنَيْتَ عنْ عَمِّكَ، فأنه كان يَحُوطُكَ، ويَغْضَبُ لك؟ قال (**هو في ضَحْضَاحٍ مِنْ نارٍ، ولَولا أنَا لكَانَ فِي الدَّرْكِ الأسْفلِ من النّار**).

تلك هي شفاعاته الثمَانية صلى الله عليه وسلم : ولو أنّ بعضها يتكرَّر أكثرَ من مرة كشفاعته في إخراج أقوام من النار، فيدخلهم الله الجنة بشُفاعته صلى الله عليه وسلم فِئات بعد فئات، فقد روى البخاري حديثا عن أنس بن مالك رضي الله عنه جاء فيه قوله صلى الله عليه وسلمً (... **فاستْأْذنُ على ربِّي فإذا رأيته وقعتُ ساجدا، فيدعُني ماشاء الله، ثمّ يُقَال إرْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، قُلْ يُسْمَعْ، واشْفَعْ تُشَفَّعُ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمُدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي، ثم أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا ثم أُخْرِجُهُمْ مِنَ النار وأُدْخِلُهُمْ الجنةَ.**

ثم أعود فَأَقَعُ سَاجدًا مِثْلَهُ في الثالثة أو الرابعة حتى مايبقى في النار إلاّ مَنْ حَبَسَهَ القرآنُ (1)) يعني من كتبَ الله عليه الخلود في النار.

وإن من العلماء من اختصروا عَدَدَ شفاعاتِه كُلِّهَا في عدد أقل من تلك الثمانية، فرأى ابنُ قَيِّم الجوزية أنها ستٌّ وذهب القاضي عياضٌ أنّها خمسٌ، بل قال ابن عطية في تفسيره إنها اثنتان فقط.

ومهما يكن العدد مختلفا فيه، فإن الشفاعة العظمى قد اتفقوا على أنها له وحده، وأما الشفاعة في العصاة، فهي له ولغيره.

---

1) أخرجه البخاري في باب صفة الجنة والنار من كتاب الرقاق، ولم يذكر المرة الثانية.

مشاهد السابقين قبل غيرهم إلى النار

كما ثَبَتَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من السعداء من يُدْخِلُهُم الله الجنة قبل غيرهم بلا حِساب ولاعَذَاب، وَرَدَ عنه صلى الله عليه وسلم أنّ مِنَ الأشقياء من يَلْتَقِطُهُمْ من الموقف عُنُقٌ من النار، فيدخلهم جهنم قبل غيرهم ممن شاء الله أن يدخلوها.

روى الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يَخْرُجُ عُنُقٌ من النار يوم القيامة له عينان يَبْصُران، وأُذُنَان يَسْمَعَان، ولسانٌ يَنْطِق، يقولُ وُكِّلْتُ بثلاثة، بكل جبَّارٍ عنيدٍ، وبكل مَنْ دعا مع الله إلهًا آخَرَ، وبالْمُصَوِّرِين (1)**).

وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قلت يارسول الله هل يَذْكُرُ الحبيبُ حَبِيبَهُ يوم القيامة؟

قال : (**ياعائشَةُ أمَّا عند ثلاث فَلاَ، إمَّا عِند المِيزان حتى يَثْقُلَ أو يَخِفَّ فلا، وإمَّا عِند تَطَايُر الكُتُب، فإمَّا أنْ يُعْطَى بِيَمِينهِ، أوْ يُعْطَى بشِمَالِهِ، فلا، وحين يَخْرُجُ عُنُقٌ من النّار، فيَنْطَوِي عليهم، ويَتغيَّظُ عليهم، ويقول ذلك العُنُقُ(2)وُكِّلْتُ بثلاثةٍ، وكِّلْتُ بمن ادّعَى مع الله إلهًا آخَرَ، وَوُكِّلْتُ بمَنْ لايُؤمِنُ بيوم الحِسَابِ، وَوُكِّلْتُ بِكُلِّ جَبَّارٍ عنيد، قال فَيَنْطَوِي عليهم، ويَرْمِي بِهِمْ في غَمَرَاتِ جهَنَّمَ**).

مشاهد الشفاعات يوم القيامة

أحْدَاثُ يومِ القيامة أحداثٌ متداخلة، فمنها مايحدث قبل الشفاعات ومنها ما يحدث بعد بعضِ الشفاعات.

ولقد اخترتُ أنْ أَجْمعَ مَاوَرَدَ في الشفاعات، وأضُمَّ بعضَه إلى بعض، كما أجْمَعُ مَاوَرَدَ في الحِساب والميزان والصراط، ليسهلَ تصوُّرُ كلِّ مشهد من هذه الأحداث بأبْعَاده الواردة عن الله ورسوله، ولأن ترتيبها حَسْبَ حدوث جُزْئِيَاتِهَا الدَّقِيقَة لانستطيع استيعابه بالدقة التي سيكون عليها، لأنه لم يَصِلْ إلينا خَبَرُهُ، ولأننا كَبَشَرٍ لسْنَا مُؤَهَّلِينَ للتَّصَوُّرِ الدقيق لكل مايحدثُ من جُزْئيّاتٍ في يوم كان مقدارُه خمسين ألف سنةً.

وإليك بيان ماورد في الشفعاء والشفاعات.

---

1) الملخص من أقوال العلماء أن المراد بالمصورين هم الذين يصنعون الصور المجسمة لكل مافيه روح، سواء صنعوها من فضة أو حديد أو خشب أو فخار أو شمع ... إلخ وليس المراد بهم المصورون بالآلات الفوتوغرافية.

2) العنق : هو القطعة من نار جهنم

من هم الشفعاء ؟

الشفعاء المأذون لهم في الشفاعة كثيرون، وهم: القرآن والصيامُ والملائكةُ والأنبــياءُ والشهداءُ وبعضُ المؤمنين الصالحين(1).

مشاهد شفاعات القرآن لأهله

لقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القــرآن يأتي يوم القــيامة شــفيعا لأصحابه.

فقد روى الامام أحمد ومسلم عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عيه وسلم قال، : (**اِقْرَأُوا القرآنَ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اِقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْن البقــرةَ وآلَ عِمْرَانَ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غَمَامَتَان، أو غَيَايَتَان** (2) **أو كأنّهما فِرْقَان من الطير صوافٌّ يُحاجَّان عن أصحابهما**).

بل لقد ورد عن الرسول أيضا أن سورةً واحدةً تَشْفَعُ لصاحبها فَيَغْفِرُ اللهُ له بشفاعتها، ويُدْخِلُهُ الجنة.

فقد روى أبو داود والترمذيّ والنّسَائي وابنُ ماجه والحاكم وابن حِبَّانَ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**إنَّ سُورةً في القــرآن ثلاثونَ آيةً شَفَعَتْ لرَجُلٍ حتى غُفِرَ له، وهي تَبَارَكَ الذي بِيَدِهِ المُلْكُ**).

وشفاعة القرآن لمن استظهره ابتغاءَ وجه الله سبحانه تُؤْوِيهِ في المحشــر إلى كثيب من مسك حتى يُفْرَغَ من حساب الخلائق .

روى الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**ثلاثةٌ لايَهُولُهُمُ الفَزَعُ الأكبَرُ، ولايَنَالُهُمُ الحِساب، هُمْ على كَثِيب مِنْ مِسْكٍ حــتى يُفْرَغَ من حِسَاب الخلائق**) فذكرمن بين الثلاثة رَجُلاً قرأَ القرآنَ ابتغاءَ وجهَ الله، وأَمَّ به قوْمًا وهم به رضوان.

قال الشيخ عبد العظيم المنذري وإسناد هذا الحديث لابأس به.

---

1) هذه الشفاعات للوقاية من نار جهنّم، وهناك شفاعات للخروج منها. انظر ص82 و 85.
2) الغياية: هي كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة والشمسية وغيرهما.

وفي بيان مايرغبُ فيه القرآنُ من التكريم لحامل القرآن يَرْوِي الترمذي وابــن خُزَيْمَةَ والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قــال: (**يَجئُ صاحــب القرآن يوم القيامة، فيقول القرآن يارب حلِّه، فيُلْبَسُ تاجَ الكَرَامَةِ، ثم يقــول يارب زِدْهُ، فيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ، ثم يقول يارَب إرْضَ عنه، فَيَرْضَى عنه، فيقال إقرأ وَارْقَ، ويَزْدَادُ بكل آيةٍ حسنة**).

وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حِبَّان عن عبد الله بــن عَمْرو بــن العاص رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**يُقالُ لصَاحِبِ القرآن يوم القيامة إِقْرَأْ وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرتِّلُ في الدُّنْيَا، فإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تقرَؤُهَا**).

كما رَوَى الإمام أحمد عن أبي سعيد أن النبيء صلى الله عليه وســلم قــال : (**يُقَــالُ لصاحب القــرآن يوم القــيامة – إذا دَخَلَ الجنةَ – إِقْرَأْ واصْعَدْ، فَيَقْرَأُ ، ويَصْعَدُ بِكُلِّ آيةٍ درجَةً، حتى يقرَأَ آخِرَ شيءٍ مَعَهُ**).

ومن مزيدِ فضل الله على حامل القرآن أنّ الله يُكْرِمُ أَبَوَيْهِ يوم القيامة أعظَمَ التكريم، إذا كان مُلْتَزِمًا بالعمل بما في القرآن.

روى الترمذي وابن ماجه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ قَرَأَ القرآنَ فاسْتَظْهَرَهُ، فأحلَّ حــلالَه وحــرَّمَ حَرَامَهُ، أَدْخَلَهُ اللهُ بِهِ الجَنَّةَ، وشفَّعَهُ في عَشَرَةٍ من أهل بيتهِ، كُلُّهُمْ قد وجبتْ لــهُمُ النّارُ**).

وروى الإمام أحمد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني أن النبيء صلى الله عليه وســلم قال: (**منْ قرأَ أَلْفَ آيةٍ في سبيل الله تبارك وتعالى كُتِبَ يوم القيامة مع النبــيئين والصِّدِّيقِينَ والشُّهدَاءَ والصّالحين وحَسُنَ أولئك رَفِيقًا إن شاء الله تعالى**).

وإذا كان حامل القرآن ينال يوم القــيامة من فضل الله منالاً عظيما، إذا كان عاملا بما أنزل الله في القرآن، فإن الله يدخله النار إذا حَفِظَه و لم يعمل بما فيه.

روى ابن حِبَّان في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**القرآنُ شافِعٌ مشــفَّعٌ، ومأحِلٌ مُصدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ، قَادَهُ إلى الجنة، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إلى النَّارِ**).

إذْنُ الله في الشفاعة في بعض من دخلوا النار

إذْنُ الله تعالى في الشفاعة لأهل الايمان ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذلك لأنَّ من أهل الإيمان مَنْ يُذْنبُونَ في الدنيا، ولكنَّ الله لم يُكِفِّرْ عنهم سَيِّئَاهِمِ لا في حياقم، ولا بعد مماقم، فهؤلاء يؤاخذهم الله بذنوبهم فيكونون من أهل النار، ثم تُدْرِكُهم رحمة الله بشفاعات الشافعين.

روى الإمام أحمد في مسند أبي سعيد الخُدْريّ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (... **فأمّا أهْلُ النّار فلا يموتون ولايَحْيَوْنَ، وأمَّا ناسٌ فَيُؤْخَذُونَ بِذُنُوبِهم، فَيُحْرَقُون، فيكونون فَحمًا، ثم يَأْذَنُ الله في الشفاعة**).

وروى مسلم عن أبي سعيد أيضا (**ولكنْ ناسٌ أصَابَتْهُمُ النّارُ بذنوبهم أوْ قال بخَطايَاهُمْ، فأمَاتَهُمْ إمَاتَةً، حتى إذا كانوا فحْمًا، أذنَ بالشفاعة، فجيء بهم ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ (1) فَبُثُّوا على أنهارِ الجنَة، ثم قيل يا أهل الجنّة أفِيضُوا عليهم من الماء، فَيَنْبُتُونَ نباتَ الحبَّةِ تكونُ في حَميلِ السّيْلِ**).

وروى الإمام أحمد والترمذي عن جابر بن عبد الله أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يُعَذّبُ ناسٌ من أهل التوحيد، فَيُطْرَحُون في النار، حتى يكونوا فيهَا حُمَمًا، ثمّ تُدرِكُهمُ الرّحمة فَيُخْرَجُون ويُطْرَحُون على أبْواب الجنةِ، فَيَرُشُّ عليهم أهلُ الجنةِ الماءَ، فَيَنْبُتُونَ كما يَنْبُتُ الغُثَاء في حِمَالَةِ السَّيْلِ، ثم يُدْخَلُون الجنةَ**).

وهكذا يتبيّن أن من اهل الايمان من يدخلون جهنم، فيكونون فيها على الوصف الذي بيّنهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم زمنا لايَعْلَمُ مِقدَارَهُ إلا الله، وبعد انقضاء الزمنِ الُمقَرَّرِ في علم الله تُدْرِكُهُم الرحمة، فيأذَنُ الله في الشفاعة، ويكون عَدَدُ المشفوعِ فيهم علَى مِقْدَارِ منازِلَ الشفعاء عندَ الله، فأعظم الشفعاء مترلة عند الله يكون أوسَعَهُم شفاعةً في المؤمنين المُذْنِبينَ.

مشاهد شفاعات الملائكة

كل الشفعاء لايشفعون إلا بإذن الله تعالى، فلا شفاعة إلا حَسْبَ إرادته إذا كان المشفوع فيه أهلا للشفاعة، فقد قال سبحانه، (**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَ بِإذْنِهِ**) البقرة(255).

---

1) ضبائر جمع ضبارة، أي جماعات في تفرقة.

وقال : (**فَيَوْمَئِذٍ لاَ تَنْفَعُ الشفاعةُ عِنْدَهُ إلاَّ لِمَنْ أذنَ لَهُ**) سبأ – 23.

وشفاعة الملائكة ثابتةٌ بالقرآن في قول الله تعالى (**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ(26)لا يَسْبقُونَهُ بالْقَوْل، وَهُمْ بأَمْره يَعْمَلُونَ(27)يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إلا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ(28) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ(29)**) الأنبياء .

كما ثبتت شفاعة الملائكة بقوله تعالى (**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضَى(26)**) النجم.

بل إنّ الله تعالى قد أخبرنا بمن تشفع لهم الملائكة، وبمحتوى شفاعتهم، فبيّن سبحانه أهم يشفعون للتائبين المهتدين، فيسألون الله ان يغفر لهم مغفرة عامة، ثم يسألون لهم الفوز بالجنة والنجاة من النار، وفوق كل ذلك يشملوهم بهذه الشفاعة مع من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياهم.

فيا له من تكريم عظيم للتائبين المهْتَدِينَ.

يقول الله تعالى في بيان ذلك (**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ(7)رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّات عَدْن الَّتِي وَعَدْتَهُم وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(8)وَقِهِمُ السَّيِّئَات وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَات يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(9)**) غافر.

ومما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شفاعة الملائكة ما رواه الامام أحمد في مسند أبي بَكْرَةَ أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**يُحْمَلُ الناسُ على الصراط يوم القيامة، فَتَقَادَعُ (1) بِهِمْ جَنْبَةُ الصِّرَاط تقادُعَ الفَرَاشِ في النار، قال فيُنَجِّي اللهُ برحمته مَنْ يشاء.**

قال ثم يُؤْذَنُ للملائكةِ والنبيئين والشهداءِ أنْ يَشْفَعُوا فَيَشْفَعُونَ ويُخرِجُون، ويَشْفَعُونَ ويُخرِجُونَ، ويَشْفَعُونَ ويُخرِجُونَ.

وزاد عفّان – راوي الحديث – مرّةً فقال ويشفعون ويُخرِجُونَ مَنْ كَانَ في قَلْبه ذرةٌ مِنْ إيمَانٍ.)

---

1) فتقادع: أصل الكلمة فتتقادع والمعنى فتسقط بعضهم فوق بعض في جهنم

مشاهد شفاعات الأنبياء

أعْظَمُ شفاعات الأنبياء وأوْسَعُهَا وأَكْرَمُهَا هي الشفاعةُ العظمى، وهي التي أكْرَمَ الله بها نَبِيَّنَا محمدا صلى الله عليه وسلم، وهي المَقَامُ المَحْمُودِ الذي يحمده فيه الخالق والمخلوق.

كما وهب الله له شفاعاتٍ أُخْرَى بعد الشفاعة العظمى، وقد تقدم الحديث عن كل ذلك بصفحة 61 وما بعدها.

ومن فضل الله سبحانه أنه وَهَبَ لغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شفاعاتٍ لايحصيها إلا هو.

ولقد استفدنا أن للأنبياء شفاعات من أحاديثَ كثيرة، منها مارواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخُدْري، رضي اللهً عنه في حديث طويل جاءً فيه قول النبيء صلى الله عليه وسلم (**... فيقولُ اللهُ عزّ وجلّ شفَعَتِ الملائكةُ وشَفَعَ النبيئون، ولم يبقَ إلاّ أرْحَمُ الراحمين**).

ومنها ماروَاه ابن ماجَه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يشْفَعُ يومَ القيامةِ ثلاثةٌ، الأنبياءُ ثم العُلَمَاءُ ثم الشّهداءُ**).

ومنها ماروَاه الإمام أحمد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: (**ثمّ يُقَالُ ادْعُوا الصِّدِّيقينَ فَيَشْفَعُونَ، ثمّ يقال ادْعُو الأنبياءَ، قال فيجيءُ النبيءُ ومَعَهُ العِصَابَةُ** (1) **والنبيءُ ومعه الخَمْسَةُ والستّةُ، والنبيءُ وليس معه أحدٌ، ثم يقال أدْعُوا الشّهداءَ فيشْفَعونَ لِمَنْ أَرَادُوا**).

ومنها ماروَاه أحمد أيضا عن أبي بَكْرَةَ الثقفِيّ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يُحْمَلُ النّاسُ على الصّراطِ يوم القيامة فَتَقادَعُ بِهِمْ جَنْبَةُ الصراطِ تَقادُعَ الفَرَاشِ في النّارِ، قال فيُنَجّي الله برحمته مَن يشاء.**

قال ثم يؤذن للملائكةِ والنبيئين والشهداءِ أن يَشْفَعُوا فيشفعون ويُخرِجون، ويشفعون ويُخرِجون، ويشفعون ويُخرِجون، ويشفعون ويخرِجون من كان في قلبه مايزن ذرة مِن ايمان).

---

1) العصابة هي الجماعة التي يكون عددها بين العشرة والأربعين

لقد تبين من هذه الأحاديث أن الله تعالى قـــد وَهَب الشـــفاعةَ لأصناف من خلقـــه يشفعون يوم القيامة في المؤمنين المذنبين.

ويلاحظ أن من الأحاديث ماجاء فيه عددٌ معَيّنٌ من الشـــفعاء، ومنها ما جاء فيه عدد أقل، ولاغرابة في ذلك لأن الاختصار معروف في كل كلام لا يلتزم قـَـائله ولاناقلُه بالحصر.

كما يلاحظ أن من الأحاديث ماجاء مرتّـــــــبًا للشفاعات ومنها ما ذكرها من غير ترتيب.

والذي يظهر أن أبـــا بـــكر وعثمان رضي الله عنهما مااختلفتْ روايتهما في ترتيب الشفاعات إلا من أجلِ أن يوم القيامة هو يومٌ تتداخل فيه الأحْدَاثُ، فقد يكون الحدث اللاحق سابقا باعْتِبَارِ مُعَيَّن، كما قد يكون الحدث اللاحق سابقا باعتبـــار آخَرَ، ومِنْ هُنا قـــد يكون اختلافُهما في الترتيب ناشئًا عن تَدَاخُلِ المواقـــف في ذلك اليوم مع وُثوقِنَا بـــأنهما مانَقَلاَ إلا ماسَمِعَا من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أعلم.

ثمّ إنّ كلّ الروايات قد اتَّفَقَتْ على الشفاعةِ في المُذْنِبِينَ المُوَحِّدِينَ وعلى أنَّ مِمَّنْ يقومُ بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

مشاهد شفاعات الشهداء

منازل الشـــهداء عند الله، لاتفضلها ولاتفوقـــها إلا منازل الأنبـــياء عليهم الصلاة والسلام، ولسوف يشهد جميعُ البشر عظمةَ تلك المنازل إذا دُعي الشهداء إلى أرض المحشـــر، **(وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ(69)وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ(70))** الزمـــــــــر، **(وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ)** الحديد -19.

لقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرًا مِنْ أَحْوَال الشهداء، فذكر أنهم كثيرون في هذه الأمة والحمد لله على فضله، كما بَيَّنَ مايناله شهيد المعركة من رفيع الدرجات. فذكر أن مما أكرمَهُ اللهُ به أنه يكون شفيعا يوم القيامة. وأمرنا صلى الله عليه وسلم أن نُعَامِلَ الشهداءَ عند دفنهم مُعَامَلَةً خاصة لايُشاركهم فيها أحدٌ.

وإليك البعض مما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن الشهداء.

شهداء أمَّتنَا كثيرون :

روى الإمام أحمد في المسند حديثين جاء في كل منهما ذكر خمسة من أنواع الشهداء، وقد اتفق الحديثان على ثلاثة، وانفرد كل حديث باثنين، فكان مجموع مافي الحديثين سبعة.

أما الحديث الأول فهو ماروواه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (**مَاتَعُدُّون الشَّهِيدَ؟**) قالوا الذي يُقاتِل في سبيل الله حتى يُقْتَلَ، قال صلى الله عليه وسلم : (**إن الشَّهيدَ في أمتي –إذَنْ – لَقَليلٌ، القتيلُ في سبيل الله شهيدٌ، والطّعينُ(1) في سبيلِ الله شهيدٌ، والغريقُ في سبيل الله شهيدٌ، والخارُّ(2) عن دابَّتِهِ في سبيل الله شهيدٌ، والمَجْنُوبُ(3) في سبيل الله شهيدُ**).

وأما الحديث الثاني فهو ماروواه عن راشد بن حبيش رضي الله عنه ان النبيء صلى الله عليه وسلم دخل على عُبادةَ بن الصامِتِ يعودُه في مرضه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أتعلَمُونَ من الشّهيدُ مِنْ أُمَّتِي؟**) فأرمَّ القوم (4) فقال عُبادة بن الصامتِ سانِدُوني، فأَسْنَدُوهُ، فقال يارسولِ الله الصابرُ المُحْتَسِبُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إنّ شهداءَ أمَّتِي إذَنْ لَقَلِيلٌ، القَتْلُ في سبيل اللهِ عزّ وجلّ شهادةٌ، والطاعُون شهادةٌ، والغَرَقُ شَهَادَةٌ، والبَطْنُ شَهَادَةٌ، والنُّفَسَاءُ يجرُّها ولدُهَا بِسَرَرِهِ إلى الجنة**).

كما روى الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح عن ربيع الانصاري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**الطَّعْنُ (5) والطاعُونُ، والهَدْمُ وأكْلُ السَّبُعِ، والغَرَقُ، والحَرَقُ، والبَطْنُ، وذاتُ الجَنْبِ شهادةٌ**).

وليس عدد أنواع الشهداء محصورا في هذه السبعة، بل إن الشيخ ابن العِمَادِ قد التقط أنواعهم مما وقف عليه في الأحاديث النبوية بما فيها من صحيح أو حسن أو ضعيف، فكانت تلك الأنواع اكثرَ من ثلاثين نوعا، نظمها في أبيات، منها قوله رحمه الله:

خُذْ عَدَّ الشهداء سَرْدًا نَظْمًا　　واحفَظْ هُدِيتَ للعُلُوم فَهْمَا

مُحِبُّ آلِ المُصْطَفَى ومَنْ نَطقْ　　عِنْدَ مَلِيكٍ جائِرٍ بقَولِ حقّْ

---

1) الطعين هو الميت في الوباء العام، وقد روى البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: (الطاعون شهادة لكل مسلم).

2) الخار: الساقط

3) المجنوب صاحب ذات الجنب وتسمى الدبيلة، وهي دمل كبير يكون في باطن الجنب ثم ينفجر من الداخل، وقلما يسلم المصاب به.

4) أرم القوم : سكتوا.

5) الجرح بالرماح ونحوها إذا أفضى إلى الوفاة

هل منازل الشهداء سواء؟

يقول علماء الأمة، إن كل إنسان لابد أن يموت على حالة من أربع حالات :

1) أن يكون شهيدا في الدنيا والآخرة (عند الله وعند الناس)

2) أن يكون شهيدا في الدنيا فقط (عند الناس لاعند الله)

3) أن يكون شهيدا في الآخرة فقط (عند الله لا عند الناس)

4) أن لايكون شهيدا لا في الدنيا ولا في الآخرة (عند الله وعند الناس)

أما الحالة الأولى فهي التي يموت فيها المؤمن وهو يقاتل من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، ويدركه الموت وهو في ساحة المعركة وهذا هو المعروف بشهيد المعركة.

والحالة الثانية هي التي يموت فيها الرجل وهو يقاتل مع المسلمين، ولكنه ليست له نية لاعلاء كلمة الله بل كان قتاله لأي غرض آخر.

والحالة الثالثة هي التي يموت فيها الانسان مصابا ببعض ماورد عن النبيء صلى الله عليه وسلم من غرق وحرق وهدم... إلخ .

والحالة الرابعة هي التي يموت فيها الانسان موتة ليست من الحالات الثلاثة وهي الأكثر عددا في أموات الناس.

إن أعلى المراتب وأكْرَمَهَا على الله، وأرْفَعَهَا منزلةً وأعظمَ أجرًا هي الحالة الأولى، حالة شهيد المعركة وهو الذي أثبت الله له الحياة في حال موته ، فقال تعالى :(**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**) آل عمران -169، ومن أجْلِ أنَّهُمْ أحياءٌ لايُفْعَلُ بهم مايفعل بغيرهم من الأموات، فشهيد المعركة لايُغْسَلُ، ولايزال عنه الدم، بل يدفن بدمه، حتى يُبْعَثَ بدمه الذي سيكون ريحُه يوم القيامة أطيَبَ مِن ريح المسك، كما أنه لايُكَفَّنُ إلا في ثيابه التي مات فيها، ولايُصَلَّى عليه، لأن الصلاة لم تُشْرَعْ على الأحياءِ، وشهيدُ المعركة حيٌّ ولو مات.

قال الإمام مالك رضي الله عنه في المُوَطَّأ : بلغني عن أهل العلم أنهم كانوا يقولون الشهداء في سبيل الله لايغسلون، ولايصلَّى على أحد منهم، وأنهم يدفنون في الثياب التي قتلوا فيها.

قال : وتلك السنة في مَنْ قُتِلَ في المُعْتَرَكِ، فلم يُدْرَكْ حتى مات، وأما مَنْ حُمِلَ منهم

فعاش ماشاء الله بعد ذلك، فإِنَّهُ يغسل ويصلَّى عليه، كما عُمِل بعمرَ بـــنِ الخطاب رضي الله عنه.

وروى أيضا في الموطإ عن عبد الله بـــن عمر رضي الله عنهما أن عمر غســـل وكفن، وصُلِّيَ عليه، وكان شهيدا يرحمه الله.

وأما مَنْ مات على الحالة الثانية فهو الذي كان يقاتل في صفوف المســـلمين ولم يكن ينوي بقتاله أن تكون كلمة الله هي العليا، ومات في المعركة، فهذا شـــهيد عند الناس فقـــط، وعليهم أن يعاملوه بظاهر حاله، فيفعلوا به مايفعلون بشهيد المعركة، فلا يغســـل، ولا يكفن، ولايصلى عليه، ولكنه عند الله ليس بشهيد، لأن الله وحده هو المُطَّلِعُ على مافي سريرته.

روى الإمام أحمد عن عتبة بن عبيد السلمي أنه قال: قـــال رســـول الله صلى الله عليه وسلم: (**القَتِيلُ ثلاثةٌ**:

رجلٌ مؤمنٌ قاتل بنفسه ومالِهِ حتى إذا لقي العَدُوَّ قاتلَ حتى يُقْتلَ، فذلك الشـــهيدُ المُفْتَخِرُ في خَيمَةِ الله تحتَ عرْشهِ لايَفْضُلُهُ إلا النّبيئون إلا بدرجة النبوة.

ورجلٌ مُؤمنٌ قَرَفَ على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله في سبـــيل الله، حتى إذا لقي العَدُوّ قاتل حتى يُقْتَلَ، مُحِيَتْ ذُنُوبه وخطاياه، إن الســـيفَ محّاءُ الخطايا، وأُدْخِلَ مِنْ أيِّ أبواب الجنةِ شاء، فإنّ لها ثمانيةَ أبواب، ولجهنم سبعةَ أبواب.

ورجلٌ مُنَافِقٌ جاهد بنفسه وماله، حتى إذا لَقِي العَدُوَّ قاتَلَ في سبيل الله (1) حـــتى يُقْتَلَ، فإن ذلك في النار، السيفُ لايَمْحُو النفاق).

كما روى الإمام أحمد عن فَضَالَةَ بن عُبيد أنه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـــول: (**الشّهداءُ أربـــعة: رَجُلٌ مؤْمِنٌ جَيِّدُ الإيمان، لَقِيَ العَدُوَّ، فصَدَقَ اللهَ حَتَّى قُتِلَ، فَذَلِكَ الذي يرْفعُ الناسُ إليه أعْيُنَهُمْ يوم القـــيامة هكذا – ورفع رأسه حتى وقعتْ قَلَنْسوَّتَهُ– قـــال فما أدري أقَلَنْسُوَّةَ عُمَرَ أراد، أم قلنســـوة النبيء صلى الله عليه وسلم.**

قال ورجل مؤمنٌ جيد الإيمان لقـــي العَدُوَّ، فكأنما ضُربَ جِلْدُهُ بِشَوْكِ طَلْحٍ(2) مِنَ الجُبْنِ، أتاه سَهْمٌ غرْبٌ فقتله فهو في الدرجة الثانية.

---

1) أي قاتل في صفوف المسلمين، فكان قتاله كأنّه في سبيل الله في مايبدو من حاله.
2) الطلح : شجر من العضاه، وهي كل شجر يعظم وله شوك.

ورَجُلٌ مؤمِنٌ خَلَط عَمَلاً صَالِحًا وِآخِرَ سَيِّئًا لقِيَ العدُوَّ، فَصَدَقَ الله حتّى قُتِلَ فذلِك في الدرجة الثالثةَ.

ورجلٌ مؤمنٌ أَسْرَفَ على نفسه لَقِيَ العَدُوَّ، فَصَدَقَ الله حتى قُتِل، فذلك في الدرجة الرابعة).

وأمّا من يموتون عى الحالة الثالثة فهؤلاء لايُفْعَلُ بهم مايفعل بشهداء المعركة، ولو أنهم شاركوهم في الوصف، فهم جمِيعا شهداء كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن هؤلاء يغسلون، ويكفنون، ويُصَلّى عليهم.

وماكان هؤلاء ملحقين بالشهداء إلا لما أكرمهم الله بـه من الأجر العظيم، ومع ذلك فإن مترلتهم لاتبلغ مترلة شهداء المعركة.

وأما أموات الحالة الرابعة فهم مشمولون بالحكم العام الوارد في قول الله تعالى: (**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ(160)**) الانعام.

وفي قولِهِ: (**مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أساءَ فعليها، ومَا ربُّكَ بظلاَّم للعبيد**) فصّلت 46.

ماأكرم الله به شهيد المعركة

لقد منَّ الله سبحانه على شهيد المعركة فأكرمه بعديد المكارم، وإليك بعض مابين رسول الله صلى الله عليه وسلم منها.

1– إنه لايَجد ألَمًا من القتل.

روى النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**الشهيدُ لايَجِدُ مِنَ القَتْلِ إلاَّ كَمَا يَجِدُ أحَدُكُمْ منَ القَرصَة يُقرَصُهَا**)

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مايجدُ الشهيدُ منَ القَتْلِ إلاّ كَمَا يَجِدُ أحَدُكُمْ من القَرْصَةِ**).

2– تتسارع إليه الخيرات :

روى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال:

(لاتَجفُّ الأرْضُ مِنْ دَمِ الشّهيدِ حَتَّى تبْتَدِرَهُ زوجتاه كأنهما ضِئْرَان أضلّتَا فَصِيــلَيْهِمَا في بَرَاحٍ من الأرض(1)، وفي يدِ كلٍّ واحِدَة منهما حُلّةٌ خيرٌ من الدنيا ومافيها).

3- يزداد كرامة على قدر ما معه من القرآن

روى البخاري عن جابر رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم كان يَجْمَعُ بــين الرجلين مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ في ثوبٍ واحِدٍ، ثم يقول (**أيُّهُمْ أكْثَرُ أخْذًا للقــرآن**؟) فإذا أشــير إلى أحدهما قدَّمَه في اللّحْدِ. وقال صلى الله عليه وسلم: (**إنّي شَهِيدٌ على هؤلاءِ يوم القيامة**) وأمر بدفنهم في دمائهم، و لم يغسلوا، و لم يُصَلَّ عليهم.

4- أنه لايفتن في قبره.

روى النّسائيّ أنّ رجلا قــال يارســول الله مابَالُ المُؤْمنينَ يُفْتَنُون في قُبُورِهِمْ(2) إلاّ الشَّهيدَ؟ قال صلى الله عليه وسلم (**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ على رأْسِهِ شهَادَةً**).

5- يَعْلُقُ من ثَمَرِ الجنةِ قبلَ يوم القيامة.

روى الترمذي عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قــال: (**إنّ أرْوَاحَ الشهداءِ في طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الجنّة، أو شَجَرِ الجنة**).

6- تُكَفّرُ كلُّ خطاياه إلا الدَّيْنَ

روى الترمذي عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قــال: (**القَتْلُ في سبيل الله يُكَفِّرُ كُلَّ خَطِيئَةٍ**) قال جبريل إلا الدَّيْن، فقال رسول الله (**إلاّ الدَّيْن**).

وروى مسلم في صحيحــه عن أبي قَتَادَةَ رضي الله عنه أن رســول الله صلى الله عليه وسلم قام فيهم، فذكر لهم أنَّ الجهادَ في سبيل الله، والإيمَانَ بالله أفضل الأعمال، فقــام رجل فقال يارسول الله، أرأيت إنْ قُتِلتُ في سبيل الله تُكَفَّرُ عَنّي خَطَايَايَ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (**نَعَمْ، إن قُتِلْتَ في سبيل الله وأنتَ صابرٌ مُحْتَسِبٌ(3) مُقْبِلٌ غَيْرُ مدْبِرٌ**).

ثم قال له رسول الله (**كيف قُلْتَ؟**) قال أرأيتَ إن قُتلتُ في سبــيل الله أتُكَفّرُ عني خطاياي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**نَعَمْ وأنتَ صابــرٌ، مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدبــرٍ، إلاّ الدّينَ، فإنّ جبريلَ عليه السلامُ قال لي ذلكَ.**

---

1) الضئر : المرضعة، والفصيل، ولد الناقة ، والبراح: الأرض المتسعة التي لانبات فيها ولا بناء.
2) يفتنون في قبورهم : يسألهم الملكان
3) مخلص لله في جهادك، محتسبا أجرك عليه.

7- يود أن يحيا فَيُقتلُ مرّاتٍ في سبيل الله.

وروى الترمذي عن أنس رضِيَ الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مامن أحدٍ مِنْ أهلِ الجنةَ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجعَ إلى الدنيا غيرَ الشـــهيد فإنه يُحِبُّ أن يَرْجِعَ إلى الدّنيا، يَقُولُ حَتَّى أُقْتَلَ عَشْرَ مرّاتٍ في سبيل الله مِمّا يرى مّما أعطاهُ اللهُ من الكَرامة**).

وروى الترمذي عن أنس أيضا أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَا مِنْ عبْدٍ يَمُوتُ له عند الله خيرٌ يحبُّ أَنْ يَرْجعَ إلى الدنيا، وأنّ له الدنيا ومافيها، إلاّ الشـــــهيد، لما يرى من فضْلِ الشّهادةِ، فإنَّهُ يحبُّ أنْ يرْجِعَ إلى الدنيا، فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى**).

وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قـــال: (**ماأحدٌ يَدْخُلُ الجنَّةَ يُحِبُّ أن يَرْجعَ إلى الدنيا، وله مَاعلى الأرضِ من شـــيءٍ، إلاّ الشَّهِيدَ، يَتَمَنَّى أنْ يَرْجعَ إلى الدنيا فيُقْتَلَ عشْرَ مرّاتٍ لما يَرَى من الكرامة**).

8- يجعله الله من الشفعاء

روى ابن ماجه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قـــال: (**يَشْفَعُ يومَ القِيَامةِ ثلاثةٌ، الأنبياءُ ثم العلماءُ، ثمّ الشهداءُ**).

وَمِن مشاهد شفاعات الشهداء

روى أبو داود عن نِمْرَانَ بن عتُبة الذماري أنه قال: دخلنا على أُمّ الدرداء ونحن أيتامٌ فقالت أبْشِرُوا، فإنّي سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم: (**يَشْفَعُ الشهيدُ في سبعين منْ أهلِ بيته**).

وروى الإمامُ أحمد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء فيه قوله (... **ثمّ يقال أُدْعُوا الشهداءَ فَيشفَعُونَ لِمَنْ أرادُوا**).

وروى الترمذي وابن ماجه عن المقدام بن معد يكرب أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**للشَّهيدِ عند الله ســـتٌّ خصال يُغفرَ له في أوّل دُفْعَةٍ، ويَرَى مَقْعَدَهُ من الجنة، ويُجارُ منْ عذاب القبرِ، ويُوضَعُ على رأسِهِ تاَجُ الوَقَار، اليَاقُوتةُ منْهُ خيْرٌ من الدّنيا ومافيها، ويُزوّجُ اثنتيْنِ وسَبعينَ منَ الحُورالعِين، ويشفع في سبعينَ مِنْ أقاربهِ**).

مشاهد شفاعات المؤمنين المكرمين

من فضل الله على عباده أنّه سبحانه خلق لبعضهم قلوبا تتدفق منها الرحمة في الدنيا و في الآخرة.

فكان أصحاب هذه القلوب الرحيمة لايرتاحون إلى ماهم فيه من النعيم المقيم، إذا رأوا أناسا من إخوانهم المؤمنين محرومين أو معذَّبين.

وبما أودع الله في قلوبهم من الرحمة فإنهم تأخذهم رِقَّةٌ وشفقةٌ على إخوانهم، فيتوجهون إلى الله شافعين لهم، فيتفضل سبحانه بقبول شفاعاتهم على مايقتضيه حـلمه وغفرانه، وعلى مايجود به كرمه وإحسانه.

لقد تحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أنواع من شـفاعات المؤمنين لبـعض المؤمنين، فكان مما ورد عنه في ذلك مارواه الدّارميُّ في مسند عبد الله بن أبي الجَدْعَاء أنه قـال سمعت رسول الله صلى الله عليهُ وسلم يقول: (**لَيَدْخُلَنَّ الجنةَ بشفاعة رجل من أمتى أكثرُ مِنْ تميم**) قالوا سواك يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: (**سِوَايَ**)

وروى الإمام أحمد في المسند عن الحارث بن أقيش أن أبا بَرْزَةَ رضي الله عنه قـال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (**إنّ منْ أمّتي لَمَنْ يَشْفَعُ لأكثرَ منْ ربيعةَ ومُضَرَ، وإنَّ مِنْ أمّتي لَمَنْ يعْظُمُ لِلنار، حتى يَكُونَ رُكْنًا مِنْ أركانها**).

كما روى الإمام أحمد في المسند عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**قـد أَعْطَى اللهُ لكلِ نبيء عطيّةً، فكلٌّ قـد تعجَّلهَا، وإنّي أخَّرْتُ عَطيَّتي شفاعةً لأمّتي**.

وإن الرّجلَ منْ أُمّتي لَيشْفَعُ للقبيلَةِ، وإنّ الرجلَ ليشفَعُ للعُصْبَةِ، وإن الرجل ليشفع للثلاثة، وللرجلين، وللرجل)

وروى التِّرْمِذيّ عن الحسن البصريّ أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: (**يَشْفَعُ عثمانُ بن عفّانَ يومَ القيامةِ في مثْل رَبيعَةَ ومُضَرَ**).

هكذا رواه الترمذي عن الحسن البصري، غير أنّ الحسن لم يذكر من رواه من الصحابة عن رسول الله، ولو أن عثمان رضي الله عنه هو أهل لذلك وأكثر، والله ورسوله أعلم.

كما روى مسلم في صحيحه عن أبي سـعيد الخدري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله

عليه وسلم قال: (... **إذا خَلَصَ المؤمنُون من النار(1) فَوَالذي نَفْسي بيَدِه مَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ بأشَــدَّ مُنَاشَدَةً لله في اسْتِقْصاء الحقِّ مِنَ المؤمنين لله يوم القـيامة لإخْوَانهَمُ الذين في النّار، يَقُولُونَ ربَّنا كانُوا يصُومُونَ معنَا، ويُصلُّونَ، ويحُجُّون، فيقــال لهم أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُم، فَتَحْرُمُ صُوَرُهُمْ على النَّارِ فيُخْرِجُون منها خَلْقًا كثيرا، قد أَخَذَت النّار إلى نصفِ ساقِهِ وإلى رُكْبَتَيْهِ(2).**

ثم يقولون ربنا مابقيَ فيها أحدٌ ممَّنْ أمَرْتَنَا به، فيقول إرجِعُوا، فمن وَجَدْتُم في قلبه مثقال دِينَار(3) من خير فَأَخْرِجُوه، فَيُخْرِجُونَ خلقًا كثيرا.

ثم يقولون ربنا لَمْ نَذَرْ فيها أحدًا ممَّن أمَرْتَنَا، ثم يقــول إرجعُوا، فمن وَجَدْتُمْ في قَلْبِهِ مثْقَالَ نصْفِ دينارٍ من خير فأخرِجُوهُ، فيُخرِجُونَ خلقا كثيرا.

ثمّ يقولونَ ربنا لَمْ نَذَرْ فيها ممَّن أمَرْتَنَا أحدا، ثم يقــول ارجِعُوا، فمن وَجَدْتُمْ في قَلْبِهِ مثْقَالَ ذرَّةٍ من خير فأخرِجُوهُ، فيُخْرِجُونَ خلقا كثيرا).

ثم يتحنّنُ الرحمان فيشفعُ في مَنْ لم يَعْمَلُوا خيرًا قطّ، على ماسيأتي في شــفاعة أرحــمِ الراحمين سبحانه.

بقي أن نعلم ما المرادُ بالخير الذي هو في القلوب؟

المرادُ بذلك هو مابيَّنَهُ الإمام القُرْطُبي رحمه الله في التَّذْكِرَة، ومُلَخَّصُ بيانه هو أن المرادَ به الإيمانُ، والذي يدل على ذلك مافي رواية مَعْبَدِ بن هلال العَنَــزي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيها (**فأقول ياربّ أمتي أمتي، فَيُقَالُ إنْطَلِقْ، فمن كانَ في قلبه مثقالُ حبَّةٍ من إيمان فَأَخْرِجْهُ منها).**

والمُرَادُ مِنَ الإيمان هُوَ الأَعْمَالُ الصالِحة التي يَقْتَضِيهَا الإيمانُ، على حد قــول الله تعالى (**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**) البقرة –143 أي صَلاَتَكُم (4)

---

1) يعني إذا اجتازوا الصراط فلم تأخذهم النار ودخلوا الجنة.

2) وجاء في رواية الإمام أحمد عن أبي سعيد أيضا (... فيقول اذهبوا إلى النار، فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه، قال: فيجدونهم قد أخذهم النار على قدر أعمالهم، فمنهم من أخذته إلى قدميه، ومنهم من أخذته إلى نصف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه، ومنهم من أزرته، ومنهم من أخذته إلى ثدييه، ومنهم من أخذته إلى عنقــه، ولم تغش الوجوه، فيستخرجونهم منها فيطرحون في ماء الحياة....إلخ).

3) مثقال الدينار هو أربع قرامات وخمس القرام.

4) روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما وجه النبيء صلى الله عليه وسلم إلى الكعبــة، قــالوا يارسول الله، كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس، فأنزل الله قوله: (وماكان الله ليضيع إيمانكم) أي صلاتكم

ثم بين رحمه الله أنه يجوز أن يراد بالخير أعمالُ القلوب كأنه يقول : أخرجوا مَنْ عَمِلَ عملا بنية من قلبه على حد قول الرسول صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات) فمن ذلك رَحْمَةٌ لمسلم، رِقَّةٌ على يَتِيم، خَوْفٌ مِنَ الله، رَجَاءٌ لِلّهِ توكُّلٌ عليه، ثِقَةٌ به، وهكذا مايكون من أفعال القلوب وسماها إيمانا لكونها في محل الإيمان، وهو القلب.

مِنَ المؤمنين مَنْ لايشفعون ...

بعض الناس إذا ثار بهم الغضب ينفجرون لاعنين لإنسان، أو حيوان أو أيّ شيء آخر، وهم في ذلك مُستخِفّون بعواقب لعنهم لما لم يلعنه الله ورسوله.

إن هؤلاء قد ارتكبوا إثما عظيما وهم لا يعلمون، يدل على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن عِمرَانَ بن حُصَيْن رضي الله عنه أنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعضِ أسفَارِه وامرأةٌ من الأنصار على ناقَةٍ فضَجرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقَال: (**خُذُوا مَا عليْهَا، وَدَعُوهَا، فإنّها مَلْعُونَةٌ**) قال عمران فكأني أراها الآن تمشي في الناسِ مايَعْرِضُ لَها أَحَدٌ.

ومارواه أبو يَعْلَى عن أنس رضي الله عنه أنه قال : سَارَ رجلٌ مع النبيء صلى الله عليه وسلم، فَلَعَنَ بَعِيرَهُ، فقال النبيءُ صلى الله عليه وسلم: (**ياعبْدُ الله لاتَسِرْ مَعَنَا على بَعِيرٍ مَلْعُونٍ**).

ومارواه ابو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن العَبْدَ إذا لَعَنَ شيئًا صَعَدَت اللَّعْنَةُ إلى السماء، فتُغْلَقُ أبوابُ السّماء دُونَها، ثم تَهْبطُ إلى الأرضِ فتُغْلَقُ أبوابُها** (1) **دونها، ثم تَأْخُذُ يمينا وشِمالاً، فإنْ لم تجدْ مسَاغًا**(2) **رجَعَتْ إلى الذي لَعِنَ، فإنْ كان أهْلاً ، وإلاّ رَجَعَت إلى قَائِلَهَا**).

إن اللعن ماهو إلا دعاء، ومعناه طلب اللاّعن من الله أن لاتَنَالَ رحمَتُهُ ذلك المَلْعُونَ.

ولما كان اللاعنْ قد رجا من الله أن يَحْرِمَ الملعونَ من رحمته في الدنيا، لم يَعُدْ هُوَ أهلا للسَّعْي إلى الرَّحْمَةِ بالعِبَاد في الآخرة، فَحَرَمَهُ اللهُ مِن أن يكون من الشفعاءِ يوم القيامة، لأنَّ كلَّ الشفعاءِ رحماءُ، فهم رَاجُونَ لرحمة الله لعباده، واللاعنون ليسوا منهم.

---

1) أي تغلق مسالكها، وهي التي عبر عنها بالأبواب.

2) موقعا تتلاءم معه.

روى مسلم والإمام أحمد وأبـــو داود عن أبي الدّرداء رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لاَيَكُونُ اللاّعِنُونَ شُفَعَاءَ ولاشُهَدَاء يوم القـــيامةِ**) كما روى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لايكُونُ المؤمنُ لَعَّانًا**).

شفاعة أرحم الراحمين

لاخيرَ كخير الله، ولاأَعْظَمَ مِن فضله، ولا أَوْسَعَ من رحمته، فلقد صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**إنّ الله خلق الرحمةَ يومَ خَلَقَهَا مائة رحْمةٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسعًا وتسعين رحْمةً، وأرسَلَ في خلقِهِ كُلّهم رحمةً واحدةً. فلوْ يَعْلَمُ الكافِرُ بـــكلّ الذي عند الله من الرحمةِ لَمْ يَيْأسْ منَ الجنة، ولو يَعْلَمُ المؤمنُ بكلّ الذي عندَهُ من العذاب لْمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّار**) رواه أبو هريرة وأخرجه عنه كل من البخاري ومسلم.

كما روى مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**إنّ لِلَّهِ مائةَ رحمةٍ، أنزلَ منها رحمةً واحِدةً بـــين الجنِّ والإنس، والبَهَائِمِ والهَوَامِ، فبها يتعاطَفُونَ، وبِها يَتَرَاحَمُونَ، وبها تَعْطِفُ الوُحُوشُ على ولَدِهَا، وأخَّرَ تِسْعًا وتســـعِينَ رحمَةً، يَرْحَمُ بها عِبَادَهُ يوم القيامة**).

وروى مسلم عن سَلْمَان الفارسي رضي الله عنه أن النبيء صلي الله عليه وسلم قـــال: (**إنّ الله تعالى خَلَقَ يومَ خلق الســـــموات والأرض مائة رحمةٍ، كلُّ رحمةٍ منها طِبَاقَ مَا بَيْنَ الســـــماء والأرضَ فَجَعَلَ فِي الأرضِ منهَا رحمةً واحِدةً فبها تَعْطِفُ الوالدةُ على وَلَدِهَا، والطيرُ والوحوُش بعضُها على بعض، فإذا كان يومُ القيامة أكْمَلَهَا بهذه الرحمةِ**).

وفي إحدى الروايات عن أبي هريرة (**فإذا كان يومُ القـــيامة رَدَّ هذه الرحمةَ على تِلكَ التسعةِ والتسعين، فأَكْمَلَها مائةَ رَحْمَةٍ**).

وروى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي، وإذا بـــامرأة من السَّبْي تَحَلَّبَ ثَدْياهَا تبـــتَغي ولدًا لها، إذْ وَجَدَتْ صَبيًّا في السَّبْي، فأخذته فَأَلْصَقَتْهُ ببَطْنِهَا، وأرْضَعَتْهُ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وســـلم (**أَتَرَوْنَ هذه المرأة طارحةً وَلَدهاَ في النار؟ قلنا لا والله، وهي قادرةٌ على أَنْ تَطْرَحَهُ، فقال صلى الله عليه وسلم (الله أرْحَمُ بعباده مِن هذه بوَلَدِهَا**).

وبهذه الرحمة الواسعة سيسعد مَنْ لمْ يُكْتَبْ عليهم الخلودُ في جهنم، فتدركهم شفاعة أرحم الراحمين، فقد روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء فيه (... **ثمّ يتحنَّنُ اللهُ برحمته على مَنْ فيها، فَمَا يتْرُكُ فيها عَبْدًا في قلبه مثقالُ حبّةٍ منْ إيمان إلا أخْرَجَهُ منها**).

وروى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لَيتحَمَّدَنَّ اللهُ يوم القيامة على أُنَاسٍ ماعَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ قَطُّ، فيُخْرِجُهُمْ مِنَ النار بعدَ مااحْتَرَقُوا فيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ بعد شَفَاعَةِ مَنْ يَشْفَعُ**).

وروى أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وَسلّم جاء فيه بعد ذكْره لشفاعات الشافعين (**... ثم يقول الله عزّ وجلّ أنَا الآنَ أُخْرِجُ بعِلْمِي ورَحْمَتي، قَالَ فَيُخْرِجُ أضعافَ ماأَخْرَجُوا، وأضْعَافَهُ، فَيُكْتَبُ في رِقَابِهِم عُتَقَاءُ الله عَزّ وجلّ ثم يُدْخَلُونَ الجنة، فيُسَمَّونَ الجَهَنَّمِيِّينَ**).

وروى الحاكم والترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يقول الله تعالى : أَخْرِجُوا مَنْ ذَكَرَنِي يومًا، أَوْ خَافَنِي في مَقَامٍ**).

وروى أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه (... **ثم يقول الله شَفَعَتِ الملائكةُ، وشفَعتِ الأنبياءُ، وشَفَعَ المؤمنون، وبَقِيَ أرْحَمُ الراحمين، قال فَيَقْبِضُ قَبْضَةً من النار، أو قَالَ قَبْضَتَيْنِ، نَاسٌ لَمْ يَعْمَلُوا لِلّهِ خيرًا قَطُّ، قد احْتَرَقُوا حتَّى صاروا حُمَمًا، قال فيُؤتَى بهم إلى ماء، يقالُ له ماءُ الحياة فيُصَبُّ عليهم فَيَنْبُتُون كما تَنْبُتُ الحبة في حميل السيْل، فيَخْرُجُونَ من أجْسَادِهِم مِثل اللؤلؤ، في أعناقهم الخواتمُ عتقاءُ الله**).

كما روى أحمد عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا جاء فيه (... **فإذا فَرَغَ اللهُ مِنْ حِسَاب النّاس، وأدْخَلَ مَن بَقيَ مِنْ أمَّتي النار مَعَ أَهْلِ النّار، فيقول أهلُ النّار : ماأغْنَى عنكم أَنّكُمْ كُنتُمْ تَعْبُدُونَ اللهَ عزّ وجلّ لاتُشْرِكُونَ به شيئًا، فيقول الجبَّارُ عزّ وجلّ : فَبعزَّتِي لأَعْتِقَنَّهُمْ مِنَ النّار، فيُرْسِلَ إليهم ، فَيُخْرَجُونَ وقد آمتَحِشُوا، فَيُدْخَلُون في نَهر الحياة، فَيَنْبُتُونَ فيه كما تَنْبُتُ الحبة في غُثَاء السَّيْلِ، ويُكْتَبُ بين أعْيُنهمْ هؤلاء عُتَقَاءُ الله عزَّ وجلّ، فَيُذهَبُ بهم، فَيُدْخَلُونَ الجنة، فيقول لهم أهل الجنةَ هؤلاءِ الجَهَنَّمِيُّونَ فَيَقُولُ الجَبّارُ بل هؤلاءِ عتقاءُ الجبّار عزّ وجلّ**).

وكيف تعرفهم الملائكة من بين أهل النار؟

ولاتعجب ياأخي من أن الصلاةَ نافعةٌ لِلْمُصَلي حتى إذا كان من المسرفين، وقضى الله عليه بدخول جهنم، ذلك لأن الله تعالى إذا أمَرَ الملائكة بإخراج المشــفوع فيهم من النار، فإنّ الملائكةَ يعرفونهم في النار بأَثَرِ السجود، فإن النار تأكلُ ابنَ آدم إلا أثَرَ السجود، فقد روى كلٌّ من البُخَارِي ومسلم عن أَبِي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**... حتى إذا فرغَ الله من القضاء بين العبــاد، وأراد أن يُخرِج بــرحمته مَن أرادَ مِنْ أهل النار، أَمَرَ الملائكةَ ان يُخرجوا من النار من كان لايشرك بالله شــيئا ممن أراد الله أن يرحَمَهُ مِمَّنْ يشهد أن لاإله إلا الله، فيعرفونهم في النار بأثر الســجود، تأكل النارُ ابــن آدم إلاّ أَثَرَ السجود، حَرُمَ على النارِ أن تأكُلَ أَثرَ السُّجُود**).

مشاهد الناس عند الحوض المورود في اليوم الموعود

لقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بــأنّ له حــوضا يَرِدُهُ سُعَدَاءُ هذه الأمة في المحشر، وَوَصَفَهُ بأنّ مَاءه ينبعث إليه من الجنة، وبأنَّ لَوْنَ مَائِهِ أبيضُ من اللبن، وَطَعْمَهُ أَحْلَى مِن العسل، وريحَهُ أطيبُ مِن ريــح المسك، وأنّهُ تُرَى فيه أباريقُ الذهب والفضة كعدد النجوم أوْ أكْثَرَ، وأَنَّ مَنْ شَرِبَ منه شَرْبَةً، لَمْ يَظْمأ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَوْ حــتى يَدخَل الجنة كما في إحــدى الرّوايات، وأنّ هذا الحوضَ ســوفَ يُحْرَمُ منه أناسٌ، فَيُطْرَدُونَ عنه بِعُنْفٍ شــديدٍ وذلك بما كَسَبَتْ أيْدِيهم في الحياة الدنيا.

ففي ذلك اليوم الذي لايَعْرِفُ الخَلْقُ في حَيَاتِهِمْ مِثْلَهُ أبدا، حيث يتعاظم اشتداد الحر، ويتدفّقُ العَرَقُ ويتفاقَمُ الخوفُ من المُجابَهَةِ بالحساب، فيتصاعد التهابُ العطشِ من كل ذلك، ومن الحَيْرَةِ البالغة، وعندئذ يفزَعُون إلى أحواض الأنبياء عليهم الصلاة والســلام، مَدْفُوعِينَ بشِدَّةِ الظّمَإِ إلى التضاغط عند الأحْوَاض.

روى الترمذي عن سَمُرَةَ بن جُنْدُب رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّ لكل نبيءٍ حــوضًا، وإنهم يتبــاهَوْنَ أَيُّهُمُ أكثرُ واردةً، وإنّي أرجو أن أكونَ أكثرهم وارِدَةً**).

وروى الطبراني عن العِرْبَاضِ بن سارية رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لَتَزْدَحِمَنَّ هذه الأمّةُ على الحوضِ ازدحامَ إبلٍ وردَتْ لِخَمْسٍ**).

كما روى الطبراني عن سَمُرَةَ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّ الأنبياءَ يتباهَوْن، أيُّهُمْ أكْثَرُ أصحابًا مِنْ أمته، فأرجو أن أكونَ يومئذ أكثرَهُمْ كلِّهم واردةً، وإنّ كلَّ رَجلٍ منهم يومئذ قائمٌ على حوضٍ مَلْآنَ، معه عَصا، يدعُو مَنْ عرَفَ من أمّتِهِ، ولكل أمّةٍ سيمًا يَعْرفُهم بها نبيُّهمُ**).

أما العَلامَةُ التي تتميز بها هذه الأمة فقد تبيّنت فيما رواه الإمام مالك رضي الله عنه في المُوَطَّإ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَرَجَ إلى المقبرة فقال: (**السلام عليكم دارَ قومٍ مؤمنين، وإنّا إنْ شاء الله بكم لاحِقُونَ، وَدِدْتُ أنّي قد رأيتُ إخوانَنَا، فقالوا يا رسول الله أَلَسْنَا إخْوَانَكَ؟ قال بل أنتم أصحابي، وإخْوَانُنَا الذين لم يأْتُوا بَعْدُ، وأنا فَرَطُهُمْ (1) على الحَوْضِ.**

فقالوا يارسول الله كيف تعرفُ مَنْ يأتِ بَعْدَكَ من أُمَّتِك؟ قال أرَأَيْتُم لو كانَ لِرجلٍ خَيْلٌ غرٌّ مُحجَّلَةٌ في خَيْلٍ دُهْمٍ (2) بُهْمٍ ألا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ قالوا بلى يارسول الله، قال فإنّهم يأتونَ يوم القيامة غُرًّا مُحَجَّلِينَ (3) من الوضوء، وأنا فَرَطُهُمْ على الحوض فلا يُذَادَنَّ رجالٌ عن حوضي (4) كما يُذَادُ البعيرُ الضَّالُّ (5) أُناديهم هَلُمَّ هَلُمَّ هَلُمَّ، فَيُقَال إنّهم قدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فأقول فسُحْقًا، فَسُحْقًا، فسُحْقًا).

مدى سَعَةِ الحوض وعَدَدُ أَكْوَابِهِ

ولقد بَيَّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَبْعَادَ حَوْضِهِ، ومدى سَعَتِهِ، وكَثْرَةَ أكْوَابِهِ في مارواه البخاري عن عبد الله بن عَمْرٍو بن العاص رضي الله عَنْهُ أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**حَوْضِي مسيرةُ شهر، ماؤُهُ أبيضُ من اللّبَنِ، وريحُهُ أطيبُ مِن المِسْكِ، وكيزَانُه كنجومِ السماء، مَنْ شربَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمأُ أبدًا**)، وروى الإمام أحمد عن أبي بَرْزَةَ الأسْلَمِيّ عن النبيء صلى الله عليه وسلم (**أنّ مَنْ شَرِبَ منه لَمْ يظْمَأْ حتى يَدْخُلَ الجنةَ**).

---

1) فرطهم، أي الذي أنا أتقدمهم إلى الحوض فيجدونني عنده.
2) دهم جمع أدهم، وهو الأسود والبُهم: ماليس لها علامة تميزها.
3) الغرة في الأصل هي القطعة البيضاء التي تكون في جبهة الفرس، والتحجيل هو بياض أرجل الفرس، والمراد بهما هنا هو مايكون من النور في وجوه هذه الأمة وأطرافها من أثر الوضوء والسجود.
4) أي لايفعلن أحد فعلا يذاد به عن حوضي فيطرد.
5) البعير الضال، الذي لامالك له يوفر له حاجته من الشرب.

كما روى البـــخاري أيضا عن أنس بـــن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**إنّ قَدْرَ حـــوضي كما بَيْنَ أيْلَةَ(1) وَصَنْعاءَ مِن اليمن، وإنَّ فيه مِنَ الأبـــاريق كَعَدَدِ نُجومِ السماءِ**).

وبيَّن صلى الله عليه وسلم شَكْل حوضِهِ في حديث رواه كل من البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمْرو بن العاص رضي الله عَنْهُما أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**حوضي مســـيرةُ شَهْرٍ، وزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وماؤُهُ أبـــيضُ من اللّبنِ، وريحُهُ أطيبُ من المِسْك، وكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السّماءِ، منْ شرِبَ منه فلا يظْمأُ أبدًا**).

كما بيَّن صلى الله عليه وسلم أَوَّلَ الواردين على حوضه في ماورواه كل من الإمام أحمد والترمذي وابن ماجَه والحاكم عن ثَوْبَانَ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قـــال: (**إنّ حوضي مِنْ عَدَن إلى عَمَّان البلقاء، ماؤُهُ أشدُّ بَيَاضًا مِنَ اللّبَن، وأحلى مِنَ العسل، أكاويبُهُ عدَدُ النجوم، مَنْ شَرِبَ منه شربَـــةً لم يَظْمَأ بـــعدها أبـــدا، أوّلُ الناسِ وُرُودًا عليه فُقَرَاءُ المُهَاجرين، الشُّعْثُ رُؤُوسًا، الدُّنْسُ ثيـــابًا، الذيـــن لايَنْكِحُونَ المُنَعَّمَاتِ، ولاتُفْتَحُ لهـــم السُّدَدُ(2) الذين يُعْطُونَ الحقَّ الذي عليهم، ولايُعْطَوْنَ الذي لهم**).

وروى مسلم عن ثوبـــانَ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وســـلم قـــال: (**إنّي لَبِعَرْضِ حَوْضِي يومَ القيامة أذودُ النّاسَ لأَهْلِ اليَمَنِ، وأضْرِبُهُمْ بـــعَصايَ، حـــتّى تَرْفَضُّوا عليهم، فَسُئِلَ عن حوضه فقال مِنْ مَقَامِي إلى عَمَّانَ، شرابُهُ أشدُّ بياضًا من اللّبن، وأحـــلى من العسل، يَصُبُّ فِيهِ مِيزَابَان يُمِدَّانِهِ من الجنةِ أحدُهما مِن ذَهب، والآخَرُ من وَرِقٍ**).

ومما يلاحظ في تقدير الرسول لِسَعَةِ حوضه أنه يُقَدِّرُهَا تارةً بالمسافة المكانية فيقول :

(**إن حوضي من عدن إلى عَمَّان البلقاء**) ويقول : (**إن قدر حوضي كما بـــين أَيْلَةَ وصنعاء**) ويقول : (**إن حوضي مابين مقامي وبين أذْرُحٍ وجَرْبَاءَ**) وتارة يقدرها بالمسافة الزمنية فيقول:

(**إن حوضي مسيرة شهر** ...) إلى آخر ماقال. والسبب في اختلاف البيانات الواردة في تقدير سَعَةِ الحوض قد انتبه إليه الإمام القرطبي رحمه الله، فقال في التذكرة : ظنَّ بعضُ الناس أن هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطرابٌ واختلافٌ، وليس كذلك، وإنما تحدث النبيء صلى الله عليه وسلم بحديث الحوض مرَّات عديدة وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مُخاطبـــا لِكُلِّ طائفةٍ بما كانت تَعْرِفُ من مسافات مَواضعها.

---

1) أيلة: مدينة كانت تقع على ضفاف البحر الأحمر شمال العقبة.

2) السدد جمع سدة، وهي الظلة تكون فوق الباب لوقاية من يقف أمامه من المطر ونحوه، والمراد هم الذين لايؤذن لهم في الدخول على الكبراء.

ثم قال : والمعنى المقصود أنه حوض كبـــير متســـع الجوانب والزوايا، فكان ذلك – التقدير– بحسب من حضره ممن كان يعرف تلك الجهات، فخاطب كل قــوم بـــالجهة التي يعرفونها.

من الناس من يردون الحوض فَيُطْرَدُونَ

اعلم أن شَرَابَ الحوضِ في المحشر ليس مبذولا لكل واحد، بـــل إن من هذه الأمة من يُذَادُون عنه فَيُطْرَدُونَ كما بَيَّنَ ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في أحـــاديث كثيرةٍ، منها الحديث الذي رواه مالك عن أبي هريرة وهو الذي مرَّ بك في أوائل مباحث الحوض.

ومنها مارواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**والذي نفسي بِيَدِه لأَذُودَنَّ رِجَالاً عن حوضي، كما تُذادُ الغريبةُ من الإبل**)

ومارواه البخاري أيضا عن أسماء بنتِ أبي بكر رضي الله عنهما أنها قالت قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم: (**إنّي على الحوض، حتَّى أَنْظُرَ من يَرِدُ عليَّ منكم، وســـيُؤْخَذُ ناسٌ منْ دوني، فأقول يارب مِنِّي ومنْ أمَّتِي، فيقالُ هل شَعُرْتَ ماعَمِلُوا بـــعْدَكَ؟ والله مابَرِحُوا يَرْجِعُونَ على أعْقَابِهم**).

فكان ابن أبي مُليكة يقول اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نُفْتَن عن ديننا.

ومارواه البخاري أيضا عن عبد الله بن مســـعود رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أنَا فَرَطُكُمْ على الحوض، ولَيُرْفَعَنَّ إليَّ رجالٌ منكم، حتى إذا أهْوَيْتُ لأنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا** (1) **دوني، فأقول يارب أصحابي، فيقول : لاتدري ماأحدثوا بعدَكَ**).

ومارواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لَيَرِدَنَّ عليَّ نَاسٌ منْ أصْحَابِي الحوضَ، حتى إذا عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي فأقول أصحـــابي، فيقول لاتَدْرِي مَا أحْدَثُوا بَعْدَكَ**).

مَن هم المُذَادُونَ عن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

بيَّن الإمام القرطبي في التذكرة أصناف المطرودين بقوله قـــال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين كل من ارتد عن دين الله أو أحـــدث فيه ما لايرضاه الله، و لم يأذن بـــــه الله فهو من

---

1) اختلجوا : جُذِبُوا ومُنِعُوا

المطرودين عن الحوض البعيدين عنه.

وأشـــدهم طردا من خالف جماعة المســـلمين، وفارق سبـــيلهم،...وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمُعْلِنُونَ بالكبائر المستخفُّون بالمعاصي، وأهل الزَّيْغِ والأهواء والبدع.

وقال : ثم البُعْدُ قد يكون في حال ، ويقربون بعد المغفرة إن كان التبـــديل في الأعمال وليس في العقائد، وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به.

وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يُظْهِرُونَ الإيمان ويُسِرُّون الكفرَ فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف لهم الغطاء، فيقـــال لهم سُحْقًا سحقـــا ولايخْلُدُ في النار إلا كافر جاحد مبطل، ليس في قلبه مثقال حبة من خَرْدَلٍ من إيمان.

أعمال مُعَيَّنَةً تمنع مِنْ وُرُودِ الحوض

لقد ورد النص بأعمال معينة تحول بين أصحابها وبين ورودهم الحوض في المحشر.

فمن ذلك مارواه الترمذي عن كَعْبَ بن عُجْرَةَ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أعيذُك بالله ياكعبَ بنَ عُجْرة من أُمراءَ يكونون مِنْ بَعْدِي، فَمَنْ غَشِيَ أبوابَهم فَصَدَّقَهُمْ في كَذِبِهِمْ وأعَانَهمْ على ظُلْمِهِمْ فليس مني ولســـتُ منه، ولايَرِدُ عليَّ الحوضَ، ومن غَشِيَ أبوابَهُمْ ولَمْ يُصَدَّقْهُمْ في كَذِبِهِمْ ولم يُعِنْهُمْ على ظُلْمِهم فهو مني وأنا منه، وسَيَرِدُ عليَّ الحوض**).

ومنها مارواه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبيء صلى الله عليه وسلم قـــال: (**مَنْ أَتَاهُ أخُوهُ مُتَنَصِّلاً** (1) **فلْيَقْبَلْ ذلك منه، مُحِقًا أو مُبْطِلاً، فإنْ لَمْ يفعـــلْ لَمْ يَرِدْ علـــيَّ الحوض**)

كم عدد الواردين الحوض ؟

روى الإمام أحمد في المسند عن زيد بن أَرْقَمَ رضي الله عنه أنه قال : كنَّا عِنْدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزل نَزَلُوهُ في مَسيرَه، فقـــال: (**ما أنتم بجزء من مِائَةِ ألفِ جُزْءٍ مِمَّنْ يَرِدُونَ عليَّ الحوض مِنْ أُمَّتِي**) قلنا لزَيْدٍ كَم كنتم يومئذ؟ قال كنا سبعمائة أو ثمانمائة.

---

1) متبرئًا مما رمي به، أو معتذراً

وَمَنْ هم الأصحاب المُذَادُون عن الحوض ؟

لقد ثبت وَصَحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ أُناسًا سَيَرِدُونَ الحوض، ولكنهم لا يتمكنون من مائه، بل يذادون عنه ويُطْرَدُونَ طَرْدًا عنيفا، كما تُطْرَدُ غرائبُ الإبل.

فمنهم من يَذُودُهُم الرسول نفسه، كما ورد ذلك في ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، إذ قال صلى الله عليه وسلم: (**لأَذُودَنَّ عن حوْضي رجالاً، كما تُذادُ الغَريبَةُ منَ الإبلِ**).

ومنهم من يَذُودُهُم غيرُهُ، كما ورد ذلك في مارواه البخاري ومسلم عن سَهْل بن سَعْد وأبي سعيد الخُدْريّ رضي الله عنهما، إذ قال صلى الله عليه وسلم: (**إنِّي فَرَطُكُمْ على الحوض، مَنْ مرَّ بي شَرِبَ، ومَنْ شَرِبَ لَمْ يظْمأ أبدًا.**

ولَيَرِدَنَّ عليَّ أقوامٌ أعْرِفُهُمْ ويَعْرِفُونَني، ثم يحالُ بيني وبينهم، فأقول إنَّهم منّي، فَيقال إنك لاتَدْري ماأحْدَثُوا بعدك، فأقول سُحْقًا سحقا لمن بدَّل بَعْدِي).

ومن المُذَادينَ مَنْ وَصَفَهُمُ الرسولُ بأنهم من أصحابه كما مرَّ بك ذلك في مارواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وإذ تقررت هذه الحقيقة فلا يَذْهَبَنَّ بك الظَنُّ إلى أنَّ الأصحاب المُذَادينَ عن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم هم السادةُ المعروفون لدى كافَّة الأمة بأنهم صَحابة رسول الله صلى عليه وسلم، كلاَّ وربِّ محمدٍ وصحبه إن هؤلاءِ هُمْ قُرَّةُ عين رسول الله، وصَفْوَةُ الصّفوةِ مِنْ أُمَّتِهِ.

ولبيان هذه الحقيقة علينا أن نتذكر أن الذين كانوا يجتمعون برسول الله صلى الله عليه وسلم أناسٌ كثيرون، وكانوا في مجموعهم يتكوَّنُون من ثلاثةِ أصناف.

1- صنفٌ كرامٌ طيبون أخيارٌ، فهم سعداءُ بإيمانهم الصادق وبصُحْبَتِهِمْ له أحسنَ صُحْبَةٍ، يُحِبُّهم ويُحِبُّونَه. وَيَوَدُّهُم وَيَوَدُّونَهُ. وَهُم المعروفون لدى الأمة بصحابة رسول الله رضي الله عنهم.

2- صنف مُنافقون، يَتَظَاهرُونَ بأنهم مسلمين، ولكنهم ماكانوا يَدِينُونَ دينَ الحقِّ.

ولقد فضح الله في القرآن أسْرَارَهم في كثير من الآيات كقوله تعالى (**إنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وإذَا قَامُوا إلَى الصَّلاة قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاس وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إلا قَلِيلاً(142)مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إلَى هَؤُلاءِ وَلا إلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً(143)**) النساء .

3- صنف كانوا ضعفاء الايمان ضعفا شديدا.

أما الصنف الأول فلما توفى الله رسوله كانوا على بـــينة من الأمر، فَثَبَتُوا على دينِ اللهِ، وجَاهَدُوا بأموالِهم وأنفسهم كل مَن انْحَرَفَ عنه.

ومِنْ هؤلاءِ يتألفُ السوادُ الأعظمُ والجمهورُ الأكبر مِمَّن كانُوا يجتمعون بِرســـول الله صلى الله عليه وسلم في حَيَاتِهِ .

وأما الصنف الثاني فهم الذين كانوا يتظاهرون بالإيمانِ وبصحبة رسول الله، ويُسِرُّونَ في أنفسهم الكُفْرَ بما جاء به مِنْ عند الله.

فهؤلاء قد كانوا – في الدنيا – صحابـــةً في ما أظْهَرُوهُ. كما كانوا بمعزل عن الحق في ماأسَرُّوه، لذلك عُزِلُوا – في الآخِرَة – عن ماء الحوض فلم يشربوه.

وأما الصنف الثالث فمن أجل ضعف إيمانهم قد فُتِنَ بعضٌ منهم بَعْدَ وفاةِ الرسول صلى الله عليه وسلم فاارْتَدُّوا على أعقابهم.

وكان من معجزات النبيء صلى الله عليه وسلم أنه أخبر عن أنموذَجٍ من هؤلاء، وذلك في مارواه كل من الطبراني وأبي نُعَيم وابن عساكر عن رافع بن خَدِيج رضي الله عنه أنه قـــال: كان بالرَّجَّال بن عنفوة من الخُشُوعِ واللزومِ لقراءة القرآن والخير، شيءٌ عجيب، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما والرجَّالُ مَعَنَا جَالِسٌ، فقال صلى الله عليه وســـلم (**أَحَدُ هؤلاءِ النَّفرِ في النّارِ**) قال رافعُ : فنظرتُ في القـــوم فإذا بـــأبي هريرة وأبي أرْوَى الدَّوْسِيِّ، والطُّفَيْل بنِ عَمْرٍو ورجَّال بن عنفوة.

فجعلت أنظر وأتعجَّبُ وأقول من هذا الشقي؟

فلما تُوفِّيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ورجَعَتْ (1) بنو حـــنيفةَ ســـألْتُ مافعَلَ الرجَّالُ بن عنفوة؟ فقيل افْتُتِنَ، وهو الذي شهد لمسيلمة على رسول الله صلى الله عليه وســـلم أنّه أشْرَكَهُ في أَمْرِه مِنْ بَعْدِهِ، فقلت : ماقال رسول الله فهو حق.

وروي عن مخلد بن قَيْسٍ البَجَلِيِّ أنه قال : خرج فرات بن حيان والرَّجال بـــن عنفوة وأبو هريرة من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (**لَضِرْسُ أحـــدِهِمْ في النّار أعْظَمُ من أُحُدٍ وإنَّ معَهُ لَقَفَا غادرٍ**) فَبَلَغَهُمْ ذلك، إلى أن بَلَغَ أبا هريرة، وفُرَاتَ بن حيان خبَرُ – افتتان – الرّجالَ فَخَرَّا ساجدين شُكرا لله على نجاتهما.

---

1) ارتدت عن دين الله بقيادة مسيلمة الكذاب

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَصِفُ كُلاً من الصنف الثاني والثالث بأنهم أصحابه مُرَاعاةً لظاهر حَالِهِمْ، ويَوكِلُ أمرَهُم إلى الله، ولقد تكرر وصفُه لهم بأنهم أصحابهُ مع مَابَدَا مِن بعضهم مِنْ جَلاَفَةٍ ومن خروجٍ عما يَقْتَضِيه الإيمان بالله ورسوله كعبد الله بن أُبيٍّ.

روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال : كنا في غزاة فَكَسَعَ (1) رَجُلٌ من المشركين رَجُلاً من الأنصار.

فقال الأنصاري : يالَلأَنْصَار، وقال المهاجري يا لَلْمُهَاجرين ، فَسَمِعَ ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**مابالُ دَعْوَى الجاهليَّة؟**) قالوا يا رسولَ الله كَسَعَ رَجُلٌ مِن المهاجرينَ رَجُلاً من الأنصار، فقال: (**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**) فسمِع بذلك عبدُ الله بن أُبَيَّ فقال: فَعَلُوهَا، أما والله لَئِنْ رَجَعْنَا إلى المدينةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنها الأذل، فبلغَ قولُه النبيءَ صلى الله عليه وسلم فقام عمر فقال يارسول الله دعني أضرب عُنُقَ هذا المنافق.

فقال النبيء صلى الله عليه وسلم: (**دَعْهُ، لايَتَحَدَّثُ النّاسُ أن محمدًا يَقْتُلُ أَصْحابَهُ**).

كما روى الإمام أحمد في المسند عن جابر رضي الله عنه أنه قال بَصُرَ عيني وسَمِعَ أُذُني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجِعِرَّانَةِ، وفي ثوب بلال فِضَّةٌ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يَقْبِضُهَا للناس يُعْطِيهِمْ فقال رجُلٌ إعْدِل فقال رَسول الله صلى الله عليه وسلم: (**وَيْلَكَ، ومَنْ يَعْدِلُ إذا لَمْ أكُنْ أعْدِلُ؟**) فقالَ عمر بن الخطاب يا رسول الله دَعْني أقْتُلُ هذا المنافِقُ الخَبيثَ، فقال رسول الله: (**معاذَ الله أنْ يتحدَّ ثَ النّاسُ أنّي أقْتُلُ أصحابي، إن هذا وأصحَابَهُ يَقْرَؤُون القرآن، لايُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ (2) يمرُقُونَ مِنَ الدّين كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ**).

إن أمثال هذا ماكانت صحبتهم للرسول صحبة حقيقية ولكنها صحبة ظاهرية.

فالصنف الثاني والثالث ممّن كانت صُحْبَتُهُم للرسول في الظاهر سَيَرِدُونَ الحوض من جملة الواردين فإذا طُرِدُوا عنه دعاهم رسول الله وناجى الله بشَأْنِهمْ ووَصَفَهُمْ بأنهم أصحابه، وكان ذلك الوصفُ مناسبا لظاهر الحال التي كانوا عليها في الدنيا، فأظْهَرَ اللهُ حقيقتَهم وفَضَحَهُم بِبَيَان السبب الذي من أجله طُرِدُوا عن الحوض، فَغَضِبَ الرَّسُولُ عندئذ لِغَضَبِ الله عليهم وقال سُحْقًا سحقا.

أما الصحابةُ الأطهارُ الأخيارُ فهم في أعلى مقامات التكريم في كل مشهد من مشاهد القيامة رضِيَ الله عنهم.

---

1) يقال كسعه إذا ضرب دبره بيده أو رجله.

2) التراقي جمع ترقوة، وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق

من شرب من الحوض دخل الجنة

جاء في حديث مرفوعٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ مَن شَرِبَ من الحوضِ مآلُهُ هو دخولُ الجنة، وهو الحديث الذي رواه الطّبراني عن سَهْلَ بن سَعْدٍ وَهْوَ أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّ لكل قومٍ فَرَطًا، وإنّي فَرَطُكُم على الحوضِ، فمنْ وردَ عليَّ الحوض فشَرِبَ لَمْ يَظْمَأ، ومَنْ لم يَظْمَأ دَخَلَ الجنةَ**).

فمن هذا الحديثِ يتبيَّنُ أنَّ المؤمن - **عند الحساب والقصاص** - قد تُصِيبُهُ بعضُ الكُرَبِ أو تعترضهُ بعضُ العقبات في مابين شُرْبه من الحوض وبين دخوله الجنة، ولكن شربه من حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عَلامةٌ على مآله السعيدِ إن شاء الله.

أين موقع الحوض في ترتيب المشاهد ؟

لقد اختلفَ العلماءُ في ترتيب مشاهد يوم القيامة، فقالت طائفة إنَّ الميزانَ قبل الحوض، وقالتْ طائفةٌ إنَّ الحوض قبل الميزان، وقد نقل الإمام القُرْطُبيُّ في التَّذْكِرَة عن أبي الحَسَن القابسِيّ (1) قولَه: والصحيحُ أن الحوضَ قبل الميزان، ولهذا توخَّيْتُ ماصَحَّحَهُ القَابسِيّ رحمه الله.

مشاهد العرض على الله قبل بدء الحساب

لقد قضَى اللهُ أن يَجْمَعَ الخلقَ في صعيد واحد بقوله (**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ، وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**(47)) الكهف.

وقضى أن يُعْرَضُوا عليه بقوله (**وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**) الكهف -48 . كذلك قضى أنه مامن أحد إلا سيكلمه يومئذ بدون واسطة، فقد روى كلٌّ من البخاري ومسلم وأحمد والترمذيّ وابن ماجه عن عَدِيّ بن حاتم رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**ما مِنْكُمْ منْ أحدٍ إلاّ سَيُكَلِّمُهُ اللهُ يومَ القيامة ليس بينه وبينه تَرْجُمَان ولا حجابٌ**).

---

1) أبو الحسن القابسي من أفاضل علماء القيروان الجامعين بين الفقه وعلوم الحديث رواية ودراية، توفي عام 403 رحمه الله، وقبره معروف بالقيروان.

لكن قد وَرَدَ في القرآن العظيم أنَّ مِنَ الخلق مَنْ لايُكلِّمهُمْ اللهُ يوم القـــيامة، وذلك في قول الله تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَاب وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) البقرة -174 وكذلك في قـــوله تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الأَخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) آل عمران -79.

فكل من هاتين الآيتين تدل على أنّ مِن الناس مَن لايُكَلِّمُهُم الله يوم القـــيامة، غير أن المَنْفِيَّ في الآيتين هو كلام التكريم، وليس كُلَّ كلام، لأنّ سؤال الله تعالى لكل عبـــدٍ عن عَمَلِهِ الخاصّ أمرٌ ثابتٌ لاشكَّ فيه، ولقد أقسَم الله عليه بقـــوله (**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(93)**) الحجر.

قال الشيخ الطاهر ابن عاشـــور رحمه الله : وقـــوله تعالى: (**ولايُكَلِّمُهُم اللهُ**) هو نفيٌ للكلام، والمرادُ به لازمٌ معناه، وهو الكِنَايَةُ عن الغضب، فلا ينافي قـــوله (**فَوَرَبِّكَ لنسْأَلَنَّهُمْ أجمعينَ عمَّا كانوا يـــعملون**) (1).

والله سبحـــانه لايسْأَلُ الخلق ليعلم المَخْفِيَّ من أمورهم، فهو تعالى أعلمُ منهم بجميع شُؤُونهم، إذ إنه يعلم السِّرَّ وأخفى، وقد أحاط بكل شيء علما، وفي هذا العَرض (**يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ(13)**) القـــيامة، (**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ(17)يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ(18)فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِيـــــــنِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ(19)إِنِّي ظَنَنـــــتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ(20)فَهُوَ فِي عِيــــشَةٍ رَاضِيَةٍ(21)فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(22)قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ(23)كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ(24)وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ(25)وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ(26)يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ(27)مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ(28)هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ(29)**) الحاقة.

وفي عرض الناس على الله يوم القـــيامة يَرْوي الترمذيُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يُعْرَضُ النّاسُ يومَ القـــيامة ثلاثَ عَرَضَات، فَأَمَّا عَرْضَتَان فَجِدَالٌ ومعاذيرُ، وأمّا الثالثةُ فعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ في الأيدِي، فآخِذ بـــيمينه، وآخِذ بشِماله**).

---

1) التحرير والتنوير ج 2 ص 120 .

والمشهد عند تطاير الصحف مشهد ارتقـــاب عصيب ومُخِيفٍ، وفيه يَذْهَلُ المرءُ عمَّا سوى ذاته، حتى يَتَبَيَّنَ ماإذا كان سَيُعْطَى كتابَه بيمينه أو بشمالهً أو من وراء ظهره.

روى أبو داود والحاكم عن عائشة رضي الله عنها أنها قـــالت : ذكرتُ النارَ فَبَكَيْتُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**مَايُبْكِيكِ؟**) قلت ذكرت النار فبـــكيتُ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال صلى الله عليه وسلم (**أمّا في ثلاثةِ مواطنَ فلا يَذْكُرُ أحدٌ أحَدًا، عِنْدَ الميزان حتى يعلم أيخِفُّ ميزانُه أم يَثْقُلُ، وعند تَطَايُرِ الصُّحُفِ، حـــتى يَعْلَمَ أيْنَ يَقَعُ كِتابُه فِي يمينه أمَ في شماله، أم من وَرَاءِ ظَهرِه، وعندَ الصراط إذا وُضِعَ بين ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ حتى يجوزَ**).

وعند مسألةِ الله للخلق (**يُؤْتَى بالعبد يومَ القـــيامة، فيقـــال له : أَلَمْ أَجْعَلْ لك سَمْعًا وبَصَرًا، ومالاً وولدًا؟ وســـخَّرت لك الانعامَ والحرْثَ، وتركتُكَ تَرْأَسُ وتَرْبَعُ(1) فكنتَ تظُنُّ أنّك مُلاقيَّ يوْمَكَ هذا؟ فيقول لا، فيقـــال له اليوم ننســـاك كما نســـيتَني(2)**) رواه الترمذي عن أبي هريرة.

وروى الترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وســـلم قال: (**إنّ أوّل مايُسألُ عنه العبدُ يوم القيامة من النعيم أن يُقال له : أَلَم نُصِحَّ لك جسمك، ونُرْوِك من الماء البارد**).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّ الله تعالى يقول يوم القيامة : ياابن آدم مرضْتُ فلمْ تَعُدْنِي، قال ياربِّ كيف أعودك وأنت رَبُّ العالمين؟ قال أما علمت أنّ عبْدي فلانًا مَرِضَ فلمْ تَعُدْه، أمَا علمتَ أنّك لوْ عدْتَهُ لوجَدتني عنْدَهُ، ياابن آدم استطْعَمْتُكَ فلمْ تُطْعِمْني، فقال ياربِّ وكيف أُطْعِمُكَ وأنت ربُّ العالمين؟ أما عَلِمْتَ أنّك لو أطْعمْتَهُ لوجدت ذلك عندي، ياابن آدم اسْتسْقَيْتُكَ فلمْ تَسْقِني، قـــال ياربِ كيف أَسْقِيكَ وأنت ربُّ العالمين؟ قال إسْتسقاك عبدي فلانٌ فلم تسْقِهِ، أَما إنك لو سقَيتَه لوجدتَ ذلك عندي**).

وروى البخاري ومسلم وأحمد والترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ حُوسبَ يوم القيامة عُذّبَ،- قالت عائشةُ أوَ ليْسَ يقُول الله فسَوْفَ يُحاسبُ حسابًا يسيرًا- قال ليس ذَلِكِ بالحســـاب، وإنّما ذَلِكِ العرضُ، ولكن منْ نوقِشَ الحساب يهْلكُ**).

---

1) ترأس يتخذك الناس رئيسا لهم، وتربع تأخذ ربع المغانم في الحرب.
2) أي لاتنالك رحمتي، فأحرمك منها.

وروى الترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يُدْعَى أحدُكُمْ، فيُعْطَى كِتَابَهُ بيمنيه، ويُمَدُّ له في جِسْمِهِ ستُّونَ ذراعًا، ويُبَيَّضُ وجْهُهُ، ويُجْعَلُ على رأْسِهِ تاجٌ مِنْ لُؤْلُؤ يتلألأُ.**

فينطلق إلى أصحابه، فَيَرَوْنَهُ من بَعِيدٍ، فيقولون : اللهم إئْتِنَا بهذا وبارِكْ في هذا، حتىَ يَأْتِيَهُم، فيُقَال لهُم ابْشِرُوا، لكلّ رجلٍ مِنْكُم مِثْلُ هذا.

وأما الكافر فيُسَوَّدُ وجْهُهُ، ويُمَدُّ لَهُ في جسمه سِتُّونَ ذِرَاعًا، على صُوَرةِ آدم، ويُلْبَسُ تاجًا.

فيراه أصحابهُ، فيقولون نعوذُ باللهِ مِنْ شَرِّ هذا، اللهم لاتَأْتِنَا بهذا، فَيَأْتِيهِمْ، فيقولون اللهم أخزِه، فيقول أبْعَدَكُمُ الله، فَإنّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلَ هذا).

وروى الإمام أحمد في المسند عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يُؤْتَى بالرَّجُل يومَ القِيَامةِ، فيقَال أَعْرِضُوا عليه صِغَارَ ذُنُوبِهِ، قَال فتُعْرَضُ عليه، ويُخَبَّأُ عنهُ كِبَارُهَا، فيقَال : عمِلْتَ يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وهو مُقِرٌ لايُنْكِرُ، وهو مُشْفِقٌ من الكِبَارِ، فيقال أعْطُوهُ مكانَ كلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، قال فيقول إنّ لي ذُنُوبًا ما أَرَاهَا، قال أبو ذر فلقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَحِكَ، حتى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ**).

وروى كل من البخاري ومسلم والإمام أحمد واللفظ لأحمد عن صفوان ابن مُحْرِز أنه قال : كنتُ آخِذا بيَدِ ابنِ عُمَر رضي الله عنهما، إذْ عَرَضَ له رَجُلٌ فقال : كيف سَمِعْتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول في النَّجْوَى يوم القيامة؟

قال: (**إن الله عز وجل يُدْنِي المؤمنَ، فَيَضَعُ عليه كَنَفَهُ(1) ويَسْتُرُهُ من الناس، ويُقَرِّرُهُ بذُنُوبِهِ، ويقول له أتعرفُ ذَنْبَ كَذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرّره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه قد هَلَكَ، قال فإني قد سترتُها عليك في الدنيا، وإني أغْفِرُها لكَ يومَ القيامة، ثم يُعْطَى كتَابَ حَسَنَاتِهِ -بيمينه-.**

قال : وأما الكُفَّارُ والمنافقون فيقول الأشهادُ هؤلاء الذين كَذَبُوا على ربِّهِمْ ألا لعنةُ الله على الظالمين).

كما روى أحمد من طريق ثان عن صَفْوَانَ بن مُحْرِز أنه قال : بينما ابنُ عُمَرَ يطوفُ بالبيتِ إذ عرضَهُ رَجُلٌ فَقَال ياأبا عَبْدِ الرحمانِ كيف سمعتَ النبيء صلى الله عيه وسلم يقول في

---

1) أي يضعه تحت غطاء من رحمته

النجوى؟ فذكر نحوه، وفيه :(**وأمّا الكُفّارُ والمنافقون فينادَى بِهِم علىرُؤُوسِ الأشهادِ هؤلاءِ الذين كَذَبُوا عَلَى ربِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ على الظَّالِمِينَ**).

مشاهد الحساب

حسابُ البشرَ يَبْدَأُ بدعوة أبيهم آدم عليه السلام، فقد روى البـــخاريُّ عنِ أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أوَّلُ من يُدْعَى يومَ القـــيامة آدَمُ، فتَرَاءى ذُرّيَّتُهُ، فَيُقَالُ : هذا أبوكم آدَمُ، فيقول لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فيقـــول : أَخْرِجْ بَعْثَ جَهَنَّمَ مِنْ ذرّيَّتَكَ، فيقول ياربِّ كَيْفَ أُخْرِجُ؟ فيقول أَخْرِجْ منْ كلِّ مِائَةٍ تسْعَةً وتِسْعِينَ.**

فقالوا يارسول الله إذا أُخِذَ مِنَّا من كُلِّ مائةٍ تسعةٌ وتسعون فماذا يَبْقَى؟

قال : إنَّ أُمَّتِي في الأُمَمِ كالشَّعْرَةِ البيضاءِ في الثَّوْرِ الأَسْوَدِ).

وروى البـــخاري أيضا عن أبي ســـعيد الخدريِّ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يقوُلُ اللهُ ياآدمُ، فيقول لبّيكَ وسعْديْكَ، والخيرُ في يَدَيْكَ، قال يقـــول أخْرِجْ بعْثَ النار، قال ومابعْثُ النّارِ؟ قـــال من كلِّ ألْفٍ تسْعَمِائَةٍ وتِسْعَةً وتِسْعِينَ، فذلك حـــينَ يَشـــــيبُ الصّغيرُ، وتضَعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وتَرَى النَّاسُ سُكَارَى وَمَاهُمْ بِسُكَارَى ولكنَّ عَذَابَ اللهِ شديدٌ.**

فاشتد ذلك عليهم، فقالوا يارسول الله أيُّنا ذلك الرّجلُ؟

قال أبشِرُوا فإنَّ مِنْ يأْجُوجَ ومَأْجُوجَ أَلْفًا، ومنكم رجلٌ، ثم قال : والذي نفســـي بيده إنِي لَأَطْمَع أن تكونوا ثُلُثَ أهْلِ الجنةِ.

قال فحمدنا الله وكَبَّرنَا.

ثم قال والذي نفسي بيده إني لأَطْمعُ أن تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجنةِ، إنَّ مَثَلَكُمْ في الأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ البيضاءِ في جِلْدِ الثّوْرِ الأسْوَدِ، أو كالرَّقْمَةِ (1) في ذِرَاعِ الحِمَارِ).

أوّلُ من يُحاسب من الأمم

إن أمتنـــا هي آخرُ الأمم في الوجود، ولكنهـــا - بحمد الله- ستكون أَوَّلَ الأمم في الحساب يوم القيامة.

---

1) الرقمة قطعة مستديرة لاشعر فيها تكون في باطن ذراع الحمار، وهذا مثال واضح لمن كانوا يعرفون الحمار ممن خاطبهم الرسول عليه الصلاة والسلام وقتئذ.

روى الإمام مسلم والنسائي وابـــن ماجه عن حُذَيفَةَ وأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قـــال: (**أضلَّ اللهُ عَنِ الجُمُعَة من كان قـــبْلنا، فكَان لليهُود يَومُ السبتِ، وكان للنصارى يومُ الأحد، فجاء الله بـــنا، فهَدَانا اللهُ ليومِ الجمعةِ، فجَعَلَ الجمعة والسَّبْتَ والأَحَدَ.**

وكَذَلِكَ هُم تَبَعٌ لنا يومَ القِيَامة، نحنُ الآخِرُون من أهْلِ الدّنيـــا، والأولـــون يـــوم القيامة، المَقْضيُّ لـــهُم قبل الخَلائِق).

وروى ابن ماجه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**نحنُ آخِرُ الأُمَمِ، وأوّلُ مَن يُحَاسَبُ، يقال أين الأمة الأمية ونبيّهَا، فنحـــن الآخرون الأوّلون**).

الحساب بعد تطاير الصحف

لقد دل القرآن على أن تطاير الصحف لايكون نهايةَ الموقفِ لمن أخذوها بأيمانهم، بـــل إنهم بعد ذلك سَيُحَاسَبُونَ، ولكن سيكون حسابا يسيرًا كما قـــال تعالى (**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِيـــنهِ(7)فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا(8)وَيَنـــقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا(9)وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِه(10)فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا(11) وَيَصْلَى سَعِيرًا(12)**) الانشقاق.

والتيسيرُ يَخْتَلِفُ من شخصٍ إلى آخرَ كمَا تبيَّنَ ذَلِكَ في ما أخْبَر به الرســـول الله صلّى الله عليه وسلم، فقد روى الامام أحمد عن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**اثنان يَكْرَهُهُمَا ابـــنُ آدم : يكرَهُ الموتَ، والموتُ خيرٌ له مِنَ الفتنة، ويكرهُ قِلَّةَ المالِ، وقِلَّةُ المال أقلُّ لِلْحِسَاب**).

ومّما وَرَدَ في هذا المعنى مارواه أبو عبد الله الحاكم في تاريخه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قـــال: (**ذو الدِّرْهَمَيْن أشـــدُّ حســـابًا من ذي الدّرهَمِ، وذو الدّينارينِ أشدُّ حسابا من ذي الدينار**).

وأخرجه البيهقي في الشُّعَب عن أبي ذَرٍّ موقوفا، ومثل هذا - كما يقول العلماء- هو من الغَيْبِ الذي لايقال مِنْ قِبَلِ الرّأْيِ .

أوّلُ ما يُحَاسَبُ به العبد يوم القيامة

روى الطبراني في المعجم الأوسط، والضياء المقدسي بسند صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قـــال: (**أوّلُ مَايُحَاسَبُ بـــه العَبْدُ يومَ القـــيامة الصلاةُ، فإن صَلَحَتْ صَلَح له سائرُ عَمَلِه، وإن فسدتْ فَسَدَ سائرُ عمله**).

وروى الترمذي والنَّسائي وابـــن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ أوّلَ مايُحَاسَبُ به العبدُ يومَ القـــيامة مِنْ عَمَلِه الصّلاةُ ، فإن صَلَحَتْ فَقَدْ أفْلَحَ وأنْجَحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خَابَ وخَسرَ، وإن انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَةٍ قال الرّبُّ انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطوُّعٍ فيُكَمَّلُ بها ما انْتَقَصَ من الفَريضة، ثم يكوّنُ سائرُ عَمَلِهِ على ذلك**).

وبهذا المعنى رواه كل من الإمام أحمد وأبي داود وابـــن ماجه والحاكم عن تميمٍ الداري رضي الله عنه.

ونقل القُرطبي في التَّذكِرة عن أبي عُمَر بن عبد البرّ قوله إن إكْمَالَ الفريضةِ من التطوُّع إنما يكون ذلك – والله أعلم– في مَنْ سَهَا عَنْ فريضَةٍ فلـــم يـــأتِ بِهَا، أو لَمْ يُحْسِنْ رُكُوعَهَا وسُجُودها، و لم يَدْرِ قَدْرَ ذلك.

وأمّا منْ تعمّد تَرْكَهَا أو شيئا منها، ثم ذَكَرَهَا فلم يأْت بها عامِدًا، واشْتَغَلَ بالتَّطوَّعِ عن أداءِ فَرْضِهِ وهو ذاكِرٌ له، فَلاَ تُكَمَّل له فريضتُه تِلْكَ مِنْ تَطوُّعِهِ ، والله أعلم .

الهاَلكون عند الحساب

روى أبو عبد الله الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وســـلم قال: (**ثلاثةٌ يهْلِكُون عند الحساب، جَوَادٌ، وشجاع، وعالم**).

هكذا ورد ذكر الثلاثة مُجْمَلاً في رواية الحاكم عن أبي هريرة، غير أن مســـلما وأحمد وابن ماجه قد جاءت روايَتُهم عن أبي هريرةُ مُبَيِّنَةً لِأَمْرِ هؤلاء الهالكين، فقال رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أوّلُ الناس يُقضَى يومَ القيامة عليه رجلٌ استُشْهِدَ، فَأُتِيَ به، فَعَرَّفَهُ نعمَهُ فعرفها، قال فما عَمِلْتَ فيها؟ قال قاتلتُ فيك حتى استُشْهِدْتُ، قـــال كَذَبْتَ، ولكنكَ قاتلتَ ليقال جريءٌ فقد قيل، ثُمَّ أمَرَ بهِ فَسُحِبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار.**

ورجل تعلّمَ العِلْمَ وعَلّمَهُ، وقَرَأَ القُرآن، فأُتِيَ بـــه فَعَرَّفَهُ نِعمَهُ فَعَرَفَها، قـــال فما

عَمِلْتَ فيها؟ قال تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وعلَّمتُهُ وقَرأْتُ فيكَ القُرْآنَ، قال كَذَبْتَ، ولكنك تعلمت العلم ليُقَالُ عالِمٌ، وقرأتَ القرآن ليقالَ هو قارئٌ، فقد قيل، ثم أَمَرَ بـــه فسُحِبَ على وجهه حتى ألقي في النّار.

ورجل وسّع اللهُ عليه، وأعطاهُ من أصناف المال كُلِّهِ، فَأُتِيَ بـــه فَعَرَّفَهُ نعَمَهُ فعَرَفَها، قال فما عملْتَ فيها ؟ قال ماتركتُ من سبيلٍ يُحَبُّ أنْ يُنْفَقَ فيها إلا أنفقتُ فيها لكَ، قال كذَبْتَ، ولكنك فعلتَ ذلك ليقال هو جَوَادٌ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحِبَ على وجهه حتى ألقي في النار).

ومن المفلســين يومَ القــيامةَ من يعملون الصالحات، ولكنهم إذا خَلَوْا بمحــارم الله انْتَهَكُوهَا.

روى ابن ماجه عن ثَوْبَانَ مولى رسول الله صلى الله عليه وســلم أنه قــال: (**لأَعْلَمَنَّ أقْوامًا مِنْ أُمَّتِي يأْتُونَ يومَ القــيامةِ بحَسَنَات أَمْثَالَ جبَالَ تِهَامَةَ بَيْضَاءَ، فَيَجْعَلُها الله هبَاءً مَنْثُورًا، أما إنّهُم إخوانُكمْ، ومِنْ جِلْدَتِكُمْ، ويأَخُذُونَ مَن الليل كما تَأْخُذُونَ، ولكنهم قومٌ إذا خَلَوْا بمحَارمِ الله انْتَهَكُوهَا**).

ومن المفلسين الهالكينَ مَنْ كان قد صَلَّى وزكّى وصَام، ولكنه كان يَعْتَدِي على خلق الله.

فقــد روى الإمام أحمد والتِّرمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أَتَدْرُونَ ماالمفلس؟ - قالوا المفلسُ فينا من لادرهمَ له ولامَتَاعَ - قال صلى الله عليه وسلم : إنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي منْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَة بصــلاة وصيامٍ وزكاة، ويأتي قد شَتَمَ هذا وَقَذَفَ هذا، وَأَكَلَ مَالَ هذا، وَسَفَكَ دَمَ هذا، وَضَرَبَ هَذا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِه، وهذا من حَسَنَاتِهِ فإن فَنِيَتْ حسناتُه قَبْلَ أنْ يقضِيَ ماعليه أُخِذَ مِن خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثم طُرِحَ في النار**).

ماتتأكد المحاسبة عليه

مواهب الكَرَمِ الإلهيّ مواهبُ كثيرةٌ، ونعَمَهُ سبحانه لاتُحصى، والعبدُ مســؤولٌ عن تصرّفه في ماوهب الله له، وأنعمَ به عليه، وقد بَيَّنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ كلَّ عبــدٍ

لابُدَّ أن يُسْأَلَ يومَ القيامة عن خمسٍ مِمَّا خوَّلَهُ اللهُ مِن تلك المواهب، فقد روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لاتَزُولُ قَدَمَا ابن آدام يوم القيامة من عندِ ربِّه حتى يُسْأَلَ عن خمس: عن عُمُره فيمَ أفْناهُ، وعنْ شَبَابِهِ فيمَ أَبْلاهُ، وعن مَالِهِ مِنْ أين اكْتَسَبَهُ، وفيم أنْفقَهُ، وماذا عَمِلَ فيمَا عَلِمَ؟**)

وفي الأمر الأخير من هذه الخمس وَرَدَ في حديثٍ آخرَ تفصيلٌ أَوْفَى ، وبيانٌ أعْمَقُ، وهو مارواه ابن عساكر عن أبي الدرداء ، فقد قال رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**كيفَ أنتَ يا عُوَيْمرُ إذا قيلَ لك يوم القيامة أعَلِمْتَ أم جهلْتَ؟ فإنْ قُلْتَ عَلِمْتُ، قيل لك فمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ وإنْ قلتَ جهِلْتُ، قيل لك فما كان عُذْرُك فيما جَهِلْتَ، ألاّ تعَلّمْتَ**)

كم من مشاهد للحساب لا يعلمها إلاّ الله

مشاهد الحساب على الأقوال والأفعال كثيرة ومتنوعة، ولايحيط بعددها ولا بأنواعها إلا الله سبحانه.

أما البشر فلم يعرفوا إلا صُوَرًا محدودة منها، وهي التي أخبرنا بها الله ورسوله.

فمن ذلك قول الله تعالى: (**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ، وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**(49)) الكهف.

وقوله سبحانه (**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**(7)) التغابن.

ومامن شك في أنَّ الواحد مِنَ البشر قد يُحَاسَبُ على أمرٍ واحد، وقد يُحَاسَبُ عِلى أمور كثيرة، وكلٌّ (**مَنْ نُوقِشَ الحساب عُذِّبَ** (1)) كما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

ولقد علمنا أن هنالك مشاهدَ للسّؤالِ والحساب، وهي التي أخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فمنها مارواه أبو نُعَيْم في الحِلْيَة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَامِنْ عَبْدٍ يَخْطُو خُطْوَةً إلاّ سُئِلَ عنها ماأراد بها**)

---

1) رواه كل من البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

ومارواه البيهقي في شعب الإيمان عن الحَسَن مُرْسَلاً أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَامِنْ عَبْدٍ يَخْطُبُ خُطْبَةً إلا اللهُ سَائِلُهُ عنها ماأراد بها**).

ومَعْنَى هذين الحديثين واردٌ في قول الله تعالى : (**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(93)**) الحجر.

ومما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم مارواه الطبراني في المعجم الأوسط عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ اللهَ يَسْأَلُ العَبْدَ عنْ فَضْلِ عمَلِهِ، كما يسألُهُ عن فَضْلِ مالِهِ**).

ومارواه الإمام أحمد وابن ماجه وابن حِبَّان عن أبي سعيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّ الله تعالى لَيَسْأَلُ العبدَ يوم القيامة، حتى يَسْأَلَهُ مامَنَعَكَ إذا رأيْتَ المُنْكَرَ أن تُنْكِرَهُ، فإذا لَقَّنَ اللهُ العبدَ حُجَّتَهُ قال يارَبِّ رجَوْتُكَ، وفَرَقْتُ مِنَ النّاسِ**).

ومارواه أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عيه وسلم قال: (**مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا بغير حَقِّهِ (1) سَأَلَهُ اللهُ عَنه يومَ القيامةِ**).

ومارواه الطبراني عن عبد الله بن عَمْرو أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَامِنْ دَابَّةٍ طَائِرٍ ولاغَيْرِهِ يُقتَلُ بِغَيرِ حقٍّ(2) إلا سَيُخَاصِمُهُ يومَ القيامةِ**).

من مشاهد الجَدَل عند الحساب

لقد ذكر الله من ميزات يوم القيامة أنه لاتتكلم نفس فيه إلا بإذن الله، وذلك في قوله سبحانه (**إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ(103)وَمَا نُؤَخِّرُهُ إلا لأَجَلٍ مَعْدُودٍ(104)يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ(105)**) هود.

وبعد إذنهُ سبحانه في الكلام (**يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ(111)**) النحل.

وممن يجادلون عن أنفسهم يومئذ أربعةُ أصناف من البشر، فقد قال النبيء صلى الله عليه وسلم (**أربعةٌ يَحْتَجُّونَ يومَ القيامة: رجلٌ أَصَمُّ لايسمعُ شيئا، ورجلٌ أحْمَقُ، ورجلٌ هَرِمٌ، ورجل مات في فَتْرةٍ(3)**

---

1) و 2) الحق هو ذبح الحيوان لمنفعة الإنسان، لاقتله عبثا.

3) الفترة هي المدة الواقعة بين بعثتين من بعثات الرسل عليهم الصلاة والسلام.

فأمّا الأصمُّ فيقول ربّ لقد جاءَ الإسلامُ، وماأسمعُ شيئا، وأمَّا الأحمقُ فيقــول ربّ جاء الإسلامُ ، وماأَعْقِل شيئا ، والصبيانُ يَحْذِفُونَني بالبَعْرِ ، وأمّا الهِرَمُ فيقول ربّ قــد جاء الإسلامُ وماأعقِلُ شيئا، وأمّا الذي مَات في الفترة فيقول رب ماأتاني لك رسولٌ.

فيأخذُ مواثيقَهُم لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إليهم أَن ادْخُلُوا النارَ، فَمَنْ دَخَلَهَا كانت عليــه بَرْدًا وسلاما ، وَمَنْ لم يَدْخُلْهَا سُحِبَ إِلَيْهَا) رواه أحمد وابن حِبّان عن الأسود بن سريع وأبي هريرة رضي الله عنهما.

ومن هذا الحديث يَتَبَيَّنُ أنَّ الابتلاءَ لِبَني آدمَ شــيءٌ لازمٌ، ولكنَّ مِنْهُمْ مَنْ يبْتليهِ اللهُ في الدنيا، ومِنْهُم مَنْ يبتليه اللهُ في الآخرة كهؤلاء الأربعة.

وليس هذا بِدْعًا ولاغَريبا في الأمر، فإنّ الله سبحــانه قــد ابْتَلَى أَبَاهُمْ آدَمَ من قَبْلِهِمْ، عندما نَهَاهُ عن الأكل مِن شَجَرَةٍ مُعَيَّنَةٍ، وأشدُّ الناسِ بَلاَءً الأنبــياءُ، ثم الذين يَلُونَهُمْ، ثم الذين يلونهم كما قال نبينا عليه الصلاةُ والسلام.

وماخَلَقَ اللهُ المَوتَ والحياة إلاَّ لابْتِلاَءِ الخَلْق كما قال تعالى (**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيـــرٌ(1)الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ(2)**) المُلك .

وكما قال : (**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءامَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ(2)وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِيــنَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ(3)**) العنكبوت.

مشاهد من يخاصمهم الله ورسوله

روى البخاري وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**قال الله تعالى: ثلاثةٌ أنا خَصْمُهُمْ يومَ القيامة، رجلٌ أعْطَى بي ثُمَّ غدَرَ (1) ورجلٌ بـــاعَ حُرًّا فأكل ثَمَنَهُ، ورجلٌ استَأْجَرَ أجيرًا فاستَوْفَى مِنه، ولم يُعْطِهِ أجْرَهُ**).

وروى أبو داوود والبيهقي في السُّنن عن صَفْوَانَ بن سُلَيْم عن عِدَّة من أبناء أصحاب النبيء أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم قال: (**ألا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا أو انْتَقَصَهُ حَقَّهُ أوَ كَلَّفَهُ فوقَ طاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ منه شيئا بغير طِيب نَفْسٍ منه، فأنا حَجِيجُهُ يومَ القيامة**).

---

1) أي أعطى العهد بالله لأحد ثم نقض ذلك العهد.

من يشهد على الإنسان عند حسابه؟

عند الحساب يشهد على عمل الإنسان عِدَّةُ شهود.

فمن تلك الشهود الصحفُ التي تمّ تسجيلَ أعماله فيها، وهي التي وَقَعَتْ الإشَارَةُ إلَيْهَا في قـــول الله تعالى (**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ(10) كِرَامًا كَاتِبِينَ(11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ(12)**) الإنفطار، وفي قوله سبحـــانه (**أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ(80)**) الزخرف، وفي قوله (**هذا كتابُنَا ينْطِقُ عَلَيْكُمْ بالحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْـتَنْسِخُ ما كُنْتُم تَعْملون (29)**) الجاثية.

ومن الشهود على الإنسان بِقَاعُ الأرض التي مَرَّ بها في حياته ، فقـــد روى الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قـــرأ هذه الآية- **يوْمئذٍ تُحدِّثُ أخْبَارَهَا**-(1) فقال (**أتدْرُونَ ما أخْبَارُهَا؟**) قالوا الله ورسوله أعلَمُ، قال (**فإنَّ أخْبَارَها أنْ تشْهَدَ على كلِّ عبْدٍ وأمَةٍ بما عَمِلَ على ظَهرِهَا، أنْ تَقُولَ عَمِلَ كذا وكـــذا يَوْمَ كـــذا وكذا، هَذِهِ أخْبارُهَا**).

وروى الطبراني عن ربيعة الحدسي أن النبيء صلى الله عليه وسلم قـــال: (**تَحفَّظُوا مِنَ الأرضِ، فإنَّها أُمُّكُمْ، وإنَّهُ ليسَ مِنْ أحَدٍ عَامِلٍ عَلَيْهَا خَيْرًا أو شَرًّا إلاّ وهْيَ مُخبرةٌ**).

ومن الشُّهُود على الإنسان جوارحُ ذاتِه كما قال تعالى: (**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(24) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمْ اللَّهُ دِينَهُمْ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ(25)**) النور، وقـــال سبحـــــانه (**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(65)**) يس، وقال (**حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا(2) شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(20) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(21)**) فصلت.

ولكن هذه الشهادات إنما تكونُ بَعْدَ أنْ يُنكر المشهودُ عليهم مانُسبَ إليهم كقـــول بعضِهم (**مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ**) النحل -28، وقول آخرينَ (**وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ(23)**) الأنعام.

وكذلك كانوا في الدنيا يحلفون على الكذب وهم يعلمون فلقد قـــال الله تعالى (**يَوْمَ**

---

1) سورة الزلزلة الآية 4

2) يعني إذا جاءوا النار.

يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ(18)) المجادلة.

روى أبو يَعْلَى المَوْصِلي عن أبي سعيد الخُدْريّ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا كانَ يومُ القيامة عُرِّفَ الكافِرُ بعمله فَجَحَدَ وخاصَم، فقيل له هؤلاء جيرانُكَ يشهدون عليك، فيقول كَذَبُوا، فيقال أهْلُكَ وعَشِيرَتُكَ، فيقول كَذَبُوا، فَيقال إحْلِفوا، فيحلفون.**

ثم يُصْمِتُهُمْ الله ، وتَشْهَدُ أَلْسِنَتُهُمْ، ثم يُدْخِلُهُمْ النّارَ).

وروى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحِكَ، فقال: (**هل تَدرُونَ مِمَّ أضْحَكُ؟**) قلنا الله ورسوله أعلم، قال : (**مِنْ مُخَاطَبَةِ العبدِ رَبَّهُ، يقول يارب ألمْ تُجرْنِي مِنَ الظُّلم؟ يقول بَلَى، فيقول فإنّي لاأجيزُ على نفسي إلا شاهدًا مِنّي، فيقول كفى بنفسك اليومَ عليك شهيدا، وبالكرام الكاتِبينَ شُهُودًا، قال فيُخْتَمُ على فيه، فَيُقَال لأرْكَانه إنْطِقِي، قال فَتَنْطِقُ بأعماله، قال ثم يُخَلَّى بينه وَ بَينَ الكلامِ، قال فيقول: بُعْدًا لكُنَّ وسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كنتُ أُنَاضِلُ**).

من يشهد للانسان عند حسابه؟

كما علمنا أن الله سبحانهُ يقِيمُ مايشاء من الشهود علي أناس مِنْ خلقه يومَ القيامة، كذلك يأذن لمن يشهدون لأناس مِنْ خَلقه، فيشهدون لهم ويَقْبَلُ بفضله شهاداتهم.

فَمِن هؤلاء من يشهد لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شهادةً خاصة، كما جاء ذلك في ماروه البخاري في الصحيح عن جابر رضي الله عنه أنه قال كان النبيء صلى الله عليه وسلم يَجْمَعُ بين الرجلين مِنْ قتلى أُحُدٍ في ثوب واحد، ثم يقول: (**أَيُّهمْ أكْثَرُ أَخْذًا لِلْقرآن؟**) فإذا أُشِيرَ له إلى أحَدهِمَا قَدَّمَهُ في اللّحْدِ وقال: (**أنا شهيدٌ على هؤلاءِ يومَ القيامة**) وأمَرَ بدَفْنِهمْ في ثِيابِهم، و لم يُغْسَلُوا و لم يُصَلِّ عليهم.

ومن هؤلاء من يشهد لهم الحَجَرُ الأسْوَدُ، كما جاء ذلك في ماروه الترمذي وابن خُزَيْمَةَ وابن حِبَّان عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**والله لَيَبْعثَنَّهُ اللهُ يَوْمَ القيامة – يعني الحجرَ الأسودَ– له عينان يُبْصرُ بهما، ولسان يَنْطِق به، يَشْهَدُ على مَنِ اسْتَلَمَهُ بحقٍّ**)

وروى الطبراني في المعجم الأوسط عن عائشة رضي الله عنها أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أشْهِدُوا هذا الحجَرَ خيرًا، فإنّهُ يومَ القيامة شافعٌ مُشَفَّعٌ، له لسانان وشفتان، يَشْهَدُ لِمَنْ اسْتَلَمَهُ بالحَقِّ**).

وروى الإمام أحمد والطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يأتِي الرُّكْنُ اليَمَانِيُّ يومَ القيامة أعْظَمَ مِنْ أَبي قُبَيْسٍ (1) له لسانان وشفتَان**). وفي رواية الطبراني زيادةٌ وهي: (**يشْهَدُ لِمَنْ استَلَمَهُ بالحَقِّ، وهو يَمِينُ الله عزّ وجَلّ يُصَافِحُ بهَا خَلْقَهُ**).

ومِنْ هؤلاء مَنْ يَشْهَد له جيرانُهُ كما جاء ذلك في رواية الإمام أحمد في المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَامِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فيشْهَدُ له أهلُ ثلاثةِ أبيات من جيرانه الأدْنَيْنَ بخَيْرٍ، إلا قال الله تباركَ وتعالى قد قبِلْتُ شهادةَ عِبَادي على ماعَلِمُوا، وغَفَرْتُ له ماأعْلَمُ**).

ومِنْ هؤلاء مَنْ يَشْهَد له كلُّ رَطْبٍ ويابسٍ مِمَّن يَسْمَعُون منه النداءَ للصلوات كما جاء ذلك في رواية كُلٍّ مِن الإمام أحمد وأبي دواد والنَّسَائي وابن ماجه وابن حِبّانَ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**المُؤَذِّنُ يُغْفَرُ له مَدَى صَوْتِه، ويَشْهَدُ له كل رطْبٍ ويابِسٍ، وشاهدُ الصلاةِ يُكْتَبُ له خَمْسٌ وعشرون صلاةً، ويُكَفَّرُ عنه مابَيْنَهُمَا**).

مَشَاهِدُ الحساب على المظالم

في هذا اليوم الذي يقومُ فيه الناسُ لرب العالمين (**لا تَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ(2)(57)**)الروم و(**يَقُولُ الإنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ(10)**) القيامة و(**يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ(11)وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ(12)وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ(13)وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ(14)كَلاَّ**) المعارج.

روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**بَيْنَ العَبْدِ والجنّةِ سبعُ عِقَابٍ (3) أهْوَنُهَا الموتُ، وأَصْعَبُها الوقوفُ بين يَدَي الله، إذا تعَلّقَ المَظْلُومُونَ**

---

1) أبو قبيس جبل عظيم معروف بمكة

2) أي لا تنالهم العتبى، وهي عدم المؤاخذة بالذنب، فهم لا ينفعهم اعتذار، ولا إقرار بالذنب وطلب العفو.

3) جمع عقبة : ومن شأن العقبة أن تجاوزها شاق صعب.

بالظّالمينَ) رواه عن أنس أبو سعيد النقّاشُ في معجمه، وابن النجار في تاريخه.

فقد تبين من هذا الحديث أنَّ أشَدَّ مايَلْقَى الظَّلَمَةُ بَعْدَ الحياة الدنيا هي عَقَبَةُ الوقوفِ بين يدي الله عندما يَتَعَلَّقُ بهم المظلومون قائلين ياربنا أنت الحَكَمُ العَدْلُ فَاقْتَصَّ لنا منهم.

إن ذلك اليوم هو (**يومُ الفَصْلِ**) كما ذكرَ الله ذلك في القـــرآن و (**ذلِكَ اليَوْمُ الحَقُّ**) النبأُ-39- (**واللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ**) ويقـــول (**هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكم بِالْحَقِّ**) غافر -20-كما يقول (**وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُم نُذِقْهُ عَذَابًا كَبيرًا**) الفرقان -19-.

روى الامام أحمد وأبو عبد الله الحاكم عن عائشـــة رضي الله عنها أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**الدَّوَاوِينُ ثَلاثَةٌ، فَدِيوَانٌ لايَغْفِرُ اللهُ منه شيئًا، وديوانٌ لايَعْبأُ بـــه شـــيئًا، وديوانٌ لايَترُكُ اللهُ منه شيئًا.**

فأمَّا الديوانُ الذي لا يغفر الله منه شيئًا فالإشراك بالله وَأَمَّا الديوانُ الذي لايعبأُ بـــه شيئا، فَظُلْمُ العبدِ نَفْسَهُ فيما بينَه وبـــين ربِّهِ، مِن صَوْمِ يومٍ تَرَكَهُ، أو صلاةٍ تَرَكَهَا، فإنَّ الله يَغْفِرُ ذلك إن شاء الله ويتجَاوزُ.

وأمّا الديوانُ الذي لايَتْرُكُ الله منه شيئا فَمَظَالِمُ العِبَادِ بَيْنَهُمْ، القصاصُ لاَمَحَالَة)

وروى البزَّار والطيالســـي عن أنس بـــن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**الظُّلْمُ ثلاثةٌ، فَظُلْمٌ لايَغفِرُه الله، وظُلمٌ يَغْفِرُه، وظُلمٌ لايَتْرُكُهُ.**

فَأَمَّا الظُّلْمُ الذي لايغفِرُه الله فالشِّرْكُ، قال الله تعالى : إنّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.

وأمَّا الظُّلمُ الذي يَغْفِرُهُ اللهُ فظُلْمُ العِبَادِ أَنْفُسَهُمْ فيما بينهم وبين ربِّهم.

وأمّا الظُّلْمُ الذي لايَتْرُكُه اللهُ ، فَظُلْمُ العِبَادِ بَعْضِهِم بَعْضًا، حـــتّى يُدِينَ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ).

وكان سفيانُ الثَّوْري يقول : إنّكَ إنْ تَلْقَى الله عَزّ وجَلّ بسبعين ذنْبًا فيما بـــينك وبَيْنَهُ أهْوَنُ عليك من أن تلقاه بذنبٍ واحدٍ فيما بينك وبين العباد.

وروى الترمذي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رجلا قَعَدَ بـــين يدي النبيء صلى الله عليه وسلم فقال يارســـول الله إن لي مَمْلُوكَيْنِ يَكْذِبُونَنِي ، ويَخُونُونَني، ويعْصُونَنِي، وأشتُمُهُمْ وأضرِبُهُم، فكيفَ أنَا مِنْهُم؟

قـــال رســـول الله صلى الله عليه وســـلم: (**يُحْسَبُ ماخَانُوك وعَصَوْكَ وكَذَبُوكَ**

وعِقَابُكَ إيَّاهُمْ، فإن كانَ عِقَابُكَ إيّاهُم دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَـــان فَضْلاً لَكَ، وإن كَـــان عِقَابُكَ إيَّاهُم فوق ذُنُوبِهِم اقْتُصَّ لَهُم مِنْكَ الفَضْلُ)

قالت فَتَنَحَّى الرجُل فَجَعَلَ يَبْكى ويهْتِفُ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وســـلم: **(أَمَا تَقْرَأ في كتاب الله - (وَنَضَعُ الْمَوَازِيـــنَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ(47))** الأنبياء .

فقـــال الرجل : والله يارســـول الله ماأجدُ لي ولهؤلاء خَيْرًا من مُفارَقَتِهِمْ، أُشْهِدُكَ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ.

وروى البيهقي في شُعَب الايمان عن أبي سعيد الخُدريّ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(مَامِنْ عبْدٍ يَظْلِمُ رَجُلاً مَظْلِمَةً في الدنيا لايَقُصُّهُ مِن نَفْسهِ إلاّ أَقَصَّهُ اللهُ تعالى مِنْهُ يَوْمَ القيامةِ)**.

وروى البـــخاري في الأَدَب المُفْرَد عن أبي هُريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(مَنْ ضَرَبَ بِسَوْطٍ ظُلْمًا أقْتُصَّ منه يومَ القيامة)**.

وروى عَبْدُ بـــنُ حُمَيد عن أبي ســـعيد الخُدْري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(أَيُّهَا الناسُ اتّقُوا الله، فوالله لايظلمُ مُؤمِنٌ مؤْمِنًا إلا انْتَقَمَ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ القيامةِ)**.

وروى ابن ماجه عن حابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال : لَمَّا رَجَعَتْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُهَاجِرَةُ البحر قال: **(أَلاَ تُحَدِّثُونِي بِـــأَعَاجيبَ مارَأَيْتُم بِـــأرْضِ الحَبَشَةِ)** فقال فِتْيَةٌ منهم بلى يارسولَ الله، بينما نحن جُلُوسٌ ، مَرّتْ بِـــنا عَجُوزٌ من عَجَائِزهَا تَحْمِلُ على رأســـها قُلّةً مِنْ ماء، فَمَرَّتْ بفَتَى مِنْهُم فجعَلَ إحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ثُمّ دَفَعَهَا، فَخَرَّتْ علي رُكْبَتِهَا فانكسرَت قُلّتُها ، فلمَّا ارتَفَعَتْ إلتَفَتَتْ إليه فقالت سوفَ تَعْلَمُ ياغُدَرُ إذا وَضَعَ اللهُ الكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ، وتَكَلّمَتِ الأيْدِى والأرْجُلُ بما كانُوا يَكْسِبُونَ، فسوف تَعْلَمُ كيفَ أَمْري وأمرُك عِنْدَهُ غدًا.

قال جابر : يقول رســـول الله صلى الله عليه وســـلم **(صَدَقَتْ صَدَقَتْ، كيفَ يُقَدِّسُ اللهُ أمةً لايُؤخَذُ لِضَعيفِهِم مِن شَدِيدِهِمْ)**.

وروى أبو نُعَيمْ عن زَاذَانَ أبي عمر أنه قال : دخلتُ على ابن مســـعود رضي الله عنه، فوجدتُ أُصحابَ الخَزِّ واليمنة قد سَبَقُوني إلى المَجْلِس، فقلتُ ياعبـــد الله مِنْ أجل أني رَجُلٌ أعجَمِيٌّ أدْنَيْتَ هؤلاء وأقْصيَتني.

قال عبد الله أُدْنُ، فدنوتُ، حتى ما كان بيني وبينه جليسٌ، فسمعته يقـــول: يُؤْخَذُ بيَدِ العَبْدِ أو الأمَةِ فيُنْصَبُ علي رؤوس الأولين والآخرين، ثم يُنادي مُناد هذا فلانُ بـــنُ فلان، فمن كان له حقٌّ فَلْيَأْتِ إلى حَقِّهِ، فتَفرَحُ المرأةُ بأنْ يُدوِّنَ لها الحقُّ على ابنِهَا، أو أخيها، أو أبـــيها أو على زوجها.

ثم قرأ ابن مسعود (**فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُونَ(101))** المؤمنون، فيقـــول الرّبُّ للعبد إئْتِ هؤلاء حقَّهُم؟ فيقول يارب فَنِيَتِ الدُّنْيَا ، فَمِن أين أوتيهم؟ فيقول للملائكَةِ خُذُوا من أعْمَالِه الصالحةِ فأعْطُوا كُلَّ إنسان بقَدْرِ طِلْبَتِهِ، فإنْ كان وليًّا لله فَضَلَتْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ من خَيْرٍ، ضاعفَها اللهُ، حتى يَدْخُلَ بها الجنةَ.

ثم قـــرأ (**إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُنْ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا(40))** النساء ، وإن كان عبدًا شقيا قالَتِ الملائكةُ ربِّ فَنِيَتْ حسناتُه، وبَقـــي طَالِبُونَ، فيقولُ للملائكةِ : خُذُوا من أعْمالِهم السّيئةِ فأضيفُوهَا إلى سيّئاتِهِ، وصُكُّوا لَهُ صكًّا إلى النَّار).

إن ماثبت عن الله ورسوله في القصاص المتعلق بالمظالِم يشمل ويعم كافّة المظالِم قليلَها وكثيرَها، سواءً أكَانَتْ في الدماء أم في الأموال أم في الأعراض.

فقد روى مسلم في صحيحه عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وســـلم قال: (**حُرْمَةُ نسَاءِ المُجاهدينَ على القاعدين كَحُرْمَةِ أُمَّهاتِهِمْ، ومامن رجل من القـــاعدين يخْلُفُ رَجُلاً مَن المُجَاهِدِينَ في أهْلِهِ فَيَخُونُه فِيهِمْ إلاَّ وُقِفَ لَهُ يَومَ القِيَامة فـــيَأخُذَ مِنْ عَمَلِهِ ماشاءَ، ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وسلم فمَا ظَنُّكُمْ؟**)

قـــال العلماء إن معنى قـــوله (**فَمَا ظَنُّكُمْ ؟**) ماتَظُنُّونَ رَغْبَتَهُ في الأخْذِ مِنْ حســـنَاتِهِ والاسْتِكْثَارِ منها في ذلك المقام؟ أيْ لا يُبْقِي مِنْهَا شيئا إنْ أمْكَنَهُ ذلك.

وروى الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبيء صلّى الله عليه وســـلّم قال: (**مَنْ مَاتَ وعليه دينارٌ أو درهمٌ قُضِيَ منْ حَسَنَاتِهِ، ليس ثَمَّ دينارٌ ولادرهمٌ**)

وروى النسائي والطبراني عن محمد بن عبد الله بن جَحْش رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدًا حيثُ تُوضَعُ الجَنائِزُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ قِبَلَ السماء، ثم خَفَضَ بَصرَه فَوَضَعَ يَدَهُ على جَبْهَتِهِ فقال: (**سبْحَانَ الله، سبحانَ الله ماأُنْزِلَ مِن التّشْدِيدِ مَا أُنْزِلَ مِنَ التشْدِيدِ**) قال فعرفنا وسكتنا، حتى إذا كان الغد سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا ما التّشدِيدُ الذي نَزَلَ؟ قال (**في الدَّيْنِ، والذي نفسي بيَدِهِ لو قُتِلَ رجُلٌ في سبيلِ الله، ثم عَاشَ**

ثم قُتِل، ثم عاش ثم قُتِلَ وعليه دينٌ مادخَلَ الجنَّةَ حتّى يُقْضى ديْنُهُ).

وروى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(يُغْفَرُ للشَّهيدِ كُلُّ ذَنبٍ إلا الدَّينَ)**

وروى ابن ماجه والطبراني عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(إنَّ الله عزَّ وجلَّ وكَّلَ مَلَكَ الموت بقَبْضِ الأرْواحِ، إلاّ شُهَدَاءَ البحْرِ، فإنّهُ يَتوَلّى قبضَ أرواحِهِمْ، ويَغْفِرُ لشَهِيدِ البرِّ الذنوبَ كُلَّهَا إلاَّ الدَّيْنَ، ويغفِرُ لِشَهِيدِ البــحْرِ الذنوبَ كلّهَا والدَّينَ)**

وروى أبو داوود عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(إنَّ أعْظَمَ الذُّنُوب عِنْدَ الله أنْ يَلْقَاهُ بِهَا عَبْدٌ بَعْدَ الكَبَائرِ التي نَهَى عنها أنْ يَمُوتَ رجلٌ وعليه دينٌ، لايَدَعُ له قَضَاءً).**

وروى ابن ماجه عن عبد الله بن عَمْرو بــن العاص رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(إنَّ الدَّيْنَ يُقَصُّ مِنْ صاحبِهِ يومَ القــيامة إذا ماتَ، إلاّ مَنْ تَديَّنَ في ثلاث خِلالٍ، الرجلُ تَضْعُفُ قُوّتُهُ في سبيل الله، فَيَسْتَدينُ، يتقوَّى به على عدوّ الله وعدوِّه، ورَجُلٌ يــمُوتُ عندهُ مُسْلِمُ لايَجدُ ما يُكَفِّنُهُ، ويُواريهِ إلاَّ بدَيْنٍ، ورجلٌ خَافَ على نفْسِهِ العُزبَةَ فينْكِحُ خَشْيَةً على دينهِ فإنَّ الله يَقْضي عنْ هؤُلاء يومَ القيامة).**

وسبحان الله الحكم العدل، إنَّهُ يَقْضي بين خلقه بالقسط في ماجرى بينهم من تظالُمٍ، ويُعْطِي لكل ذي حقٍّ حقَّهُ، ولو كان التظالم بين الحيوانات.

روى مسلم وأحمد والبخاري في الأدب المُفْرَد والتِّرمذيّ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(لَتُؤَدّنَّ الحقوقُ إلَى أهلِهَا يومَ القِيامَةِ حتّى يُقَاد(1) للشّاة الجَلْحَاء (2) من الشّاة القَرْنَاء تَنْطَحُهَا).**

كما روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(ألاَ والذي نَفْسي بيدِهِ لَيَخْتَصِمَنَّ كلُّ شيءٍ يوم القيامة، حتّى الشّاتَان فيما انْتَطَحَتَا).**

وروى أحمد أيضا عن أبي ذرّ الغِفَاري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم كان جالسا، وشاتان تَقْتَرِنَانِ(3) فنطحَتْ إحداهُمَا الأخرى فأَجْهَضَتْهَا، قال فضحِكَ رســول الله

---

1) يقاد يقتص .
2) الجلحاء التي ليس لها قرون.
3) تقترنان تلتصقان وتحتكان

صلى الله عليه وسلم، فقيل له مايُضْحِكُكَ يارسول الله؟ قال: (**عَجِبْتُ لَهَا، والذي نفسي بيده لَيُقَادَنَّ لها(1)يومَ القيامة**).

ومِنْ حِرْصِ الصحابة على معرفة مايتعلق بالقصاص يوم القيامة أن أحدَهم سافَرَ فقطع آلافَ الأميال ذهاباً وإياباً لمعرفة حديث لم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بَلَغَهُ أنَّ صحابيا آخرَ كان سمِعه، فسافر إليه ليتلَقّى منه ذلك الحديث، فقد روى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: بَلَغَني حديثٌ عن رَجل سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتريتُ بعيرًا، ثم شدَدْتُ عليه رَحْلي، فسرْتُ إليه شهرا، حتى قَدِمْتُ عليه الشام، فإذا عبد الله بن أنيس رضي الله عنه، فقلت للبوّاب قل له جابر على الباب، فقال ابن عبد الله؟ قلتُ نعم، فخرج يَطَأُ ثَوْبَهُ، فاعْتَنَقَنِي واعْتَنَقْتُهُ، فقلت حديثا بلَغَني عنك أنك سمِعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص فَخَشِيتُ أن تموتَ أو أموتَ قبل أن أسْمَعَهُ.

قال سمِعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**يُحْشَرُ النَّاسُ يومَ القيامةِ–أو قال العبادُ– حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً بُهْمًا، قُلْنَا ومَابُهْمًا؟ قال ليس معهم شيْءٌ، ثم يُنَاديهمْ بصوْت يَسْمَعُه مَنْ قَرُبَ كما يسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، أنَا المَلِكُ، أنا الدَّيَّانُ، لاينبغي لأحد من أَهل النار أنْ يدْخُلَ النّارَ وله عنْدَ أحدٍ منْ أهْلِ الجنّةِ حقٌّ حتى أَقُصَّهُ منه، ولاينبغي لأحد من أهل الجنّة أنْ يَدْخُلَ الجَنَّة ولأحَدٍ منْ أهلِ النار عنده حقٌّ حتّى أقصَّهُ منه، حتى اللّطْمَةَ، قال قلنا كيف وإنّا إنَّما نأتِي الله عزّ وجلّ عُراةً غُرْلاً، قال: بالحسناتِ والسّيئاتِ**).

من أعجب مشاهد الحساب يوم القيامة

إذا حاول الإنسان أن يُقَارِنَ بين عَمَلِهِ الصالِح وبَيْنَ نعَمِ الله عليه، فإن كلَّ عباداتِهِ، وكلَّ مايَبْذُلُ مِن جُهْدٍ في العمل الصالح سَيُدْرِكُ أنّها لاتُساوِي ولاتُقارِبُ إحدى النِّعَم التي غمَرَهُ الله بها، وذلك عندما يقوم بهذه المقارنة بوَعْيٍ وتَبَصُّرٍ.

وتتبيّنُ له هذه الحقيقةُ في مُنْتَهَى الوُضوحِ عندما يُحَاسِبُ الله أخا له من ذُرِّيّة آدم عليه السلام حسابًا يقوم على المُوَازَنَةِ بين ماله وماعليه.

واستَمِعْ ياأخي إلى هذا الموقفِ من الحساب العجيب لرجل صالح من إخواننا أبناء آدمَ عليه السلام.

---

1) ليقادن ليقتصن

روى أبو عبد الله الحاكم بسند صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قـال :
خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (خَرَجَ مِنْ عندي خليلي جبْريلُ آنفًا فقال يامحمّدُ، والذي بعَثَكَ بالحقِّ إنّ لِلهِ عبْدًا منْ عباده، عبَدَ اللهَ خمسمِائةِ سنةٍ على رأْسِ جبلٍ في البحر عَرْضُهُ وطُولُه ثَلاثُونَ ذراعًا في ثلاثِينَ ذراعًا، والبحْرُ مُحـيطٌ بـه، أربَعَةَ آلافِ فرسخٍ منْ كُلِّ ناحيةٍ، وأَخْرَجَ لَهُ عَيْنًا عَذْبَةً بعَرْضِ الإصْبعِ تَفيضُ بماءٍ عَذْبٍ ، فَيَسْتَنْقِعُ(1) في أسْفَلِ الجَبَلِ، وشَجَرَةَ رُمَّانٍ تُخْرِجُ له في كلّ ليلةٍ رُمَّانةً.

يَتَعَبَّدُ يوْمَهُ، فإذا أمْسى نزلَ فأصابَ من الوُضُوءِ وأخذَ تلك الرُّمَّانةَ فَأَكَلَهَا، ثم قام لصلاته، فسأل ربّه عند وقـتِ الأجَلِ أن يقْبضَهُ ساجدًا، وأنْ لا يَجْعَلَ للأرضِ ولا لِشَيءٍ يُفْسدُهُ عليه سبيلاً، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ وهو ساجدٌ.

قَالَ فَفَعَلَ(2) فَنَحْنُ نَمُرُّ عليه إذا هَبَطْنَا وإذا عَرَجْنَا فَنَجدُ لَهُ في العلم أنه يُبْعَثُ يوم القيامة، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ، فيقولُ الربُّ أدْخِلُوا عبْدِيَ الجَنّةَ برحمتي، فيقول ربِّ، بـل بعَمَلِي، فيقول أدْخِلُوا عبديَ الجنةَ برَحْمَتِي، فيقول رب بل بعملي.

فيقول اللهُ قايسُوا عَبْدِي بنعْمَتِي عليه وبعَمَلِهِ، فَتُوجَدُ نعْمَةُ البَصَرِ قـد أحـاطَتْ بعبادة خمسمائة سنة، وبَقِيَتْ نعمةُ الجَسَدِ (3) فَضْلاً عليه، فيقـول أدخلُوا عبـدي النارَ، فَيُجَرُّ إلى النار، فينادي ربِّ برحمتك أَدْخِلْني الجنةَ، فيقول رُدُّوهُ، فيقِفُ بين يدي الله.

فيقول ياعبدي مَنْ خَلَقَكَ ولَمْ تَكُ شَيْئًا؟ فيقول أنت يارب، فيقول مَنْ قَوَّاكَ لعبادة خمسمائة سنة؟ فيقول أنت يارب، فيقول مَنْ أنزلَكَ في جَبَلٍ وسَطَ البحر؟ وأخْرَجَ لكَ الماءَ العذْبَ مِنَ المَاءِ المالحِ؟ وأخْرَجَ لك كُلّ ليلةٍ رمّانة، وإنما تُخْرِجُ مرَّةً في السنة؟ وسـألتَهُ أنْ يقْبضَكَ ساجدًا ففعَلَ؟ فيقول أنت يارب.

قال فذلك برحمتي، وبرحمتي أُدْخِلُكَ الجنة، أدْخلُوا عَبْدي الجنة، فنِعم العبـدُ كنتَ ياعبدي فأَدْخَلَهُ اللهُ الجنة.

قال جبريل : (إنَّمَا الأشْيَاءُ برَحْمَةِ الله يامحمد).

ومثلُ هذا المشهد مارواه الطبراني عن واثِلَةَ بن الأسْقَعِ رضي الله عنه أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (يَبْعَثُ اللهُ يومَ القيامة عبْدًا لاذَنْبَ له، فَيَقُولُ اللهُ أيّ الأمرين أحبُّ إليْكَ؟ أنْ أَجْزِيَكَ بعَمَلِكَ، أوْ بِنِعْمَتِي عنْدكَ؟

---

1) يستنقع يتجمع .
2) ففعل أي فاستجاب له.
3) بما في الجسد من نعم أخرى كنعمة السمع والذوق والشم والتفكير والتنفس والهضم...إلخ إلخ .

قالَ ياربِّ إنّكَ تعْلَمُ أنّي لم أَعصِكَ، قال خُذُوا عبدي بنعمةٍ منْ نعَمِي، فما تَبْقَى له حسنةٌ إلا اسْتَغْرَقَتْهَا تلكَ النعمةُ، فيقول رب بنعمتك ورحمتك فيقول بنعمتي ورَحْمَتِي).

وروى كل من البخاري ومسلم عن عائشـــة رضي الله عنها أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**سَدِّدُوا(1) وقَارِبُوا(2) وأَبْشِرُوا(3) فإنَّهُ لنْ يُدْخِلَ أحدًا الجَنَّةَ عَمَلُهُ، قالوا ولا أنت يارسول الله، قال ولا أنا إلاَّ أنْ يَتَغَمَّدنِي الله برحمته**).

كما روى الإمام أحمد عن أبي ســـعيد الخُدريِّ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**لَنْ يَدْخُلَ الجنّةَ أحَدٌ إلاّ برحمةِ الله، قالوا ولا أنتَ يارسول الله، قـــال ولا أنا إلا أنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ برحمتِهِ وقال بيده فوق رأْسِهِ(4)**).

ومن عجيب مشاهدِ الحساب مارواه أبو عبد الله الحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ إذ رأيناهُ ضَحِكَ حتى بـــدَتْ ثَنَايَاهُ، فقال له عُمر ماأضْحَكَكَ يارسول الله بأبي أنت وأمّي؟ قال: (**رجُلان منْ أُمَّتِي جَثَيَا (5) بـــين يديْ ربِّ العزّة، فقـــال أحـــدُهُمَا يارب خُذْ لي مَظْلَمَتِي مِنْ أخي، فقـــال اللهُ كيف تصْنَعُ بأخيكَ ولْم يَبْقَ منْ حسناته شيءُ؟ قال ربِّ فلْيَحْمِلْ مِنْ أوزاري، وفَاضتْ عَيْنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبُكاءِ ثمّ قـــال إن ذلك ليَوْمٌ عظيم، يحتاجُ النّاسُ أن يُحْملَ عنْهم من أوزَارِهِمْ**).

ومن عجيب مشاهدِ الحساب مارواه كلٌّ مِن البخاري ومسلم وأحمد عن أبي ســـعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قـــال: (**إنَّ رجلا كان قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللهُ (6) مالاً، فقال لبنيه لّما حُضِرَ : أيُّ أب كنتُ لَكُمْ؟ قالوا خيْرَ أب، قـــال إنّي لم أعْمَلْ خيْرًا قطُّ، فإذا مُتُّ فأحرِقُونِي، ثمّ اسْحقُونِيَ، ثم اُذْرُونِي في يومٍ عَاصِفٍ، ففَعَلُوا.**

فَجَمَعَهُ الله عزّ وجلّ، فقال ماحَمَلَكَ؟ قال مخافَتُكَ فتَلَقَّاهُ اللهُ برحْمتِهِ).

---

1) سددوا تحروا الحق والسَّدَاد

2) أي لاتفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملالة فتتركوا العمل، فيحـــملكم الإفراط على التفريط.

3) وافرحوا بفضل الله عليكم.

4) للإشارة إلى مايفيض الله على عبده من رحمته.

5) جلسا على ركبتيهما.

6) رغسه أعطاه

وقد روى البخاري قِصَّة هذا الرجل من طريق آخر عن أبي سـعيد الخدْري أيضا أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم **ذَكَرَ رَجُلاً مِمَّنْ كانَ سلَفَ،أو مِمَّنْ كان قبلكم آتاهُ الله مالاً وولدًا، قال فلمَّا حُضِرَ قـال لبَنيهِ أيَّ أب كنتُ لَكُم؟ قَالوا خيرَ أب، قـال فإنَّهُ لم يبْتَسرْ عنْدَ الله خيرًا– فسرها قتادة بقوله– لم يدَّخِرْ، وإنْ يَقْدِمْ على الله يُعذِّبْهُ فانظُرُوا، فإذا مُتُّ فأَحْرِقُوني حتى إذا صِرْتُ فَحْمًا فاسْحِقُوني أو فأسْهكُوني، ثم إذا كَان ريحٌ عاصِفٌ فاذروني فيها. فَأخَذَ مَواثيقَهُمْ على ذلك وربِّي، ففَعَلُوا.**

فقال الله كُنْ فإذا رجلٌ قـائمٌ، ثمّ قَالَ أيْ عَبْدِي ماحَمَلكَ على مافَعَلْتَ؟ قـال : (مَخَافَتُكَ، أوْ فَرَقي مِنْكَ، فَمَا تَلافَاهُ أنْ رَحِمَهُ الله).

إنَّ هذا الرجلَ قد اجْتَمَعَ في قلبه أمران: أمرٌ كان فيه مصيبًا وأمرٌ كان فيه مُخطِئًا.

أمّا مَا كان فيه مُصيبا فهو أن العبد إذا أذنب فقد هَيَّأَ نَفسَه وأعَدَّهَا للعقاب.

وأمَّا ما كان فيه مُخْطِئًا فهو ظنُّه أن الله لايَقْدِرُ على جَمْعِ جسدِهِ إذا وقع إتْلاَفُهُ بالحرق وتذْريَةِ رماده تذرية بالغة.

فتجاوزَ اللهُ عن خطئه، وَرَحِمَهُ لمخَافَتِهِ مِن الله.

مشاهد الميزان

من المشاهد العظام يوم القيامة مشاهدُ الوزن لأعمال العباد، إذ إن مِن الأعمال مايَثْقُلُ في الميزان، ومنها مَايَخِفُّ، فَمَنْ ثَقُلَتْ موازينُهُ فقد فاز فوزا عظيما، ومنْ خَفَّتْ موازينُه فقد خَسِر خُسْرانًا مُبينا.

ومن أجل هذا الحد الفاصل بين أهل النعيم وأهل الجحـيم يشـتدُّ الذهول عند ذلك الوزن الحَقّ، فَيَنْسَى القريبُ قريبَهُ، ولايذْكُرُ الحبيبُ حبيبَهُ.

ولقد بكت السيدةُ عائشـةُ أمُّ المؤمنين رضي الله عنها عند تذَكُّرها لِهَوْل النار يومئذ، وقالت يارسول الله هل تَذْكُرُونَ أهْليكُمْ يوم القيامةِ؟ فأخْبَرَهَا بأنَّ ثلاثةَ مواطنَ مِنْ مَوَاطِنِ يوم القيامةِ لا يذكُرُ فيها أحَدٌ أحَدًا، وذكَرَ الميزانَ مِن تلك المواطنِ الثلاثةِ، حتى يتبيَّنَ للمرءِ أيَخفُّ ميزانُهُ أو يَثْقُلُ.

إن وزن الأعمال يوم القيامة أمرٌ حقٌّ وَرَدَ ذكرُه في القرآن العظيم وفي السـنة المُطَهَّرَة،

فقد قال الله تعالى: (**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ(47)**) الأنبياء، وقال سبحانه: (**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(8)وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ(9)**) الأعراف، وقال: (**فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ(6)فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(7)وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ(8)فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ(9)وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ(10)نَارٌ حَامِيَةٌ(11)**) القارعة.

وقد وَرَدَت في السنة أحاديثُ كثيرةٌ ذَكَرَ فيها رسولُ الله أشياءَ تتعلّقُ بالوزن والميزان كقوله صلى الله عليه وسلم: (**الطُّهُور شَطْرُ الإيمان، والحَمْدُ لله تَمْلأُ الميزان**) رواه مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

هل الميزان واحدٌ أو هناك عدَّةُ موازين؟

وَزْنُ الأعمالِ يوم القيامةِ إنّما يكونُ بواسطةِ المَوَازِينِ وماورد في القرآن إلا بصيغة الجَمْعِ(1) وقد دلت الموازين في القرآن على آلات الوزن، حيث وُصِفَتْ الموازين بالقسط، قال الله تعالى(**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**) الأنبياء -47.

قال ابن الأثير: القِسْطُ هو الميزان، سُمِّيَ به من القسط الذي هو العَدْلُ(2).

كما دلّت الموازين في آية أخرى على الأعمال الموزونات، قال سبحانه: (**فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ(6)فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(7)وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ(8)فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ(9)**) القارعة.

وهل لجميع الأعمال ميزانٌ واحدٌ، أو لأعمال القلوب ميزانٌ ولأعمال الجوارح ميزانٌ، وللأقوال ميزانٌ؟ كما قال بعض العلماء، ولكن ابن عطيّة قال إنّ الناس على خلاف هذا القول، وإنما لكل واحد وَزْنٌ مختصّ به، والميزان واحدٌ.

---

1) وأما ورود الميزان مفردا في قوله تعالى (والسَّماءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ أنْ لا تَطْغَوْ في المِيزَان، وَأقِيمُوا الوَزْنَ بالقِسْطِ ولا تُخْسِرُوا المِيزَان) الرحمن -5-7. فالمراد به العدل، وهو حكم مؤكد من الله لإلزام البشرَ في الدنيا بأن يتعاملوا بتمام العدَل.

2) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج 3 ص 252. وجاء نعت الموازين بالقسط، والقسط لفظ مفرد لأن ذلك هو مايقتضيه اللسان العربي، قال محمد بن مالك رحمه الله.

ونَعَتُوا بمَصْدَرٍ كثيرا فالْتَزَمُوا الإفْرَادَ وَالتّذْكِيرَا

فكما يقولون رجل عدل، يقولون رجالَ عدل. ويقولون ميزان قسط، وموازين قسط.

أما صفة الميزان فقد ورد عن النبيء صلى الله عليه وسلم أن له كِفَّتَيْن وذلك في عدة أحاديثَ منها مارواه ابنُ أبي الدنيا عن عبد الله بن عَمْرو رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يُؤْتَى الرَّجُلُ يوْمَ القِيامَةِ إلى الميزان، فتُخرَجُ له تسعةٌ وتسعُونَ سِجلاً، كلُّ سِجلٍّ منها مدَّ البصر، فيها ذُنُوبُهُ وخطاياه، فَتُوضَعُ في كِفّةٍ، ثمَّ يُخرَجُ لهُ قِرْطَاسٌ مِثلُ الأنْمُلَةِ فيها شهادةُ أنْ لا إله إلا الله وأن محمّدًا رسولُ الله فتُوضَعُ في الكِفَّة الأخْرَى. فترْجِحُ بخطَاياه**).

وروى أحمد الترمذي والحاكم والبيهقي في الشُّعَب رووا جميعا عن عبد الله بن عمْرو ابن العاص رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ الله سَيُخلِصُ رَجُلاً مِنْ أمّتي على رؤوسِ الخلائق يوم القيامة فَيَنْشُرُ عليه تسعةً وتسعينَ سِجلاً، كُلُّ سِجلٍّ مِثلُ مَدِّ البصر، ثم يقول أتُنكِرُ مِنْ هذا شيئًا؟ أظَلَمَكَ كَتَبتي الحَافِظُونَ؟ فيقول لا يارب، فيقول أفَلَكَ عُذْرٌ؟ فيَقُول لا يارب.**

فيقُول الله: بلى إن لك عندنا حسَنةً، وإنَّهُ لاظُلمَ عليك اليومَ، فَتُخْرَجُ له بطاقةٌ فيها أشْهدُ أنْ لا إله إلا الله، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدهُ ورسُولُهُ، فيقولُ احْضُرْ وزْنَكَ، فيقول يارب ماهذه البطاقةُ مع هذه السِّجلات؟ فيقال: (فإنّك لا تُظْلَمُ، فتوضعُ السجلاتُ في كِفَّةٍ والبطاقةُ في كِفّة، فطاشتِ السجلَاتُ، وثقلت البطاقةُ، ولايثقُلُ مع اسم الله تعالى شيء)).

فتَبيَّنَ مِن هذين الحَدِيثَين أنّ للميزان كِفَّتَيْن توضع في احداهما حسنات الإنسان، وتوضعُ في الأخرى سيئَاتُهُ.

لكن هناك من يَسْتَبْعِدونَ أن تكون صفةُ الميزان على هذه الصورة قائلين كيف تُوزَن أعمال القلوب مثل النوايا وكذلك الأقوال، إذ كلٌّ مِنَ النوايا والأقوال، ماهي إلا أعراض لاتقوم بذواتها، وليست مجسَّمَةً تجسيما ماديا.

ولكنَّ هؤلاء المُسْتَبْعِدِينَ لوَزْن ماذكروه قد غاب عنهم أمران.

<u>الأمر الأول</u> هو أنَّ شُؤُون الآخِرَة لاتُقَاسُ على الأمور التي ألِفَهَا النّاسُ وعَرَفُوها في الحياة الدنيا.

<u>الأمر الثاني</u> هو أنّ الأحاديثَ الصحيحةَ قد بَيَّنَتْ أنَّ مِنْ الأعراض ما سيحضر يوم القيامة مُجَسَّمًا.

فمن ذلك مارواه الإمام أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي في الشعب عن عبد الله بن

عمْرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**الصِّيَامُ والقرآنُ يشْفَعَان للعبد يوم القيامة، يقول الصّيام: أي رَبِّ إنّي مَنَعْتُهُ الطّعَام والشّراب بالنّهار فشفّعْني فيه، ويقول القرآنُ: ربِّ منعتهُ النّومَ بالليل فشَفّعني فيه، فيشْفَعان**).

ففي هذا الحديث قَدْ ثبت الكلامُ للصيام والقرآن، والإعرابُ عَنْ أشياء مُعيّنةٍ، والشفاعةُ لأصحابهما، وهما أعراضٌ كما لايَخْفى.

وفي نفس هذا المعنى ماورد في صحيح مسلم من قوله صلى الله عليه وسلم (**والحمدُ لله تَمْلأُ الميزانَ**).

وماورد في صحيح البخاري من قوله صلى الله عليه وسلم (**كَلِمَتَان خَفيفَتَان على اللّسان، ثَقيلَتَان في الميزان حَبِيبَتان إلى الرحمن:(سُبْحَانَ الله وبحمده سُبحانَ الله العظيم)**).

ثمّ إنَّ المستبعِدِين لتجسيم تلك الأعراض يوم القيامة قد يقولون إنما الموزون هو ثوابُ الصيام، وثوابُ قراءة القرآن، وثوابُ الذكر، لا تلك الطاعات نفسها.

إنَّ هؤلاء إذا أجازُوا تأويلَ الموزون بأنه ثوابُ العمل وليست الأعمالُ التي هي أعراضٌ، يقالُ لهم وماتقولون في تجسيم الموْت يوم القيامة، حتى يُجْعَل بين الجنّةِ والنار، ثم يُذبحُ. وذلك في ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرٍ رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا صَارَ أهلُ الجنّةِ إلى الجنَةِ وصار أهلُ النّار إلى النّار، أُتِيَ بالموْت حتى يُجْعَلَ بين الجنّة والنّار، ثم يُذْبحُ، ثمّ يُنادي مُناد يا أهل الجنة لا موتَ، ويا أهل النّار لاموْتَ، فيزْدادُ أهْلُ الجنّة فَرَحًا إلى فَرَحِهِمْ، ويزْدادُ أهلُ النّارِ حُزْنًا إلى حُزْنِهِمْ**).

وجاء في وصفُ الموت عند ذبحه (**كأنّهُ كَبْشٌ أمْلَحُ**) (1) كما في رواية الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه.

وجاء أنّهُ يُوقَفُ يومئذ على الصراط. (**فيُذبحُ على الصّراط**) كما في رواية أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه

ولئن ثبت أن العمل يُوزَنُ لَقَدْ ورَد في السّنة أنَّ العبدَ أيضا. يوزنُ، فقد روى الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يَجْتَني سوَاكا من الأراك، وكان دقيقَ السّاقَيْن، فَجَعَلَتِ الريحُ تكفَؤُهُ، فضحك القومُ منه، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (**مِمَّ تَضْحكون؟ قالوا يانبيَّ الله مِنْ دِقّةِ سَاقَيْهِ، فقال والذي نفسي بيده لَهُمَا أَثْقَلُ في الميزان مِنْ أحُدٍ**).

---

1) **الكبش الأملح هو الأبيض**

كما روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّهُ لَيَأْتِي الرّجلُ العظيمُ السّمينُ يوم القِيامَةِ لايَزِنُ عند الله جناح بَعُوضَةٍ**) قال أبو هريرة : إقْرَأُوا إنْ شِئْتُمْ (**فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**) الكهف -105.

ولكن ابن مَرْدَوَيْهِ روى الحديث عن أبي هريرة بصيغة أخرى حيث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**يُؤْتَى بالرجل الأَكُولِ الشَّرُوبِ العظيمِ، فَيُوزَنُ بِحَبَّةٍ فلا يزِنُهَا**) قال واقرأوا (**فلا نُقيمُ لهم يومَ القيامةِ وَزْنًا**).

وقال ابن جرير في تفسير قول الله تعالى (**فلا نُقيمُ لهمْ يومَ القيامةِ وزْنًا**) أي فلا نجعلُ لهم ثِقْلاً، وإنما عني بذلك أنّهم لاتُثَقَّلُ بهم موازينهم، لأنّ الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة، قال وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهلُ التأويل.(1).

متى تنصب الموازين؟

قال القرطبي في التذكرة نقلا عن بعض العلماء: (**إذا انْقَضَى الحسابُ، كان بعده وزنُ الأعمال، لأنَّ الوزنَ للجزاء، فينبغي أن يكونَ بعد المحاسبة، فإنَّ المحاسبَةَ لتَقْدير أنواع الأعْمَالِ، والوزنَ لإظهارِ مقَاديرِهَا، ليكون الجزاءُ بحَسْبِهَا**).

مرجحات الميزان

قد تكون الموزونات خفيفةً، وقد تكون ثقيلةً، والثِّقَلُ والخِفَّةُ لايكونان إلا تابعين للقيمة الحقيقيةِ للشيء الموزون.

إنّ من الأقوال والأعمال والأشخاص ما يَبْدُو لنا الآن أنه خفيفُ الوزن عند الحساب، ولكنه من أثْقَلِ المَوزُونَات بالنظرِ إلى ماتكون عليه حقائق الأشياء في اليوم الحقِّ.

مِن فضل الله علينا أن نبينا صلى الله عليه وسلم قد أخْبَرَنَا ببعض ما يكون يومئذ ثقيلاً في الميزانِ لتغتَنِمَهُ أمّتُهُ في هذه الحياة.

من ذلك ماروواه كل من البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**كَلِمَتَان خفيفتان على اللسان، ثقيلتَان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحانَ الله وبحمده، سبحانَ اللهِ العظيم**).

---

1) تفسير الطبري ج 16 ص 35.

ومن ذلك مارواه البزَّارُ عنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، ومارواه النَّسائي وابن حِبّان والحاكم عن أبي سَلَمَةَ رضي الله عنه ومارواه أحمد عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه أنّهم جميعا قالوا: قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**بَـــخٍ، بَـــخٍ** (1) **لَخَمْسٍ ما أثْقَلَهُنَّ في الميزان لا إله إلا اللهُ، وسبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، واللهُ أكبر، والولَدُ الصالحُ يُتَوَفَّى للمرءِ المسلم فيحتَسبُهُ**).

ومن ذلك ماروا ه أبو القاسم الأصبهاني عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يافاطمةُ قُومي فاشهَدي أُضْحِيَتَكِ، فإنّ لكِ بأوّلِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهَا مغفرةً لكلّ ذَنْب**).

أما إنه يُجَاءُ بلَحْمِهَا ودَمِهَا، تُوضَع في ميزانك سبعينَ ضِعْفًا، قال أبو سعيد يارســـول الله هذا لآل محمد خاصّةً، فإنهم أهلٌ لما خُصُّوا به منَ الخير، أو لِلْمُسْلِمِينَ عامَّةً، قـــال صلى الله عليه وسلم: (**لآلِ محمدٍ خاصّةً، وللمسلمين عامّةً**).

قال الشيخ عبد العظيم المُنْذِري وقد حسَّنَ بعضُ مشائخنا حديث علي هذا.

ومن ذلك ماروا ه الإمام أحمد عن أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليـــه وسلم قال: (**ليس شيءٌ أثْقلُ في الميزان مِنَ الخُلُقِ الحسَنِ**).

وقد رواه البيهقي في السنن عن أبي الدرداء باللفظ التالي (**أثْقَلُ شيءٍ في ميزان المُؤمنِ خُلُقٌ حسنُ**).

وروى الطبراني في المعجم الكبير عن أمّ الدَّرْدَاءِ رضي الله عنها أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال:(**أوَّلُ مايُوضَعُ في الميزانِ الخُلُقُ الحسَنُ**).

كما روى في المعجم الأوسط عن جابر رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أوَّلُ مايوضعُ في ميزانِ العبدِ نَفقَتُهُ على أهْلِهِ**).

وفي الجمع بين هذا الحديث والذي قبله يقال إن الخلق الحســـنَ والنفقـــةَ على العيال كلاهما من أوَّلِ مايوضعُ في ميزان المؤمن.

مشهد ماقبل الصراط من الظُّلْمَةِ

إذا تمَّ حسابُ الخلق فإنهم يَنْطَلِقُونَ من الموقفِ إلى ما أعدَّ الله لكل واحدٍ منهم مِنْ ذَكرٍ أَوْ أُنْثَى، فيَعبُرُونَ ظُلمةً عظيمةً قَبْلَ مُرُورِهم على الصراط.

---

1) بخ بخ هي كلمة مكررة تقال عند المدح للشيء لإستحسانه

روى الإمام مسلم في صحيحه عن ثوبانَ رضي الله عنه أنَّ حَبْرًا من أحْبَار اليهود سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**أين يكونُ النّاسُ يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيْرَ الأرضِ والسّمواتُ؟**) فقال صلى الله عليه وسلم : (**هُمْ في الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ**)(1).

غير أنّ حديثا آخرَ جاء فيه أن الناس يكونون على الصراط عندما تُبَدَّلُ الأرضُ غير الأرضِ والسمواتُ، وهو مارواه الإمام مسلم والترْمِذِي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنهما أنها قالت سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عزّ وجلّ (**يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأرضِ والسَمَواتُ**) إبراهيم-48. فأين يكونُ النّاسُ يومئذ يارسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم (**على الصِّرَاط**).

والجمعُ بين هذين الحديثين الصحيحين يقْتَضِي -والله أعلم- أنّ ذلك الفَيْضَ العظيمَ منَ الخَلْقِ يكون الأوّلون منهم مَارِينَ عندئذٍ على الصراط ويكونُ الآخِرُون منهم مايزالون يقطعُونَ مسافة الظُّلْمَةِ التي هيَ دون الجِسر ليلْحَقوا بمَنْ سَبَقَهمُ لِعُبُورِ الصراط.

ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد أجاب عائشة بما يكون عليه الأوَّلُونَ المتقدِّمون، وأجاب الحَبْرَ اليهوديَّ بما يكون عليه المُتَأَخِّرُونَ.

وفي هذا المشهد يُعْطِي الله السعداءَ مِنَ النُّور على قَدْرِ أعمالهم حتى يجتازُوا الصراط.

وأمّا الذين شَقُوا فيكونون في الظُّلُمَات يَتَقَلَّبُونَ، وهي ظُلْمَةُ مَاقَبْلَ الصراط، وظُلْمَة الصراط نفسهِ، وظُلْمَة ماتَحْتَ الصراط من النارِ، لأنّ النّارَ سوداءُ مُظْلِمَةٌ.

روى التِرمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أوقِدَ على النّارِ ألفَ سنةٍ حتى احْمَرَّتْ، ثمّ أوقِدَ عليها ألْفَ سنةٍ حتّى ابْيَضَّتْ، ثمّ أوقِدَ عليها ألْفَ سنةٍ حتّى اسْوَدَّتْ، فهي سوْداءُ مُظْلِمَةٌ كاللّيلِ المُظْلمِ**).

مشاهد الصراط

لفظُ الصراط في اللسان العربي يَدُلُّ على الطَّريق، وعلى السَّبيلِ، وعلى المَمَرِّ، وعلى المَعْبَرِ.

هذا هو المعروفُ من معنى الصراط في الدنيا، أما في الآخرة فالصراطُ هو الجسر المنصوبُ على جهنم لِعُبُورِ المسلمين عليه إلى الجنة، هكذا عرَّفَهُ ابنُ حجر (2).

---

1) **الجسر هو الصراط**
2) **فتح الباري ج 11 ص 406**

وهذا الجسْر العظيم هو من المواطن الثلاثة التي لايذكر فيها أحدٌ أحدًا، حتى يتبيَّن له أنّه قد اجتازه، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إنّ ذُهولَ الإنسان عند الصراط عن ماسوى نفسه يرجع سَبَبُهُ إلى أمرين:

الأمر الأول كون الصراط هو الممرّ الوحيد إلى الجنة ولايمكن العدول عنه بحال.

والأمر الثاني هو مايشتمل عليه هذا المَمَرُّ من صفات عظيمةِ الفتكِ بِمن يتخطاها، إلا مَنْ كتب الله لهم السلامة.

من صفات الصراط

لقد جاءتْ أوصافُ الصراط في عدة أحاديث، فمن ذلك أنَّهُ (**جسْرٌ، مَدْحَضَةُ مَزِلَّةٌ**(1)) وأنَّهُ عليه خطاطيفُ وكلاليبُ مُفَلْطَحَةٌ لَها شوكةٌ عُقَيْفَاءُ مثلَ شوكة السَّعْدَان تَخْطِفُ النَّاس بأعمالهم (2) وأنّه(**أدقُّ من الشَّعَر وأحدُّ من السَّيْفِ**(3)) أو (**كحَدِّ الشَّفْرَةِ أوْ حدِّ السَّيف** (4)) أو (**مثلُ حدِّ السيف المُرْهَفِ**(5)) أو (**كحدِّ السيف دحْضٌ مزَلَّةٌ**(6))).

إنّ وصف الصراط بأنه أدقُّ من الشعر وأحدُّ من السيف هذا الوصف أنْكَرَهُ بعضُ العلماء، مُدَّعِيًا أنّه لايُمْكِنُ المشيْ على ماهو أدقُّ من الشعر، وأحدُّ من السيّف، وذهبَ إلى أنّ هذا الوصفَ مِن باب ضَرْبِ المَثَلِ للأمر الغامِض بالأمر المعروف.

لكنِ هذا التأويل لاداعي له، لأنَّ شؤونَ الآخرة ليستْ كشؤونَ الدّنيا، ومن ذلك أنَّ من استَغْرَبَ من الصحابة حَشْرَ بَعْضِ الخَلْق عَلى وجوههم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (**أَلَيْسَ الذي أمْشاهُمْ على أرْجُلِهِمْ قَادِرًا على أنْ يُمْشيهُم على وُجُوهِهِمْ**).

ألم تر أن المرءَ مِنْ أهل الدنيا لو قيل له إنّ مِمَّا خَلَقَ اللهُ مخلوقات تَمْشي على بُطونها لَما صدَّق هذا القولَ إذَا لم يكن رأى الأفاعيَ في حَيَاتِه كما قال أبو حامد الغزالي رحِمَهُ الله.

---

1) دحض مزلة معناهما واحد، أي تزل عليه الأقدام ولاتثبت.
2) الخطاطيف جمع خطاف، وهو حديدة مُعْوَجَّةٌ يخطف بها الشيء، وكذلك الكلاليب جمع كلوب، وعقيقاء مُقَطَّعَةٌ، وقد روى البخاري هذا الحديث والذي قبله عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه.
3) رواه أحمد عن عائشة رضي الله عنها.
4) رواه البيهقي عن أنس رضي الله عنه.
5) رواه البيهقي أيضا عن ابن مسعود رضي الله عنه وسنده صحيح. كما رواه الطبراني عن ابن مسعود أيضا بسند صحيح.
6) رواه أبو عبد الله الحاكم بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وهناك **فريق** آخرٌ من المنكرين لوصفه بأنه أدقّ من الشعر وأحدُّ من السيف قالوا إنّه لم يَرِدْ **بهذا الوصفِ حديثٌ** صحيح...

وممَّن أنكره من العلماء عِزُّ الدين بن عبد السلام والقرافي والأجهوري.

أما من قالوا بقَبولِ هذا الوصف بدون تأويل فمنهم الحافظ **العُكْبُري** والنووي والقرطبي.

ولكن النفسَ **أَمْيَلَ** إلى ماذَهَبَ إليه هؤلاء، وذلك لورود هذا الوصف **في عدة أحاديث يُقَوِّى بعضُهَا بعضًا** خصوصا أنّ منها ماهو صحيح السند كروايتي البيهقي والحاكم عن ابن مسعود.

ومن أوصاف الصراط أن (**على جَنْبَتيْهِ الأمَانَةُ والرّحِمُ يمينا وشمالا**(1)).

ويقول بعضُ أهلِ العلم إن قيام الأمانَةِ والرَّحِمِ على جَنْبَتَي الصراط قد يكون ذلك -والله أعلم- لِحكمَةٍ إلَهيَّة وهي أنَّ مَنْ أَدّى الأمانةَ في الدنيا بمعناها الواسِعِ تقفُ **الأمانةُ** على **جَنْبَةِ الصراط** لِتؤدّيَهُ -بإذنِ الله- إلى مأمَنِهِ في الجنة.

كما أنَّ مَنْ وصل الرَّحِمَ في الدنيا، تَقِفُ الرَّحِمُ على جَنْبَةِ الصراط، **لِتُوصِلَهُ** بإذنِ الله إلى **مأْمَنِهِ** في الجنّةِ، كل ذلِكَ جزاءً وِفاقا.

وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ الله خلقَ الخَلْقَ حتّى إذا فَرَغَ منْهم قَامتِ الرّحِمُ فقالت هذا مقامُ العائذِ بك ياربّ، فقالَ لها: أمَا تَرْضَيْنَ أنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وأَقْطَعَ منْ قَطَعكِ؟ فقالت بلى ياربّ، قال: فذَلِكَ لكِ**).

قال ابنُ حجر في معنى إرسال الأمانة والرَّحِمِ على جنْبتَيِ الصراط، أنّهما يَقِفَان في ناحيتي الصراط، وأنّهما لِعِظَمِ شَأنهمَا، وفخامَةِ مايَلْزَمُ العبادَ من حقِّهمَا، يُوقَفَانِ هناك للأمين والخَائِنِ، ولِلْوَاصِلِ والقاطِعِ، فَيُحَاجَّانِ عن المُحِقِّ، ويشهدان على المُبْطِلِ.

وقال الفخر الرازي في تفسير قول الله تعالى (**اهْدِنَا الصّراط المستقيمَ**) وإنّما قال سبحانه (**اهْدِنا الصراطَ**) و لم يقل إهْدنا السّبيلَ، ولا الطّريقَ، وإن كان الكلّ واحدًا، ليكونَ لفظُ الصراطِ مُذكِّرًا بصِرَاطِ جهنم، فيكون الإنسان على مزيدِ خوفٍ وخَشْيَةٍ.

---

1) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

هل يمر الكفرة على الصراط؟

أمّا عُتاةُ الكَفَرَة فَيُلْتَقَطُونَ من الموقــفِ، ويُلْقَوْنَ في جهنم قَبْلَ أن يُنْصَبَ الصراط على ظهر جهنم، وقد تَبيَّنَ هٰذا من عدَّة أحاديثَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فمن تلك الأحــــاديث مارواه التِّرْمِذِيّ والإمامُ أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يَخرُجُ عُنُقٌ(1) من النّار يوم القــيامة، لهُ عَيْنان، يُبْصِرَان، وأذُنَان يسْمَعَان، ولسانٌ ينطِقُ، يقول إنّي وُكِّلْتُ بثلاثةٍ، بكلّ جبّارٍ عنيدٍ، وبــكلّ مَنْ دعَا مع الله إلهًا آخرَ، وبالمُصوِّرِينَ(2)**).

ومنها مارواه الإمام أحمد عن أبي سَعِيد الخُدْري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يَخرُجُ عُنُقٌ من النّار يتكلّمُ، يقولُ وُكِّلْتُ اليومَ بثلاثةٍ، بكلّ جبّار عنيدٍ، ومَنْ جَعَلَ معَ الله إلَهًا آخرَ، ومنْ قَتَلَ نفسًا بــغيرِ نفسٍ، فينْطوِي عليهم، فيَدْفِنُهُمْ في غَمَرات جهنّم**).

ومنها مارواه الإمام أحمد عن عائشـــة رضي الله عنها أن النبيء صلى الله عليه وســلم قال: (**يَخرُجُ عُنُقٌ من النار، فيقولُ وُكِّلْتُ بثلاثةٍ، وُكِّلْتُ بثلاثةٍ، وُكِّلتُ بثلاثة، وُكِّلْتُ بمن دعَا مع الله إلهًا آخرَ، وَوُكِّلْتُ بمنْ لايؤْمِنُ بــيوم الحسَاب، وَوُكِّلتُ بــكُلّ جبّارٍ عنيدٍ، فينْطوِي علَيْهِم فَيطْرَحُهُمْ فِي غَمَرَات جَهَنَّمَ**).

لقــد اتفقـــتِ كلُّ هذه الروايات على صِنْفَيْنَ مِنْ عُتَاة المُجْرِمينَ وهما المُشْرِكُونَ والجبَّارُونَ، و لم تَتَّفِقْ على ثلاثةِ أصنافٍ، وهـم المُصَوِّرُونَ، ومَنْ قَتَلَ نفسًا بــغير حــقٍّ، وَمَنْ لايُؤْمِنُ بيوم الحساب.

ولعل سبـــب هذا الاختلاف يرجع إلى أنَّ ذلك العُنُقَ له عِدَّةُ خرجات منَ النّار، وفي كلّ خَرْجَةٍ يُكلَّفُ بنوعٍ من المُجْرِمِينَ، مع اسْتِمْرَارِ التقـــاطه للمشـــركين والجَبَّارينَ في كلّ خَرْجَةٍ، والله سبحانه أحْكَمُ وأعلم.

---

1) العنق بضم العين والنون، قال ابن الأثير في النهاية: العنق من النار هو طائفة منها يعني انه جزء عظيم من النار.

2) المراد بالمصورين هم الذين يصنعون التماثيل، هذا هو رأي طائفة من علماء الأمة، وذهبت طائفة أخرى إلى عموم الصُّوَر مُسْتَندِينَ في قولهم هذا إلى ظاهر قول النبيء صلى الله عليه وسلم (لاتدخل الملائكة بيتا في صورة، إلا رَقْمٌ في ثوب) رَواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي عن أبي طلحة رضي الله عنه.
غير أن المعاصرين من علماء الامة أجازوا الصُّوَرَ (الفوتوغرافية) لشدة الحاجة إليها مثل التعريف بأصحــابها على جواز السفر ونحوه

إن التقاط عُتَاة المجرمين مِنَ المَوْقِفِ قد وَرَدَت الإشارةُ إليه في القرآن العظيم أيضا.

فمِن ذلك قول الله تعالى (**وَلوْ تَرَى إذْ فَزِعُوا فَلاَ فَوْتَ، وأُخِذُوا من مكَانٍ قَرِيبٍ**).

وقولَهُ : (**يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بسيمَاهُمْ فيُؤْخَذُ بالنَّواصي والأَقْدَامِ**).

وقوله: (**وأمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بــشِمَالِهِ فيقــول ياليْتَني لمْ أُوتَ كِتَابــيَهْ، ولم أَدْرِ ما حِسَابِيَهْ، ياليْتَها كانت القَاضِيَة، مــا أغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ، هَلَكَ عَنِيَّ سُلْطَانِيَهْ، خُذوهُ فغُلّوهُ، ثمّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ**).

وقوله سبحانه (**وقال قــرينُهُ هذا مالَدَيَّ عتيدٌ، أَلْقِيَا في جهنَّمَ كلَّ كفَّارٍ عنيدٍ، مَنَّاعٍ للخيرِ معتَدٍ مُريب، الذي جَعَلَ مع الله إلَهًا آخرَ فألْقِيَاهُ في العذاب الشّديد**).

ومن كل ماتقدم يتبــيّنُ أنّ مِنَ الخلق من لايَمُرُّونَ على الصراط، بــل يؤْخَذُونَ من الموقف قبل الشروع في المرُور على الصراط، ثم إنّ المارّين عليه تَخْتَلِفُ أَحْوَالُهُمْ في المرُور عليه اختلافا كثيرا، ولقد أفادنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض تلك الأحــوالِ، كما سَتَمُرُّ بك في المشهد الموالي.

مشهد المُرُور على الصراط

من لُطْفِ الله بنا وفضلِه علينا أن نبينا صلى الله عليه وسلم هو أوَّلُ نبيء يُجِيزُ أمَّتَهُ على الصراط.

فقد روى البخاري في الجامع الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**... ويُضْرَبُ جِسْرُ جهنم، فأَكُونُ أوّلَ مَنْ يُجيزُ، ودُعاءُ الرســل يومئذ اللّهم سلِّمْ سلِّمْ، وبه كلاليبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَان، أما رأيتُمْ شَوكَ السعدان؟ قــالوا بَلَى يا رســول الله قــال فإنّها مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَان، غير أنّها لايَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إلاّ الله، فَتَخْطَفُ النّاسَ بأعمالهم، منهم المُوبَقُ بِعَمَلِهِ، ومنهم المُخَرْدَلُ(1) ثم يَنْجُو**).

كما روى البخاري حديثا آخر عن أبي سعيد الخدْري جاء فيه بيانٌ للخَطَرِ العظيم عند المرور على الصراط، وبيانٌ للتفاوُتِ البعيد في سُرْعة المارّينَ عليه، وبــيانٌ لما يَقَعُ لبَــعضهم في اجتيازه، فقال رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ثمّ يُؤْتَى بالجِسْرِ، فيُجْعَلُ بين ظَهْرَيْ جهنم، قلنا يارسول الله وما الجِسْرُ؟ قال مَدْحــضَةٌ مَزَلَّةٌ، عليه خطاطيفُ وكلاليبُ**

---

1) المخردل هو المصروع

مُفَلْطَحةٌ، لها شوْكةٌ عُقيقاءُ تكون بنَجْدٍ يقـــال لها السَّعْدَانُ، المؤمنُ يمرُّ عليها كالطَّرْف (1) وكالبَرْقِ، وكالرِّيحِ، وكأجَاوِيدِ الخَيْلِ والرِّكَاب، فناجٍ مُسلَّمٌ، وناجٍ مخْدُوشٌ، ومَكْدُوسٌ في نار جهنم، حتىَّ يمُرّ آخرُهمْ يُسْحَبُ سَحْبًا).

وروى الإمام أحمد في المســـند عن أبي بَكْرَةَ الثَقَفِيِّ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال **(يُحْمَلُ النّاسُ على الصّراط يومَ القـــيامةِ، فتقَادَعُ(2) بهم جَنْبَـــتَا الصراط تَقَادُعَ الفَرَاشِ في النّار، قال فَيُنْجِي الله تبارك وتعالى برحمته من يشاء).**

مشهد أنوار المؤمنين على الصراط

روى أبو عبد الله الحاكم في المُسْتدرَك عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم ذكرَ تفاوُتَ أنْوَار المؤمنين عند المَرور على الصراط فقـــال: (... **فيُعْطَوْنَ نُورَهُمْ على قَدْرِ أعْمالِهِمْ، فمنهم مَنْ يُعْطى نُورَهُ مِثْلَ الجبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ ومنهم مَنْ يُعْطَى نُورَهُ فوقَ ذلكَ، ومنهم مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ النّخْلَةِ بيمينه، ومنهم منْ يُعْطي دُونَ ذلك بيمينه، حـــتى يكونَ آخِرُهُمْ مَنْ يُعْطى نُورهُ على إبْهَامِ قَدَمِهِ، يُضيءُ مَرَّةً ويَطْفُأُ مَرَّةً، إذا أضاءَ قدَّمَ قَدَمَهُ، وإذا أطْفَأَ قامَ.**

قال فَيَمُرُّ، ويَمُرُّونَ على الصراط، والصراطُ كَحَدِّ السيفِ دَحْضٌ مَزِلَّةٌ فيقال لهم امْضُوا على قَدْرِ نُورِكُم، فمنهم مَنْ يَمُرُّ كانقِضَاضِ الكوكب، ومنهم مَنْ يَمُرّ كالريـــح، ومنهم من يمرّ كالطَّرْفِ، ومنهم منْ يمرُّ كشَدِّ الرّجُلِ يرْمُلُ رمْلاً.

فيمرُّونَ على قدرِ أعمالهم، حتى يمرَّ الذي نُورُهُ على إبهام قدمه، تَخِرُّ يَدٌ، وتَعْلَقُ يدٌ، وتَخِرُّ رجلٌ، وتَعْلَقُ رِجْلٌ، وتصيبَ جوانبَهُ النار، فَيَخلُصُونَ، فإذا خَلَصُوا قـــالوا الحمد لله الذي نجّانا منك بعد أَنْ أراناكَ، لقد أعطانَا الله مالمْ يُعْطِ أحدًا) .

هل عبور الصراط هو ورود النار؟

لقد أشار القـــرآنُ إلى أن وُرُودَ النار حَتْمٌ لاَزمٌ لكلِّ أحَدٍ، وذلك في قـــول الله تعالى **(ويَقُولُ الإنْسَانُ أَإذا ما متُّ لسوفَ أُخْرَجُ حَيًّا، أولاَ يذْكُرُ الإنْسانُ أنّا خَلَقْنَاهُ منْ قَبْلُ ولم**

---

1) الطرف بكسر الطاء : هو النجيب من الخيل
2) تقادع بهم أي تسقطهم بعضهم فوق بعض

يكُ شيئًا، فوربِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ والشّياطينَ، ثمّ لنُحضِـــرنّهُم حَوْلَ جهَنَّم جُثِيًّا، ثم لَننْزِعَنَّ من كلِّ شيعةٍ أيُّهُم أشدُّ على الرحمن عُتيًا، ثمّ لَنَحْنُ أعْلَمُ بالذين هم أَوْلَى بها صُلِيًّا).

ثم قال :(**وَإنْ مِنْكُمْ إلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًا(71)ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا(72)**) مريم.

فقول الله تعالى: (**وإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها كان على ربّكَ حَتْمًا مَقْضيًّا**) قد يكون التفاتًا خاطبَ الله به المُنكرين للبعثِ وعُتَاةَ المشاقِّين لله وأمثالَهم مِمَّن يستحِقُّون العقابَ الشـديدَ، فيكونُ وُرُودُ النّار خاصًا بهؤلاء، ويمكن أن يكون حُكْما عامًّا، يَشْمَلُ جميع البشر.

ومِنْ هُنَا اخْتَلَفَتْ أنظارُ أهلِ العلمِ في معنى الوُرُود، فَمِنهم مَنْ يَرَى أن الـوُرُودَ هـو دخولُ النارِ سواءٌ في ذلك المؤمنُ والكَافِرُ، وهذا هو قول ابن عباس وابن مسعود وجابر وابـن رواحَةَ.

فقد روى ابن جرير الطبري أن ابن عباس رضي الله عنهما تلا قول الله تعالى في شـأن فرعون (**يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمْ النَّار وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ(98)**) هود، ثم قـال أفليسَ الوُرودُ هو الدخول؟

ومما ورد في كَوْن الوُرود هو دُخُولَ النار مارواه الإمام أحمدُ في المسند بسـندٍ رجاله ثقاتٌ، وذلكِ عن أبي سُمَيَّةَ أنه قال: اخْتَلَفْنَا في الوُرُود، فقال بعضُنا لايَدْخُلُها مُؤمِنُ، وقـال بعْضُنَا يدخلونَها جميعا، ثم يُنَجِّي اللهُ الذين اتّقَوْا، فلقيتُ جابرَ بنَ عبـد الله فقُلت إنا اختلفنا هاهنا في ذلك، فقال بعضُنا لايدخلها مؤمِنٌ، وقال بعضُنَا يدخلونها جميعا، فأهوى بإصْبَعَيْهِ إلى أذُنَيْه وقال: صُمَّتَا إنْ لم أكُنْ سمِعْتُ رسولَ الله يقول (**الورُودُ الدُّخُولُ، لايبْقَى بـرٌّ ولَا فاجرُ إلاّ دَخَلَهَا، فتكونُ على المؤمنين برْدًا وسلاما، كما كانت على إبراهيم، حـتى أن للنّارِ أو قال لِجَهَنَّمَ ضجيجًا من بردِهم، ثم يُنَجِّي اللهُ الذينَ اتَّقَوْا ويَذَرُ الظّالمين**).

وَرَوى البيْهقي أيضا حديث جابر هذا بإسناد حسن.

وروى الحاكم عن ابن مسعود أنه سُئِلَ عن قـول الله تعالى (**وإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُهَا**) فقال وإنْ مِنْكُمْ إلاَّ داخِلُهَا.

وروى ابن جرير أن عبد الله بن رَوَاحَةَ بكي في مرَضه، فَبكتِ امرأتُهُ، فقال مايُبْكيكِ؟ قالت رأيتُكَ تبكي فَبَكيْتُ، قال إنّي قد عَلِمْتُ أنّي وَارِدٌ النّار، فما أدْري أناجٍ منها أنا أمْ لا؟

كما روى الحاكم قِصَّةَ بُكَاء عبد الله بن رواحةَ عن قيس بن أبي حازمَ فقال: كان عبد الله بن رواحة واضعا رأسه في حِجْر إِمْرَأتِه فبكى، فبكت امرأتهُ، فقال مايُبْكِيكِ؟ قالت رأيتُك تبكي فَبَكَيْتُ، قال إنّي ذكرتُ قول الله تعالى **(وإنْ منكُمْ إلاَّ وَارِدُهَا)** ولا أدْري أنْجُو مِنْهَا أم لا؟

ولكنَّ من أهل العلم من يرى أن الوُرُود هو المُرُورُ على الصراط من فَوقِ جَهَنَّمَ، وهو رأْيُ قَتَادةَ وغَيْره، فقال بعضُ هؤلاء إن الورُودَ ليس المرادُ به الدخولَ، بدليلِ قولَ الله تعالى **(إنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ(101))** الأنبـياء، والمُبْعَدُ عنها لايوصَفُ بـأنه دَخَلَهَا، ولقـوله تعالى **(لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا)** الأنبـياء -102، فلو دخلوها لَسَمِعُوا حَسِيسَهَا، ولقـوله تعالى **(وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يومَئِذٍ آمِنُونَ)** النمل -91، فلو دخلوها ماكانوا من الفَزَعِ آمنين.

ومما يُؤَيِّدُ هذا الرأيَ أنه ورد في الحديث الصحـيح أن من الناس مَنْ لا يدخُلُونَ النارَ، وذلك في مارواه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله أنه قال أخبرتني أمّ مُبَشِّر أنها سَمِعَتِ النبيء صلى الله عليه وسلم يقول عند حَفْصَةَ **(لايدْخلُ النارَ- إن شاء الله- مِنْ أصحاب الشجرة أحدٌ من الذين بَايَعُوا تَحْتَهَا)** قالت بلى يارسول الله، فَانْتَهَرَهَا، فقالت حفصةُ **(وإنْ منكُم إلاَّ وَارِدُهَا)** فقال النبيء صلى الله عليه وسلم **(قد قال الله عزّ وجلّ (ثمّ نُنجِّي الذين اتَّقَوْا، ونَذَرُ الظالمين فيهَا جُثِيًّا))**.

قال النووي: وإنّما قال صلى الله عليه وسلم (إن شاء الله) للتبرك لا للشك.

كما روى مسلم أيضا عن جابر بن عبد الله أنّ عبدًا لِحاطِبِ بن أبي بَلْتَعَةَ جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَشْكُو حاطِبًا، فقال يارسول الله لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النّارَ، فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم **(كَذَبْتَ، لايدْخُلُها، فإنّهُ شهدَ بدْرًا والحُدَيْبِيَةَ)**.

وفي الجمع بين كل ماتقدّم يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ معنى الوُرُود هو أنّ السُّعَدَاءَ يَدْخُلُونَ جَوَّهَا عِنْدَ مُرُورهِمْ عَلَى الصراط، إذ لاطريقَ لِلْجَنَّةِ إلا الصراط، فَيَـرِدُونَـهَـا عَابرينَ مِنْ جَوِّهَا فَيَكُونُ عَلَيْهِمْ بإذن الله بردًا وسلاما، وأمَّا الأشقـياءُ فيتساقـطُونَ في النّار من فوقِ الصراط، فيكونُ جَميعُ الخَلْقِ قد وَرَدُوهَا بهذا المعنى، والله سبحانه أحْكَمُ وأعلم.

ماهو الشعار عند المرور على الصراط؟

لقد بيّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تفاوُتَ النّاسِ في المرور على الصراط على قدرِ أعمالهم، وذلك في عدة أحـــاديثَ، حـــيثَ يَمُرُّ أولُهُمْ كَالبَرْقِ، ثم كالريح، ثم كالطير، ثم كالخيل، ثم كَعَدْوِ الرَّجُلِ، ثمّ كَمَشْيِهِ، ثم كَزَحْفِهِ.

كما بيّن صلى الله عليه وســـلم أن منهم من يَسْلَمُ، ومنهم منْ يَزِلُّ فَيَسْقُطُ في جهنم، ومنهم منْ تَخْطَفُهُ الكلاليبُ فَتُلْقِيهِ في النّارِ.

وقال الله تعالى: (**إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ(7)تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ**) الملك.

ولانَجَاةَ مِنْ هذا الهَوْلِ الذي تَخْرسُ منه الألسنة إلا بالفَزَعِ إلى الله والابتهال إليه. ولا يَتَكَلَّمُ عندئذ أحدٌ إلا الرسل عليهم الصلاة والسلام مُشْفِقِينَ على أُمَمِهِم قـــائلين (**اللّهمّ سَلِّمْ سَلِّمْ**).

روى البـــخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه حـــديثا جاء فيه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (... **فيُضْرَبُ الصّراطُ بـــينَ ظَهْرانَيْ جَهَنَّمَ، فأَكُونُ أولَ مَنْ يَجُوزُ من الرســـل بِأُمَّتِهِ، ولايَتَكَلَّمُ يومئذٍ أَحَدٌ إلاّ الرّسُلُ، وكلامُ الرسُلِ يومئذ اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**).

ففي هذا الحديث نص على أمرين:

الأمر الأول أنّهُ عند المُرُورِ على الصّراط لايتكلَّمُ إلاّ الرسل عليهم الصلاة والسلام.

والأمر الثاني أنّ كلامَهم عندئذٍ ماهو إلاّ دعاءٌ بالسّلامة.

لكن قد ورد في بعض الأحـــاديث أن المؤمنين عندئذٍ يَتَكَلَّمون أيضًا وشِعَارُهم (**ربِّ سلِّمْ سلِّمْ**).

كما جاء أيضا أنّ شِعَارَهُمْ (**لا إلهَ إلاّ أنْتَ**).

روى أبو عبد الله الحاكم والتِّرمذي عن المُغِيرَة بن شعبة أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**شعارُ المؤمنين على الصراط يوم القيامة ربّ سَلِّمْ سَلِّمْ**).

كما روى الطبراني عن عبد الله بن عَمْرو أن النبيء صلى الله عليه وسلم قـــال: (**شِعَارُ أُمَّتِي إذا حُمِلُوا على الصّراط، لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ**).

فهل نَفْهَمُ من هذين الحديثين أن المؤمنين يتكلمون كما يتكلم المرسلون؟

ذهبَ المُحَقِّقُونَ مِن علماء الأمةِ إلى أنَّهُ لايتكلَّم عند المرور على الصّراط إلاّ الـــرُّسُلُ فقط.

وفي الجمعِ بين مختلف الأحاديث يقول ابنُ حجر (**لايَلْزَمُ مِنْ كَوْن هذَا الكَلاَم شِعارًا للمؤمنين أنْ يَنْطِقُوا به، بَلْ تَنْطِقُ به الرُّسُلُ، يَدْعُونَ للمؤمنينَ بالسلامة، فَسُمِّيَ ذَلِكَ شِعَارًا لَهُمْ** (1)).

من مشاهد المنكُوسِينَ عند المُرُورِ على الصراط

من المؤمنين أناسٌ كانوا في الدنيا يُصَلُّونَ، ويُزَكُّونَ، ويَصُومُونَ، ويَحُجُّونَ ، ويَغْزُونَ.

وكانت لهم – مع ذلك – أعْمَالٌ تَوعَّدَ اللهُ عليها بالعقاب الشديدِ فَتَأْخُذُهُمُ النارُ عند مُرُورِهم على الصراط بِقَدْرِ مَاارْتَكَبُوا مِنْ مَآثِمَ، فَيَقَعُونَ في جهنم ويَبْقَوْنَ في النار زَمَنًا لايَعْلَمُ مَداه إلا الله.

ثم إنَّ الله يُلْهِمُ إخوانَـــهُمْ مِن أَهْلِ الجــنـــةِ أن يَشْفَعُوا لهم عِند الله، فَيَقْبَلُ –بفضله– شفاعتَهم فِيهم (2).

جاء هذا البيانُ فيما رواه الإمام أحمد وأبو عبد الله الحاكم عن أبي سعيد الخُدْريِّ رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـــول: (**يُوضَعُ الصِّراطُ بـــيَن ظَهْرَي جهنم، عليه حَسَكٌ، كَحَسَكِ السَّعْدَانِ، ثم يسْتجِيزُ، فناجٍ مُسَلَّمٌ، ومَجْدُوحٌ بـــــه (3) ثم نَاجٍ، ومُحْتَبَسٌ به مَنْكُوسٌ فيها.**

فإذا فَرَغَ اللهُ عزّ وجلّ مِنَ القضاء بينَ العبـــاد، يفقِدُ المؤمنون رجالاً كانُوا معهم في الدنيا يُصَلُّونَ بـــصلاتهم، ويُزَكُّونَ بـــزكاتهم، ويصُومُونَ صيامهم، ويَحُجُّونَ حَجَّهم، ويَغْزُونَ غَزْوَهُمْ، فيقولون أيْ رَبَّنَا عبـــادٌ من عبـــادك كانوا معنا في الدنيا يُصَلُّونَ صلاتنا ويُزَكُّونَ زكَاتَنَا، ويصومون صِيَامَنَا ويَحُجُّونَ حَجَّنَا ويَغْزُونَ غَزْوَنَا لانَرَاهم.

---

1) فتح الباري ج 11 ص 452 يعني بها أنّهم مشمولون بشعار الرّسل كأنّه شعارًا للجميع .

2) هذه من الشفاعات الخاصة بمن دخلوا النار، وهناك شـــفاعات أخرى كثيرة ومتنوعة وتكون عندما يكون الناس في الموقف (راجع الصفحات 67 و 70 و 71) إذا شئت.

3) مجدوح به أي مبعثر مدهده

فيقـــول إذهبُوا إلى النّار، فما وجدتُم فيها منهم فأَخرِجُوه، قـــال فَيجدُونَهم قـــد أخَذَتْهُمُ النارُ على قَدْرِ أعمالهم، فمنهم مَنْ أَخَذَتْهُ إلى قَدَمَيْهِ، ومنهم مَنْ أخذتـــه إلى نصْف سَاقَيْهِ، ومنهم مَنْ أخذته إلى رُكْبَتَيْهِ، ومنهم منْ أزْرَتْه(1) ومنهم مَن أخذته إلى ثَدْيَيْهِ، ومنهم منْ أخذَته إلى عُنُقِهِ، ولم تَغْشَ الوُجُوه، فيستخرجُونَهم مِنها، فَيُطْرَحُونَ في ماءِ الحياة، قـــيل يارسول الله ومَامَاءُ الحياة؟ قال غَسْلُ أهْلِ الجنة، فَيَنْبُتُونَ نبـــاتَ الزَّرْعَةِ، وقـــال مرة كما تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ في غُثَاءِ السّيْلِ.

ثم يشفَعُ الأنبياءُ في كل من يشهدُ أن لا إله إلا اللهُ مُخْلِصًا، فَيُخْرِجُونَهُمْ منها، قال ثم يَتَحَنَّنُ اللهُ برحمته على مَنْ فيها، فما يَتْرُكَ فيها عبدًا في قلبه مثقالُ حَبَّةٍ من ايمان إلا أخْرَجَهُ منها(2)).

مشهد المَحْبُوسِينَ على القَنْطَرَةِ بين الجنة والنار

هذه القنطرة أخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحـــيح، وهي خاصَّةٌ بالمؤمنين الذين كانوا قد تَظَالَمُوا في الحياة الدنيا، وذلك أن الله سبحانه إذا سَلَّمَ مَنْ شاء منهم مِنْ مَهَالِكِ الصراط حَبَسَهُمْ على القنطرةِ التي تكون بين الجنةِ والنارِ، لِيَقْتَصَّ للمظلومين مِنَ الظّالمين.

روى البـــخاري وأحمد عن أبي ســـعيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: ((**إذَا خَلَصَ المؤمنون مِنَ النّارِ حُبِسُوا بقنطرة بين الجنةِ والنارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ في الدنيا، حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا، أُذنَ لهم في دخول الجنةِ، فوالذي نفسي بيده لأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ في الجنة أدَلُّ بـــمنـــزله كان لَهُ في الدنيا**)).

وذكر القرطبي في التَّذْكِرَة حالَ هؤلاء المحبوسين بالقنطرة فقال ولايَرْجِعُ إلى النار مِنْ هؤلاء أَحَدٌ إن شاء الله لأَنَّهُمْ قـــد عَبَرُوا الصِرَاط الأولَ المضروبَ على مَتْنِ جهنم التي يَسْقُطُ فيها مَنْ أوْبَقَهُ ذَنْبُهُ، وأرْبَى على الحسناتِ بالقصاص جُرْمُهُ.

---

1) أزرته أي أخذته إلى نصفه، كما يشتمل الإزار على نصفه.

2) سيأتي في أواخر مشاهد جهنم نص هذا الحديث من رواية الإمام مسلم عن أبي سعيد، وســـترى في آخرها ماهو أوسع من روايتي الإمام أحمد والحاكم.

مشهد دعوة الله للمتظالمين أن يتصالحوا

إنَّ غَضَبَ الله تعالى يومَ القيامةِ غَضَبٌ شديدٌ، فما غَضِبَ قبلَهُ مثله، ولن يَغْضَبَ بَعْدَهُ مثلَه.

وإن هذا الوَصْفَ لِغَضَبِ الله هو ماجاءَ على لســـانِ آدَمَ وألْسِنَةِ جميعِ الرُّسُلِ عليهم الصلاة والسلام.

وذلك في مارواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو أن آدم ونوحًا وإبـــراهيمَ وموسى وعيسى يُجمِعون يومَ القيامةِ على كلمةٍ واحدة وهي قولهم (**إنَّ ربّي قد غَضِبَ اليوم غَضبًا لم يغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**(1)).

ومع هذا فلن يَخْلُو ذلك اليومُ من نَفَحَات الرحمة الإلهيةِ، فمنها ما يختصُّ به مَن يشـــاءُ من عباده فَيُظِلُّهُمْ في الموقِفِ تحتَ ظِلِّ عَرْشِهِ، ومنها مايُصِيبُ به مَنْ يشاء فَيُدْخِلُهمُ الجنةَ بغير حِسَاب، ومنها مايُصيب به آخَرينَ، فيحاسِبُهم حسابا يَسيرًا، ومنها مايَرْحَمُ بـــه مَنْ يَدْعُوهم إلى التَّصَالُحِ، ثم يَتَكَرَّمُ بفضله ورحمته فيُجَازي المظلومين بمَا يَفُوقُ اسْتِحْقاقَهُم مِنَ الظالمين.

إسْتَمِعِ الآنَ إلى ماوَرَدَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الفضل العظيم:

روى أبو عبد الله الحاكم والبيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قـــال : بـــينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ إذ رأيناه ضَحِكَ حتى بـــدَتْ ثَنَايَاهُ(2) فقـــال له عُمر مَاأَضْحَكَكَ يارسول الله؟ بأبي أنتَ وأمُّي، قـــال صلى الله عليه وســـلم : (**رجلان مِنْ أُمَّتِي جَثَيَا(3) بَيْنَ يَدَيْ ربِّ العِزَّة فقَالَ أحدُهما يارب خُذْ لِي مَظْلَمَتِي مِنْ أخي، فقـــالَ الله كيفَ تَصْنَعُ بأخيكَ، ولَمْ يبْقَ مِنْ حَسناته شيءٌ؟ قـــال يارب فَلْيَحْمِلْ مِنْ أَوْزَارِي– وفَاضَتْ عينا رسول الله بالبكاء– ثم قال إن ذلك ليَوْمٌ عظيمٌ، يحتاجُ النّاسُ أنْ يُحمَلَ مِنْ أوزارِهِمْ.**

فقـــال الله للطالِبِ إرْفَعْ بَصَرَكَ فانظُرْ، فَرَفَعَ، فقـــال يارب أرَى مدائِنَ مِنْ ذَهَب، وقُصُورًا مِنْ ذَهَب مُكَلَّلَةً بـــاللّؤْلُؤ، لِأَيِّ نبيء هذا؟ أوْ لِأَيِّ صِدِّيق هذا؟ أَوْ لِأَيِّ شَهيدٍ هذا؟ قال لِمَنْ أَعْطَى الثَّمَنَ، قال يارب ومَنْ يَمْلِكُ ذَلك؟ قال أنتَ تَمْلِكُهُ، قال بماذا؟ قالَ بعَفْوِكَ عنْ أخيكَ، قال يارب إنّي عَفَوْتُ عنه.

قال الله فَخُذ بيَدِ أخيكَ وأدْخِلْهُ الجنَّة).

---

1) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه في باب (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا) من كتاب تفسير القرآن. وقد تقدّم الحديث بطوله في صفحة 63.

2) أسنانه الأمامية.

3) جثيا : جلسا على ركبهما.

قال أنس : فقال رسول الله عند ذلك (**اتَّقُوا اللهَ وأصْلِحُوا ذَاتَ بيْنِكُمْ فإنَّ اللهَ يُصْلِحُ بين المسلمين**).

مشهد أصحاب الأعراف

أصحابُ الأعراف ذكر الله أَمْرَهُمْ في أربع آيات من سورة الأعراف وذلك في قوله تعالى: (**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ(46)وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(47)وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ(48)أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمْ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ(49)**) الأعراف.

ولعل أوضح مايُبَيِّنُ معنى هذهِ الآياتِ هو ذَكَرَهُ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله في تفسيره (التحرير والتنوير).

وإليك ملَخَّصُ ماذكره في تفسير الآيات الأربع، قال رحمه الله: الأعراف هي جمع عُرْف(1) والعرف هو أعلى الشيء، وبه سُمِّيَ عُرف الفرس للشعر الذي فوق رقبته، وعُرْف الديكِ للريش الذي فوق رأسه.

وتطلق الأعرافُ على أَعَالِي الأسوارِ التي يَرْقُبُ منها النَّظَّارَةُ حركاتِ الاعداء.

ومعنَى الأعراف -هنا- هو أعالي السُّور الذي يُضْرَبُ بَيْنَ الجنةِ والنار، وهو المذكور في قول الله تعالى (**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ**) وفي قوله (**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**(13)) الحديد.

وعلى أعالي هذا السور يكونُ أصحابُ الأعراف، فينظرونَ إلى كلٍّ مِنْ أهلِ الجنةِ وأهل النار، فيعرفون كُلاًّ مِن هؤلاء وهؤلاء بسِيماهم، وهي علاماتٌ يُمَيِّزُ الله بها يومئذ كُلَّ فريقٍ عن الآخَرِ.

ولّما كان أصحابُ الأعراف في ذلك الموقِعِ، كانت لهم منه نَظْرَتَانِ: نظرةٌ إلى أهل الجنة، ونظرةٌ إلى أهل النار.

---

1) بضم العين

فعند نظرهم إلى أهلِ الجنة يقولون لهم (**سَلاَمٌ علَيْكُمْ**) وهم يَطْمَعُونَ أنْ يَصِيرُوا إلَيْهم فَيَلْحَقُوا بهم، وَطَمَعُهُمْ في اللَّحَاق بأهْلِ الجنةِ هو مِن صِنْفِ الرَّجَاءِ كما في قول ابـــراهيمَ عليه السلام: (**وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّين**(82)) الشعراء.

وعند نَظْرَتِهِمْ إلى أهلِ النارِ يَفزَعُونَ إلى الله فَيَدْعُونَهُ أنْ يُنْجِيَهُمْ مِنَ النار قــائلين (**ربَّنَا لاتجعَلْنَا مع القوم الظَالمين**)، ويُنَادُونَ رجالاً من أهلِ النار يعرفُونَهُم بسيمَاهم فيقــولون لهم (**ماأغْنَى عنْكُمْ جَمْعُكُمْ، وماكُنْتُمْ تستكْبرُونَ**) هــا أنَّ ذلكــم لَمْ يُنْجكمْ مِنَ الـعَذَاب، ويُذَكِّرُونَهُمْ بحَال أُنَاسٌ كَان أهلُ النار في الدنيــا يَسْتَضْعِفُونَهُم ويَحْتَقِرُونَهُمْ، ويَحْلِفُون أنَّ رَحْمَةَ الله لاتنَالهمُ، فَيُشِيرُونَ إلَيْهم ويسألونَهُم عنهم سُؤَالَ تَبْكِيتٍ وتقرير قائلين لهم : (**أهَؤُلاَء الذين أقْسَمْتُمْ لا يَنَالَهُمُ اللهُ برَحْمَةٍ**) ها أنَّ الله قد قال لهم (**ادْخُلُوا الجنّةَ لاَخوفٌ عليكم، ولاَ أنتُمْ تَحْزَنُونَ**) فكذَّبَ سبحانه قسَمَكُمْ، وخيَّبَ ظَنَّكُم.

هذا هو ملخص ماذكره الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشـــور في تفســير الآيات المتعلقة بأصحاب الأعراف(1).

ولمزيد الإفادة والتوضيح أضاف رحمه الله ثلاث ملاحظات:

الملاحظة الأولى :

هي أن تخصيص الرجال بـــالذكر لايقــتضي أَنْ ليس في أهل الأعراف نســاء، كما لايقتضي أَنَّ الأعراف مكان مخصص لهؤلاء الرجال دون سواهم، ولكنهم ممن يقــع لهم هذا المشهد، فذكروا للاعتبار، لا لتقسيم أهل الآخرة هنا إلى فريقين رجال ونساء.

ثم قال –رحمه الله– ولعل تَوَهُّمَ التقسيم قد أوقع بعض المفسرين في حــيرة، لأن ذلك يقتضى أن يكون أهل الأعراف قد استحقوا ذلك المكان لأجل حــالة لاحَظٌ للنســاء فيها، فبحث عن عمل خاص بالرجال وهو الجهاد، فلذلك قال: هؤلاء قوم جاهدوا وكانوا عاصين لآبائهم.

ثم قـــال–رحمه الله– ويحتمل أن يكون أصحــــاب الأعراف من هذه الأمة خاصة، ويَحْتَمِلُ أن يكونوا من سائر الأمم المؤمنين برسلهم.

وأيا ما يكن الاحتمال فالمقصود من هذه الآيات هم – بـــالأولى – من كانوا من الأمة المحمدية.

---

1) **التحرير والتنوير (القسم الثاني من الجزء الثامن) الصفحات –140–147 .**

الملاحظة الثانية

هي أن بعض السلف قد نُقِلَ عنهم أن أهل الأعراف هم قوم استوت موازين حسناهم مع موازين سيئاهم، وأطلق عليهم أهم رجال تغليبا، لأنه لابد أن يكون فيهم نســـاء ، ويروي فيهم أخبارا مسندة إلى النبيء صلى الله عليه وسلم وهي أخبار لم تبلغ مبلغ الخبر الصحيح، كما أنـــها لم تنـــزل إلى رتبة الضعيف، روى بعضَهـــا ابن ماجه، وبعضَها الطبري، وبعضَها ابن مردويه.

ثم قال -رحمه الله- فإذا صَحَّتْ فإن المراد منها أن من كانت تلك حالتهم يكونون من جملة أهل الأعراف المخبر عنهم في القرآن بأهم لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون.

الملاحظة الثالثة :

قال - رحمه الله- والذي ينبغي تفســـير الآية بـــه: أن هذه الأعراف جعلها الله مكانا يُوقَفُ به من جعله الله من أهل الجنة قبل دخوله إياها، وذلك ضرب من العقاب خفيفٌ، فجعل الله الداخلين إلى الجنة متفاوتين في السبق تفاوتا يعلم الله أسبابه، ومقاديره.

مَسَالِكُ الجنةِ مُشْرَعَةٌ في الدنيا

إنّ الله – بحكمته– أراد أن تكون الجنةُ مأوى المتقــين في الآخرة، ولكنَّ المَسَالِكَ التي تُفْضِي إلى الجنة جعلها –برحمته– مُشْرَعَةً لِعِبَاده في هذه الحياة الدنيا.

فَمَنْ سلك منها مسلكا وهو مؤمن أدخله الله منه إلى الجنة.

إن المسالك المُوصِلَة إلى الجنة كثيرةٌ، وهي مع كثرتها لايهتدي إليها أحدٌ–عن يقــين– إلا بالتماسه للعلم المُتَعَلِّق بالغيب، ومامِنْ شك في أنّ علمَ الغيب قد أفادنا أن **(مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فيهِ عِلْمًا سهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طريقًا إلى الجنّة)**(1).

كما أفادَنَا أن هذا العِلْمَ هو ماوَرَدَ عن الله ورسوله.

ومن تابع النظرَ باحثا عن مسالك الجنة في ماورد عن الله ورســوله، يَتَبَيَّنُ له أن تلك المسالك أنواعٌ كثيرةٌ جدًّا، ولو أنَّها بنظرة عامةٍ ترجِع إلى خمسِ مجموعاتٍ وهي :

قُرُباتٌ فِعْلِيَّةٌ

قُرُبَاتٌ قوْلِيَّةٌ

خَدَمَاتٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ.

صَبْرٌ على بعضِ المكَارِه.

وهذه الأربع مشتركة بين الرجال والنساء، وهناك **ماهو خاص بالسلوك النِّسَائِيّ.**

ولتفصيل هذا الإجمال ينبغي النظر إلى أمرين:

<u>الأمر الأول :</u>

أن نَسْتَحْضِرَ نماذِجَ مما قَالَ اللهُ ورسولُه صلى الله عليه وسلم **في بيان مسالك الجنة**

<u>الأمر الثاني :</u>

أَنْ نَعْرِفَ ماإذا كَانَ دخولُ الجنة مضمونًا لمن سَلَكَ أيَّ مَسْلَكٍ منها، بــدون مُقَاضَاة له، ولاقِصَاصٍ، أو لابُدَّ منهما، ثُمَّ يُدْخِلُهُ اللهُ الجنةَ، ما لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَتَدَارَكُهُم الله برحمته، فَيَعْفُو عن مَآثِمِهِ، ويُدْخِلُهُ الجَنَّةَ.

---

1) رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولنبدأ أولا بما ورد عن الله ورسوله في بيان البعض من مسالك الجنة بصورة عامّةٍ.

فمِنْ مسالكها ماورد في قـــول الله تعالى (**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى(40)فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى(41)**) النازعات.

وفي قوله (**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا(124)**) النساء.

إنّ هذا المسلَكَ الوَارِدَ في القرآن واضحُ الدِّلاَلَةِ على أنَّ طريقَ الجنة هو التَّـــنَـــزُّهُ عَن اقْتِحَامِ مَحَارِمَ الله مع صِدْقِ الإيمان والقيامِ بالعمل الصالح.

ولَكِنَّ العَمَلَ الصالح لم تتبيَّنْ لنا صُورَتُهُ ولا أنواعُه في الآية، ولهذا تَوَلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم البـــيانَ لأنواع العمل الصالح امتثالاً منه لقـــول الله تعالى (**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفكَّرُونَ(44)**) النحل.

وإليك بعضَ ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بـــيان أنواع المســـالك بشيءٍ من التفصيل:

القُرُبَاتُ الفعلية

روى البخاري ومسلم والإمام أحمد عن عبد الله بن مســـعود رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ مَاتَ لايُشْرِكُ بالله شيئا دخَلَ الجنة**).

وروى مسلم وأبو داود عن عُقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَامِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ، ثم يَقُومُ فَيُصَلِّي ركعَتَيْن يُقْبِلُ عليهما بقـــلْبِهِ وَوَجْهِهِ إلاّ وَجَبَتْ له الجنةُ**).

وروى مسلم والإمام أحمد وأبو داود والنَّسَائيّ وابن ماجه عن أمِّ حبيبةَ رضي الله عنها أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**منْ صَلَّى في اليوم واللَّيْلَةِ إِثْنَتَـــــيْ عَشَرةَ ركعةً تطوُّعًا بَنَى الله له بيتًا في الجنة**).

وفي رواية للتّرمِذِي عن أمّ حبيبة أيضا بيانٌ للركعات الإثنتـــي عشرة، وذلك بعد قوله صلى الله عليه وسلم بنى الله له بيتا في الجنة (**أربعًا قبل الظُّهْرِ، وركعتيْنِ بعْدَهَا، وركعتيْن بعد المَغْربِ، وركْعَتَيْنِ بعد العشاء وركعتيَن قبل صلاةِ الفجر**).

قالت أمُّ حبيبة فما تركتُهُنَّ منذُ سَمِعْتُهُنَّ.

وروى البخاري ومسلم والإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ غَدَا إلى المسجد ورَاحَ، أعَدَّ اللهُ لهُ نُزُلاً مِنَ الجَنَّةِ كلما غَدَا ورَاحَ**).

وروى البزَّارُ عن حُذَيْفَةَ بْنِ اليمان رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ خُتِمَ له بصيامِ يومٍ دَخَلَ الجنةَ**).

وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما والطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**الحجُّ المَبرُورُ ليسَ له جزاءٌ إلاّ الجنّةَ**).

وروى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ اللهَ يُدْخِلُ بلُقْمَةِ الخُبْزِ وقَبْضَةِ التّمْر ومِثْلِهِ مِمَّا ينْفَعُ المِسْكِينَ ثلاثةً الجنةَ: صاحبَ البيتِ الآمِرِ به، والزوجَةَ المُصْلِحَةَ له، والخادمَ الذي يُنَاوِلُهُ المسكين**).

وروى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ كَانَتْ له أُنْثى فَلَمْ يَئِدْهَا، وَلَمْ يُهِنْهَا، وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عليها أدخلَهُ اللهُ الجنةَ**).

وروى البخاري في الأدَبِ المُفْرد وأحمد وابن حِبّان والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مامِنْ مسلم تُدْرِكُ له ابنتان فيُحْسِنُ إليهما ماصَحِبَتَاهُ إلاّ أدْخَلَتَاهُ الجنّةَ**).

وروى الإمامُ أحمد والترمذي وابن حبان عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال (**مَنْ كانتْ له ثلاثُ بناتٍ أو ثَلاثُ أخواتٍ أو بِنْتَانِ أوْ أُخْتَان فأحْسَنَ صُحبتَهُنَّ واتَّقَى اللهَ فيهنّ فلهُ الجنّةُ**).

وروى أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ عَالَ ثلاثَ بنات فأدّبَهُنَّ، وزوّجَهُنَّ، وأحْسَنَ إليهنَّ فَلَهُ الجنّةُ**).

يقول العلماء: هذا الحديث من كرائم الحديث وغُرَرِه، وفيه تأكيدُ حَقِّ البنات على حقِّ البنين لِضَعْفِهِنَّ على القيام بمصالحهن من الاكتساب وحُسْنِ التصرف.

وروى الطبراني في المعجم الأوسط عن عَدِيٍّ بن حاتم رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا لهُ أوْ لِغَيْرِه حتى يُغْنِيَهُ اللهُ عنه وَجَبَتْ له الجنة**).

القُربات القوليّة

روى البخاري ومسلم والإمام أحمد عن عُبَادة بـن الصامت رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلاّ الله وحده لاشـريك له، وأن محمدا عبـدُه ورسوله، وأن عيسى عبدُه ورسوله وابنُ أَمَتِهِ وكلمتُهُ ألقاها إلى مَرْيَمَ وروحٌ منه، وأنّ الجنةَ حقٌّ، وأنّ النارَ حقٌّ، وأن البَعْثَ حـقٌّ، أدخلهُ اللهُ الجنّةَ على ماكان مِنْ عَمَلٍ مِنْ أيِّ أبْوَابِ الجنّةِ الثمانية شاءَ**).

وروى البَزّار في مُسْنَدِهِ عن ابن عُمَر رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسـلم قال: (**مَنْ شَهِدَ أنْ لا إله إلا اللهُ دخَلَ الجنّةَ**).

ونقل المناوي في شرحِه للجامع الصغير أنَّ الإمام الحافظَ جلالَ الدين السيوطي رحمه الله ذكر أن هذا الحديث رواه نَحْوُ ثلاثين صحابيًّا بـاللفظ الآتي (**مَنْ شـهِدَ أنْ لا إلهَ إلاّ الله وَجَبَتْ له الجنّةُ**).

ويبقى النظرُ في ما إذا كان دخولُ الجنةَ بَعْدَ العقابِ على ماجناهُ العبدُ في حـياته، أو يكونُ الدّخولُ بدون عقاب.

إن هذا النظر هو مِنْ مَهَامِّ عُلَماءِ الأُمَّةِ المُتخصِّصِينَ، فهم يَجْمَعُونَ النُّصُوصَ الـواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم ويَسْتَنْبِطُونَ منها حُكْمًا يُقدِّمُونَهُ للأُمَّةِ كَنَتِيجَةٍ لِمَا انْتَهَوْا إليه مِنَ النَّظَرِ.

وهذا هو ماستراه في الأمر الثاني بعد الإنتهاء من عَرْضَ نماذجِ المسالك(1).

وروى النسائي عن سَهْلِ بن حُنَيفٍ وعن زيد بن خالدِ الجُهَنـيّ رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**بـشِّرِ النّاسَ أنّهُ مَنْ قَالَ لا إله إلاّ اللهُ وحْدَهُ لاشـريكَ له وَجَبَتْ لَهُ الجَنَةَ**).

وروى الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن مُعَاذ بن جَبَل رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ كَانَ آخِرُ كلامِهِ لا إله إلاّ الله دَخَلَ الجنّةَ**).

وروى أبو داود وابن حبّان والحاكم عن أبي سـعيد الخُدْريّ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ قالَ رَضِيتُ باللهِ ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبِمحمّد نَبِيًّا، وجبتْ له الجنّةُ**).

---

1) انظر صفحة 144 وما بعدها

وهناك قُرُبات قولية ترتبط بأفعال مخصوصة، فقد روى في شأنها أبو عيسى التِّرْمِذيّ عن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**مَنْ تَوَضَّأَ فأَحْسَنَ الوضوءَ ثم قال : أشهدُ أَنْ لا إله إلاّ اللهُ وحده لاشريكَ له، وأنّ محمّدًا عبدُهُ ورسُولُهُ، اللهم اجعَلْني من التّوّابينَ واجعلْني مِنَ المُتَطَهِّرينَ، فُتِحَتْ له ثمانيةُ أبوابِ الجنةِ يدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**).

كما روى الإمام أحمد وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ تَوَضَّأَ فأحْسَنَ الوُضُوءَ ثم قال ثلاثَ مرّات أشْهدُ أَنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لاشريك له، وأشهَدُ أنَّ محمّدًا عبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ فُتِحَتْ لهُ ثَمَانِيَةُ أبوابِ الجنةِ مِن أيّها شَاءَ دَخَلَ**).

وروى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنَّسَائي عن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَامِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ يتوضَّأُ فيُسْبِغُ الوُضُوءَ، ثم يقول حينَ يَفْرُغُ مِنْ وُضُوئِهِ أشهَدُ أنْ لا إله إلاّ اللهُ وحدهُ لاشريكَ له، وأنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ إلاّ فُتِحَتْ له أبْوَابُ الجنّةِ الثمانيةُ يَدْخُلُ مِنْ أيِّهَا شَاءَ**).

وروى ابن عَسَاكِرَ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ اللهَ لَيُدْخِلُ العَبْدَ الجنّةَ بالأَكْلَةِ أو الشَّرْبَةِ يَحْمَدُ اللهَ عليها**).

هكذا وردت رواية ابن عساكرِ عن أنس، بينما رَوَى عن أنس كل من مسلم والإمام أحمد والتِرْمِذي والنَّسَائي أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**إنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ أوْ يشْرَبَ الشَّرْبَةَ فيَحْمَدَ اللهَ عليها**).

الخدمات الاجتماعية :

روى مسلم والإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**مرَّ رَجُلٌ بغُصْنِ شَجَرَةٍ على ظَهْرِ طَرِيقٍ، فقال واللهِ لأُنَحِّيَنَّ هذا عَنِ المسلمين لايُؤْذيهِمْ فأُدْخِلَ الجَنَّةَ**).

وروى الطبراني في المعجم الكبير عن مُعَاذ بن جَبَل رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ رَفَعَ حَجَرًا عَنِ الطَّرِيقِ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، ومنْ كانت لهُ حَسَنَةٌ دَخَلَ الجَنَّةَ**).

وروى البخاري في الأدب المُفْرَدِ عن مَعْقِلِ بن يَسَارٍ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله

عليه وسلم قال : (**مَنْ أمَاطَ أذًى عَنْ طَرِيقِ المُسْلِمِينَ كُتِبَتْ لهُ حَسَنَةٌ، وَمَنْ تُقُبِّلَتْ مِنْهُ حَسَنَةٌ دَخَلَ الجَنَّةَ**).

وروى أبو داود وابنُ حِبَّان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**نزَعَ رَجَلٌ– لَمْ يعْمَلْ خيرًا قطُّ– غُصْنَ شوْكٍ عن الطّريق، إمّا كَانَ في شَجَرَةٍ مُقَطَّعَةٍ فألْقَاهَا، وإمَّا كان موضُوعًا فأمَاطَهُ، فشَكَرَ اللهُ لَهُ بهَا، فأدْخَلَهُ الجنّةَ**) .

وروى البخاري ومسلم والتِّرمذيُّ وابن ماجه عن عثمانَ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ بنَى مَسْجِدًا يَبْتَغي به وَجْهَ اللهِ بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ في الجنة (1)**).

الصبرُ على بعض المَكَاره

روى الخطيبُ البغدادي في التّاريخ عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَاأُصِيبَ عَبْدٌ بَعْدَ ذهابِ دينِهِ بأَشَدَّ مِنْ ذَهَابِ بَصَرِهِ، وماذَهَبَ بَصَرُ عَبْدٍ فَصَبَرَ إلاّ دخَلَ الجَنَّةَ**).

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال :(**يَقُولُ الله تعالى منْ أذْهبْتُ حبيبَتَيْهِ فصَبَرَ واحْتَسَبَ(2) لمْ أرْضَ لهُ ثوابًا دُونَ الجنّةِ**).

وروى مسلم والإمام أحمد عن أبي أُمَامة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**يقُولُ الله تعالى يابْنَ آدمَ إذَا أخَذتُ كرِيمَتيْكَ فَصَبرْتَ واحْتسبتَ– عنْدَ الصّدمةِ الأولى– لمْ أرْضَ لك ثوابًا دون الجنّة**).

وروى البخاري والإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال :(**يقول الله تعالى مَا لِعَبْدِي المُؤْمِن عِنْدِي جَزَاءٌ إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُنْيَا ثُمَّ احتَسَبَهُ إلاَّ الجنّةُ**)

وروى البُخاري عن أنس رضِيَ اللهُ عنهُ أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مامِنَ الناسِ منْ مُسْلمُ يُتوَفّى له ثلاثةٌ لم يبْلغُوا الحِنْثَ (3) إلاّ أدْخَلهُ اللهُ الجنّة بفضْلِ رحمته إيّاهُمْ**).

---

1) أي بناه من مال حلال، كما جاء ذلك في رواية البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه ومثل البناء في هذا الحكم من كان له بناء فجعله مسجدا، وكان في عمله هذا أو ذاك مخلصا لله طالبا لرضاه، لايبتغي رياء ولاسمعة، ولقد شدد العلماء في تحريم كل ما يشعر بعدم الإخلاص، ولو كان أمرا يسيرا، حتى قال ابن الجوزي من كتب اسمه على مسجد بناه فهو بعيد عن الإخلاص.

2) مهتديا إلى أن الله يأجره على ذلك.

3) اطفال لم يبلغوا سِنَّ التكليف.

وروى الإمام أحمد والنسائي وابن حبّان عن أبي ذرّ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**مامنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلاثَةٌ مِنَ الولدِ لَمْ يبلُغُوا الحِنْثَ إلاَّ أدْخلَهُمَا الله الجنّة**).

وروى الإمامُ أحمد وابن ماجه عن عُتْبة بن عبدٍ أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مامنْ مُسلم يموتُ لهُ ثلاثةٌ من الولدِ إلاَّ تَلَقَّوْهُ منْ أبواب الجنّة الثَمَانيةِ منْ أيّهَا شاء دَخلَ**)(1).

قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في (**فيض القدير**): ولا تَنَافِيَ بين ذكر الثلاثة وبين ماورد في الصحيح حيث قيل يارسول الله واثنان قال واثنان.

ثم قال: وفي كثير من المسلمين منْ لمْ يُقَدِّمْ ولدًا، ولكن الله سبحانه إذا فاتَ عبدًا فضْلٌ منْ جهةٍ عوَّضَهُ من أخرى خيرًا له، كما جاء في حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : (**منْ لَمْ يَكُنْ لهُ فَرَطٌ، فأنا فَرَطُ أمَّتي، لنْ يُصابُوا بمثْلي**).

<u>**بعض السلوك النّسائي :**</u>

روى الترمذي وابن ماجهْ والحاكم عن أمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أيُّمَا امرأةٍ مَاتَتْ، وزوْجُها عَنْهَا راضٍ دخَلَتْ الجنّةَ**).

وروى ابو داود عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أنا وامْرأَةٌ سَفْعَاءُ الخدَّيْنِ(2) كهَاتَيْنِ يوم القيامة – وَأَوْمَأَ صلى الله عليه وسلم بالوُسْطى والسَّبابة –امرأةٌ آمَتْ(3) منْ زوْجها ذاتُ مَنْصَبٍ وجمال، حَبَسَتْ نفْسَهَا على يتَامَاهَا، حتَّى ماتُوا أوْ بانُوا (4)**).

تلك بعضُ النّماذج من مسالك الجنة كما بلغتنا أَنْبَاؤُهَا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسانيدَ مُتَفَاوِتَةِ المرَاتِب.

---

1) قد وردت عدة أحاديث في من يموت لهم اولاد لم يبلغوا الحنث، وجاء في تلك الاحاديث أنهم يكونون لوالديهم حجابا من النار، ويُثقّلُون الميزان، ويشفعون في دخول الجنة، ويسقون أباءهم يوم العطش الاكبر من شراب الجنة.

2) سَفْعَاء الخدين: السُّفعة سوادٌ خفيف، والمراد انها تركت الزينة والترفه، وأقامت على أبنائها حتى شحب لونها. إن تزوجها بعد وفاة أبيهم لاحرج عليها فيه، ولكنها خشيت أن يكون أبناؤها–عندئذ– في وضع غير مريح، فأقامت غير متزوجة، فكان جزاؤها الجنة.

3) آمت من زوجها : صارت أيم لوفاته .

4) بانوا : فارقوها حيث أغناهم الله عنها

أما الأمر الثاني وهو دخول المؤمن الجنة من أي مسْلكٍ منها دون مُقاضَاةٍ ولاقِصَاصٍ، أو لا بدّ منهما ثم يكون مآله الجنّة، فهذا هو ماستتأكّدُ منه في مايلي إن شاء الله.

ذلك أنه ما من شك في أن كلمة التوحـــيد هي خيرُ عُدَّةٍ وأنفعُ زادٍ يَدَّخِرُهُ المُؤْمِنُ عند ربّه.

في جنازة الســـيدة نوَّار إمرأة الفَرَزْدَق الشـــاعر المشـــهور رحمها الله جلس الحَسَنُ البصري، وقد اعتمّ بعمامة سوداءَ، وأسدلها بين كتفيه، والنّاسُ بين يديه ينظرون إليه، فوقـــفَ عليه الفَرَزْدَقُ وقال:

يا أبا سعيد يَزْعُمُ الناس أنه اجتمعَ في هذه الجنازة خيرُ الناس وشرُّهُمْ.

قال: مَنْ ومَنْ؟

قال : أنتَ وأنَا.

قال الحسن: ماأنا بخيْرهمْ ولا أنتَ بشرّهمْ، لكنْ ما أعدَدْتَ لهذا اليوم؟

قال الفرزدق: شَهادةَ أن لا إله إلاّ اللهُ منذ سبعين سنة.

قال الحسن : نعْمَ – واللهِ– العُدَّةُ(1).

غير أنّ ظاهِرَ بعض الأحاديث يُوهِمُ أنّ الناطق بالشـــهادة لايدْخُلُ النّار، ولو كان من الفُجّار، والتحقيقُ يؤكّدُ خِلافَ ذلك.

خُذِ الحديثَ الذي رواه البزَّارُ بسند صحيح عن أبي سعيد رضي الله عنه مثلاً وهو قولهُ صلى الله عليه وسلم (**مَنْ قال لا إله إلا اللهُ مُخلِصًا دَخَلَ الجنة**) قال الطيـــبي في شرحِ هذا الحديث: قوله صلى الله عليه وســـلم (**مُخْلصًا**) وفي رواية (**صِدْقًا**) هذا اللفظ أقـــيم مقـــام (**الإستقامة**) كقوْل الله تعالى (**والذي جَاءَ بالصِّدْقِ وصدَّقَ به**) أي حـــقَّق ماذكرهُ قـــولا بما تحرّاهُ فعلاً.

ثم قال : وبهذا التقرير يندفع ماأوهمهُ ظاهرُ الأخبار منْ منعِ الناطق بالشهادة من دخول النار، وإن كان من الفُجَّارُ (2).

وخذ حديثا آخر وهو مارواه الإمام مسلم عن عُبَادَةَ بـــن الصامت رضي الله عنه وهو قوله صلى الله عليه وسلم : (**منْ شهد أنْ لا إله إلاّ الله وأنّ محمدا رسول الله حـــرّم اللهُ عليه**

---

1) نقل هذا المشهد الشيخ المناوي في (فيض القدير) ج6 ص 189.
2) من (فيض القدير) شرح الجامع الصغير للمناوي ج 6 ص 189.

النّار) قال الشيخ المناوي في شرح هذا الحديث : معنى حرّم الله عليه النار، أيْ حرَّمَ عليه نَار الخُلود، إذا تجنّبَ الذّنُوبَ، أو تاب أو عُفيَ عنه.

ثم قال : وظاهر الحديث يقتضى عدَمَ دُخُولِ جَمِيعِ مَنْ شَهِدَ الشهادتين النّارَ لما فيه من التعميم، لكن قامت الأدلة القطعية على أنّ طائفةً من عُصاة الموحّدين يُعذّبون، ثم يُخْرَجُون من النار بالشفاعة، فعُلِمَ أنّ ظاهِرَهُ غير مراد، فكأنّه قال : إنّ ذلك مقيّدٌ بمن عمل صالحا، أو بمن قالها تائبا ثم مات على ذلك.

وبعد هذا البيان عرض الشيخ المناوي تنبيها لزيادة التوضيح، وإليك نصه:

(تنبيه) قال مُحَقِّقٌ: قد يتّخِذُ نحوَ هذا الحديثِ البَطَلَةُ والإباحيَّةُ ذريعةً إلى طرح التكاليف، ورفع الأحكام، وإبْطَالِ الأعمال ظانّينَ أنّ الشهادة كافيةٌ في الخلاص، وهذا يستلزم طيَّ بساط الشريعة، وإبطالَ الحُدود، والزّوَاجرِ السَّمْعِيَةِ، ويوجب كونَ الترغيب في الطاعة، والتّحذيرَ من المعصية غيرَ مُتضَمِّنٍ طائلا، وبالأَصل باطلا، بل يقتضي كوْنَ الانْخلاَعِ من رِبْقَةِ التكليفِ، والانْسلاَلَ منْ قَيْدِ الشريعة، والخروجَ عن الضَّبْطِ، والوُلُوجَ في الخبْطِ، وتَركَ الناس سدًى من غير مانعٍ ولا دافع، وذلك مُفْضٍ إلى خراب الدنيا والآخرة(1).

ويُلْحَقُ بهذا الموضوع قَضِيَّةُ بعض الطاعات التي يُكفّرُ الله بها ماتقدم من ذنوب الانسان، مثلِ ماورد في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: **(مَنْ قَامَ رمضانَ إيمانًا واحْتسَابًا غُفِرَ له ماتقدّمَ منْ ذنبِهِ)** وهو مما اتفقت عليه كتب السُّنة السّتّةُ.

هذه القضيَّةُ يرى بعض العلماء أنّ المُراد من التكفير الوارد فيها، تكفيرٌ شاملٌ لجميع ذنوب العبد صغيرها وكبيرها، ويرى آخرون أنّ المُرادُ بها خُصُوصُ الذنوبِ الصّغائرِ، أمّا الكبائرُ فلا يُكفرُّهَا إلَا التَّوْبَةُ، أو استسْماحُ الخصوم من العباد.

وإليك خُلاصَةُ آرائهم في مَانَقَلَهُ الشيخ المناوي في (فيض القدير).

يقول رحمه الله: قال الزَّرْكَشِي: كل ماوردَ منْ إطْلاق غُفْران الذّنوب كلّها على فعْل بعض الطاعات من غير توْبةٍ كحديثِ الوُضُوءِ يكفّرُ الذُّنُوبَ، وحديثِ منْ صلّى ركْعتَيْنِ لايُحدِّثُ فيهما نفْسَهُ، غَفَرَ الله لهُ، فحَمَلُوه على الصَّغَائِرَ، فإنّ الكبائر لايكفّرُها إلا التوبةُ.

ونازع في ذلك صاحب الذخائر، وقال : فضل الله أوسَعُ، وكذا ابن المُنْذر في الإشْراف قائلا في حديث **(منْ قامَ ليلةَ القدْر إيمانا واحتسابا غفَرَ الله له ماتقدَّمَ من ذنْبه)** يغْفرُ

---

1) من (فيض القدير) شرح الجامع الصغير للمناوي ج 6 ص 159 .

الله له جميع ذنوبه صغيرها وكبيرها، وحكى ابن عبد البرّ عن بعض معاصريه – قيل وأراد به أبا محمد الأصيلي المحدّث – أن الكبائر والصغائر تكفّرُها الطهارة والصلاة لظاهر الأحاديث.

قال الزَرْكَشي: وهو جَهْلٌ بَيِّنٌ، وموافقة لمذهب المُرْجئةِ في قولهم بذلك، ولو كان كما زعموا لم يكن للأمر بالتوبة مَعْنًى، وقد أجمع المسلمون على أنّ التوبةَ فرضٌ، والفروضُ لاتصحُّ إلاّ بقصدٍ، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (**كفّارةٌ لَما بيْنهنَّ ما اُجْتُنبَتْ الكبَائِرُ**) (1)

فَتبيَّنَ أن المُرَادَ بغفران كلّ ماتقدم إنما هو ماكان من صغائِر الذنوب لامن كبائرها، وهو ما ذهب إليه المحقِّقُون من علماء الأمة، حيث إن قولهم هذا يستندُ إلى الجَمْعِ بينَ مُختَلَفِ النصوص الشرعية، وعدم إلغاء أَيٍّ منها.

وبهذا الجمع ينتفي ماقد يبدو من التّضارب بين ظواهر النّصوص، ويتبيّنُ الحكم قائما على أساسٍ من التفصيل الواضح المريح.

ولمزيد التوضيح لهذه القضية نجد حديثا ثابتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله (**مَنْ قَالَ سبحانَ الله وبحمْده في يوم مائة مرّة، حُطّتْ خطاياهُ، وإنْ كانتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**) رواه كل من البخاري ومسلم والإمام أحمد والترمذي وابن ماجهْ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذا الحديث قال فيه ابن بطَّال : الفضائل الواردة في التسبيح والتحميد ونحو ذلك إنّما هي لأهل الشرف في الدِّينِ والكمالِ، كالطَّهَارَةَ مِن الحرَام (2) فلا يظُنُّ ظانٌّ أنَّ منْ أدْمنَ الذّكْر، وأصرّ على ماشاء من شَهَوَاتِه، وانتَهَكَ دينَ الله وحُرُمَاتِه، أنْ يلتحقَ بالمُطهَّرينَ المُقَدَّسين، ويبْلُغَ مَنازِلَ الكاملينَ بكلام أجراه على لسانه، ليس معه تَقْوَى ولاعَمَلٌ صَالحٌ.

خلاصة هذا التحقيق

يُمكِنُ ضَبْطُ هَذَا التحقيق في ثماني نقط وهي الآتية:

الأولى:

إن جميع أهل العلم متَّفِقُونَ على أنّ كلمة التوحيد نافعةٌ لقائِلهَا، إذا كان مُخلصًا لله في قولها.

---

1) فيض القدير للمناوي ج 6 ص 191
2) يريد التتره عن المحرمات .

وهذه الحقيقة قد أخْبَرَ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مارواه البزَّارُ والبَيْهَقي والطبراني في معاجمه الثلاثة عن أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال عليه الصلاة والسلام (**مَنْ قال لا إلهَ إلاَّ الله نَفَعَتْهُ يومًا منْ دَهْرِه، يُصيبُهُ قبْلَ ذلك ما أصابَهُ**).

<u>الثانية :</u>

إنّ المُوَحِّدِينَ لله توحيدا لاشرك معه، سيكونُ مآلُهم الجنّةَ.

وهذه الحقيقة قد أعلن عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مارواه البخاري ومسلم وأحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : (**مَنْ مَاتَ لايُشركُ بالله شيئًا دخَلَ الجنّة**).

<u>الثالثة :</u>

إنّ المؤمنين الذين يُشركون مع الله أيَّ شيء لنْ يغْفرَ الله لهم، ولنْ يُدْخلَهم الجنة، أيًّا كان ذلك الشريك شجرا، أو حجرا، أو بشرا، أو شمساً، أو قمرا.

وهذه الحقيقة قد أعلن عنها الخالق في قوله سبحانه: (**إنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**(48)) النساء .

وفي قوله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا**(116)) النساء .

كما أعلن عنها عيسى بن مريم عليه السلام وذلك في ما قَصَّ عَلَيْنا القرآن من أمره مع بني إسرائيل حيث قال تعالى: (**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**(72)) المائدة.

والتوحيد الخالص هو الحقّ الذي جاء به جميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام، فقد قال الله لنبينا عليه الصلاة والسلام (**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**(65)**بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**(66)) الزمر

<u>الرابعة :</u>

إن الموحدين إذا أذنبوا في ما بينهم وبين الخالق فان الله بفضله يغفر لمن يشاء منهم.

وهذه الحقيقة قد أعلن عنها في قوله (**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ**) النساء 48 و116.

الخامسة :

إنّ المُوَحِّدِينَ إذا أذْنَبُوا في مابينهم وبين الخلق فلا بدّ من أن يُقتصّ منهم، إلا إذا استَسْمَحُوا خُصُومَهُمْ في الدُّنيا وأرضَوهُمْ، أو أصلح الله بينهم يوم القيامة، وجازى سبحانه المظلومين من فيض عطائه، وأعفى برحمته الظالمين.

واعْلَمْ أنّ النقطة الثالثة والرابعة والخامسة قد بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحكام الخاصة بكلّ من هذه الثلاث، وذلك في حديث، واحد، وهو مارواه الإمام أحمد وأبو عبد الله الحاكم عن عائشة رضي الله عنها أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**الدّواوينُ ثلاثةٌ، فديوانُ لايغفرُ الله منه شيئا وديوانٌ لايَعْبَأُ الله به شيئًا، وديوانٌ لايَتْرُكُ الله منه شيئا.**

فأما الديوانُ الذي لايغفر الله منه شيئا فالإشراك بالله، وأمّا الدّيوانُ الذي لايَعْبَأُ الله به شيئا فَظُلْمُ العبدِ نَفْسَهُ في مابينه وبين ربّه من صوم يوم تركهُ، أوْ صلاة تركَهَا، فإنّ الله يغفرُ ذلك إن شاء ، ويتجَاوزُ، وأمّا الدّيوان الذي لايتركُ الله منْهُ شيئا، فمظَالُم العباد بينهُم، القَصَاصُ لامحَالَةَ).

وقد نقل هذا البَيَانَ النبويّ سَلْمَانُ الفارسي رضي الله عنه في مارواه عنه الطبراني في المعجم الكبير، وكذلك أبو هريرة رضي الله عنه في مارواه عنه الطبراني في المعجم الأوسط وهو أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**ذنْبٌ يُغْفَرُ، وذنبٌ لايُغْفَرُ، وذنْبٌ يُجازى به، فأمّا الذنبُ الذي لا يُغْفَرُ فالشِّرْكُ بالله، وأمَّا الذنب الذي يُغْفَرُ ، فعملكَ بينك وبين ربّك، وأمّا الذّنبُ الذي يجازى به، فظُلمُكَ أخاك**).

السادسة :

إنّ الخصال التي يكفّرُ الله بها ماتقدّم من ذنوب العبد إنما هي الذُّنوبُ الصغائر، أما الكبائر فلا يكفّرهَا إلا التوبة أو استِسْمَاحُ الخصوم، كما اتّضح ذلك في ماحرّرهُ المُحقّقون من علماء الأمة.

السابعة :

إنّ القليلَ من العملَ الصالح مضمونُ الجزاء عند الله، فقد قال سبحانه (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً**(30)) الكهف.

ولكنّ المقّلَّ من العمل الصالح سوف يَنْدَمُ إذا فاتته فُرْصَةُ الحياة لقوله صلى الله عليه

وسلم (**مَامِنْ أحدٍ يموتُ إلاَّ نَدِمَ، إنْ كَانَ مُحْسنًا ندمَ أن لايَكُون -ازْدَادَ- وإنْ كانَ مُسيئًا ندمَ أن لاَ يَكُونَ نَزَعَ**) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الثامنة :

إنّ ا الإكْثَارَ من العمل الصالح مطلوبٌ من كلّ مؤمنٍ لقـول الرسـول صلى الله عليه وسلم (**ذرِ النَّاسَ يَعْمَلُونَ، فإنَّ الجنّة مائةُ درجةٍ مابـيْنَ كُلِّ درجَتيْنِ كما بـين السـماء والأرضِ، والفردوس أعلاها درجةً وأوسطُهـا، وفوْقَهَا عرشُ الرحمن، ومنهـا تَفَجَّرُ أنْهارُ الجنَةِ، فإذا سألْتمْ الله فاسْأَلُوهُ الفرِدْوسَ**) رواه الإمام أحمد والترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

ولقوله صلى الله عليه وسلم (**إنَّ أهلَ الجنة إذا دخلُوا الجنة نزلوا فيها بفَضْلِ أعْمالهمْ**) رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولكن الإكْثَارَ ممّا رَغَّبَ فيه الدينُ ينبغي أن يكونَ في نطَاق مَابيّنهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : (**إنّ هذا الدّينَ متينٌ فأوْغِلُوا فيه برفْقٍ**) رواه أحمد عن أنس كما رواه البزّار عن جابر.

الموانع من دخول الجنة

لقد حَذّر الله ورسولُه من أشياء تكونُ سببًا في حِرْمانِ العبد من الجنةِ وتصيرُ حائلا بينه وبين الدخول إليها.

وليست تلك الموانعُ إلاّ من اعتداء العبد وجرأته على تجاوز الحقّ، وعلى الإستخفاف بما جَعَلَ الله للحقّ من شأن عظيم. سواء أكان ذلك حقّا لله، أو حقّا للانسان.

ولو أنّنا عند التأمّل السَّدِيدِ نُدْركُ يقينًا أنَّ كُلَّ حقّ للمخلوق ماهو -في الحقيقـة- إلاّ حقٌّ للخالق سُبحانه إذ إنّ جميع المخلوقـات ماهي إلا مُلك لله تعالى كما قـال :(**وللهِ مُلْكُ السَمَوات والأَرْضِ ومَا بيْنَهُمَا وإليْهِ المَصِيرُ**) المائدة -18.

وبالنظر إلى ظواهر الأمور يمُكِنُ أَنْ نجْمَعَ مُعْظَمَ تِلْكَ المَوَانِعِ في الخمسة التالية، وهي :

1- الاعتداء على وحدانية الخالق سبحانه.

2- الإعتداء على دماء الخلق.

3- الإعتداء على أموالهم.

4- الإعتداء على حُرمة النسب الانساني.

5- الإعتداء على أنواع خاصَّة من العلاقات الانْسَانيةِ .

<u>1- الإعتداء على وحدانية الخالق :</u>

يكون الإعتداءُ على وحْدانية الخالق بـــأَنْ يَتَّخذَ العَبْدُ أيَّ شَيء وليًا لهُ مِنْ دُون الله، فيرْكَنُ إليه، ويتوكّلُ عليه، ويستعينُ به في المُلِمَّات، مُعتقدا أنه ينفعُ ويضُرُّ، والله تعالى قد قال: (**وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِيـــنَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ الـــنَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُون الـــلَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ**(113)) هود.

ويقول سبحانه (**أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**(17)) النحل.

ويقـــــول: (**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**) الحج -71.

وإنَّ جَميعَ رُسُلِ الله عليهم الصلاة والســـلام كانت كلُّ دعواهم للخلق قـــائمةً على أمْرين، وهُما توحيد الله، وتَخْصِيصُهُ سبحانه بالعبادة دون سواه، فلقـــد قـــال الله تعالى: (**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**) الأعراف -58.

ثم قال تعالى :(**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ**) الأعراف-64.

ثم قـــال تعالى:(**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءايَةً**) الأعراف -72.

ثم قال تعالى:(**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**) الأعراف 84.

وكان إبراهيم قبل هؤلاء الثلاثة قد قال: (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ ءازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**) الأنعام -75.

ثم جاء موسى فقـــال: (**يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ**) يونس -84.

(وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) المائدة -74.

ولبيان مابعث الله به جميع الرُّسُلِ من دعوة الخلق إلى توحيد الخالق يقول سبحانه لنبيّنا صلى الله عليه وسلم: **(وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ،بَلْ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)** الزمر -62-63.

ولقد بين رسول الله أن الشِّرْكَ ذَنْبٌ لاَيُغْفَرُ، كما ورد ذلك في أكثرَ من حديث.

فمن كلِ ماتقدم يتبـيّنُ أن الشِّرْكَ اعتداءٌ على الحقِّ الإلهي، فلذلك كان ظلما عظيما، كما **(قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)** لقمان -12.

ولذلك أيضًا كان ذنبا لايُغْفَرُ، وكان حائلا بين المشرك وبين الجنة، وكان مُقـتضيا لخلوده في النار.

وعلى المؤمن المُوَحِّدِ لله أَنْ يَحْتَمِيَ بحِمَى الله فَيَلْجَأَ إليه متأدبا بما أدّبنا بـه رسـول الله صلى الله عليه وسلم فيقول **(اللّهمّ إنّي أعوذُ بك أنْ أُشركَ بكَ وأنا أعْلمُ، وأستَغْفركَ لمَا لا أعْلَمُ)**(1).

2- الاعتداء على دماء الخلق:

لايُوجَدُ بيَانٌ يُعْرِبُ عن عظمة حُرمة الدّماء مثل ماهو في قول الله تعالى **(مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا)** المائدة -34.

قال سليمان بن علي للحسن البصري : يا أبا سـعيد هذه هي لنا كما كانت لبـني إسرائيل؟

قال الحسن : والله الذي لا إله غيره ماكانت دِمَاءُ بَني اسرائيل أكْرَمَ على الله من دمائنا.

وقال بعض أهل العلم: إنما خصَّ الكتابةَ ببني إسرائيل مع أنَّهُ جارٍ في أكثر الأمم تغليظا على اليهود، وبيانا لخسرانهم الأكبر، ذلك لأن بني إسرائيل مع علمهم لماَ وقع لقابـيل(2) من الخسران والنّدم- مع أنّ أخاه المقتول لم يكن نبيّا - أقدموا على قتل الأنبياء، وذلك دليل على

---

1) رواه الحكيم الترمذي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه

2) قابيل هو الذي قتل أخاه هابيل وقصة قتله مبسوطة في سورة المائدة إبتداء من الآية التاسعة والعشرين إلى الثالثة والثلاثين

الغاية من قساوة قلوبهم وبعدها عن طاعة الله تعالى.

ولقد قال سبحانه أيضا: (**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**) النساء -92.

وروى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لَنْ يَزالَ المؤمنُ في فُسحةٍ منْ دينهِ مَالْم يُصبْ دمًا حرامًا**).

كما روى عن ابنِ عمر أنه قال: إنّ مِنْ وَرطَاتِ الأمُورِ التي لامخْرجَ لمنْ أوْقَعَ نفْسَهُ فيها سفْكُ الدّمِ الحرامِ بغير حقه.

وروى الطبراني بسند رجاله ثقات أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**منْ استطاعَ منكُمْ أن لايحُولَ بينه وبين الجنةِ ملءُ كفٍّ مِن دمِ امرئ مُسلمٍ يُهريقُهُ كما يَذْبــحُ دجاجةً، كُلَّمَا تعرَّض لبابٍ من أبواب الجنّة حال الله بينه وبينهُ**).

وروى أبو عبد الله الحاكم والامامُ أحمد والنسائي عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وأبو داود عن أبي الدّرداء رضي الله عنه أنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**كلّ ذنْب عسى الله أنْ يَغْفِرَهُ إلا الرّجلَ يمُوتُ كافرًا، أو الرّجلَ يقْتُلُ مؤمنًا متعمّدًا**).

وروى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إجتنبُوا السّبْعَ المُوبقَــات: الشركَ بالله، والسّحْرَ، وقَتْلَ النفس التي حرّم الله إلا بــالحق، وأكْلَ الرّبــا، وأكْلَ مالِ اليتيم، والتَوَلِّيَ يومَ الزَّحْفِ، وقــذْفَ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمنات**)

إن قاتل النفس عمدا تقرّر حكمه في الدنيا وفي الآخرة.

أما في الدنيا فَيُقْتَلُ متى ثبت عليه ذلك.

روى البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لايَحِلُّ دَمُ امْرئ مسلم يشهد أَنْ لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحــدى ثلاثٍ: الثيِّبُ الزَّاني، والنفسُ بــالنفس، والتاركُ لدينه، المفارقُ للجماعة**).

وروى أبو داود والنَّسَائِي عن عائشــة رضي الله عنها أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لايَحِلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إله إلا الله، وأَنَّ محمدا رســول الله إلا باحــدى**

ثلاث: رجلٌ زنى بعد إحْصَان، فإنّه يُرْجمُ، ورجلٌ خرج مُحاربًا لله ورسوله، فإنّهُ يُقتلُ أو يصْلبُ، أوْ يُنْفى من الأَرض، أَو يَقْتُلُ نفْسا، فيُقْتَلُ بها).

وإليك ماحدث لقاتلٍ في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما جاء في رواية ابن جرير والواحدي، وذلك أنهما قالا إن مِقْيَسًا بن صُبَابَة الكناني وأخاه هشاما جاءا مُسْلِمَيْن مُهَاجرَيْن، فَوُجدَ هِشَامٌ قتيلاً في بني النّجار، و لم يُعْرفْ قاتِلُهُ، فَأَمَرَهُمُ النبيء صلى الله عليه وسلم بإعطاء أَخيه مِقْيَس مِائةً من الإبل، ديَةَ أخيه وأرسلَ إليهم بذلك مع رجل منْ فِهْر، فلما أخذ مِقْيَسٌ الإبل عدا علىَ الفهريّ فقتله، واستاق الإبل، وانصرف إلى مكة كافرا، وأنشد في شأن أخيه:

قتلتُ به فِهْرًا وحَمَّلْتُ عَقْلَهُ(1) سَرَاةَ بني النّجار أربابَ فارعِ(2)
حَلَلْتُ بهِ وَتْري(3) وأدْركتُ ثَأْرَتي وكنتُ إلى الأوثان أوّلَ راجعِ

فأهدرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم دَمَهُ يوم فتح مكة، فقُتل بسوق مكة.

وهكذا ثبت أن القصاص من القاتل هو حكم القتل العمد في الدنيا.

وأمَّا في الآخِرَة فقد روى البخاري ومسلم والإمام أحمد والنّسائي وابن ماجهْ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(أوّلُ ما يُقْضَى بين النّاس يوم القيامة في الدّماء)** .

وروى التِّرمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(ألا منْ قتَلَ نفسا مُعَاهَدَةً، لها ذمَّةُ الله وذمَّةُ رسوله، فقد أخْفَرَ(4) ذمّة الله، فلا يَرحْ رائحة الجنة، وإن ريحها ليُوجدُ من مسيرة سبعين خريفًا)**.

قال ابن حَجْر الهيتمي فإن كان هذا في قتل مُعَاهَدٍ، وهو الكافر المؤَمَّنُ في دار الإسلام، فما ظنّكَ بالقاتل لمن يدينُ للّه بالإسلام؟

---

1) عقله : دِيَتُهُ
2) فارع : هو حصن في المدينة لبني النجار
3) وتري: وتر الرجل هو ثأره من أجل جناية لحقت به.
4) أخفر : يقال : أخفرت الرجل إذا نقضت عهده

تحقيق الأحكام الخاصة بالقتل العمد

من الأحكام الخاصة بقتل العمد ثلاثة تتصدر غيرها من أحكامه، وهي التالية:

الحكم الأول :

يتعلّق بالمراد من خلود القاتل في النار، هل هو بقاؤُهُ فيها دائما أبدًا، أو مُكُوثُهُ فيها زمنا طويلاً، ثم يخْرِجُهُ الله منها؟

الحكم الثاني:

يتعلّقُ بِقَبُولِ الله لتوبته، في ما إذا ندِمَ، وتابَ، وأَكْثَرَ من الأعمال الصالحات.

الحكم الثالث :

يتعلق بما ينبغي أن يقوله العالم لمن يأتيه مُستفتيًا عن قَبُولِ توبة قاتل المؤمن عمدا.

وإليك ماجاء في هذه الأحكام الثلاثة من تحقيق.

ففي قضية الخلود في النار، يقول المحققون من علماء أهل السُّنَّةِ: إن المُرَادُ بــالخُلُودِ في النَّار هو المبالغة في طول المكث فيها.

ويقولون إن الخلود في اللسان العربي قد يراد به طول المكث، ومن هذا المعنى ماورد في شعر النابغة في مرض النّعمان بن المنذر حين قال:

ونحْنُ لديه نسألُ الله خُلْدَهُ   يرُدُّ لنا مُلْكًا، وللأرض عامرًا

ولكن الخَوَارِجَ ومَنْ نَهَجَ منْهَجَهُمْ يقولون إنّ مُرْتَكِبَ الكبيرة خَالِدٌ في النار أبدا، ومن الكبائر قتل النفس التي حرّم الله إلا بالحقّ.

وفي قضيّة توبة القاتِلِ هلْ تُقْبَلُ أوْ لا تُقْبَلُ؟ روى البخاري أن سعيد بن جُبَيْرْ قال : آيةٌ اختلَفَ فيها أهل الكُوفَةِ، فرَحَلتُ فيها إلى ابن عباس، فسألته عنها فقال: هذه الآية (**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ الـــلَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيـــمًا**) النساء -92، هي آخر مانزل، ومانسخها شيء.

وقد اختلف علماء السلف في معنى كلام ابن عباس فبعضهم حمل كلامه على قـــصد الزَّجْرِ والتَّهْوِيلِ، لئلاَّ يجترئَ النّاسُ على قتل الأنفس عَمدًا ويرجون المَتَابَ بَعْدَهُ.

وبعض العلماء حمل كلامه على ظَاهِرِهِ، وقالوا إن قاتل النفسِ هو ممّن لم يشـــإ الله أن يغفر له.

ولكن المحققين من المتأخرين ذهبوا إلى القول بالمعنى الأول حتى قال الشيخ الطاهر ابن عاشـــور : التوبـــة من الكفر – وهو أعظم الذُّنوبِ – مقبـــولةٌ، فكيف بما هو دون الكفر من الذنوب؟

وأما القضية الثالثة، وهي جواب العالم للمستفتي فقد رُوِيَ عن ابن عبـــاس رضي الله عنهما أنه جاءه رجل فقال: أَلِمَنْ قَتَلَ مُؤْمنًا مُتعمّدًا توبةٌ؟

فقال: (لا، إلاّ النّارُ).

فلمّا ذهب قال له جلساؤهُ : أهكذَا كُنتَ تُفتينا؟ فقد كنْتَ تَقُولُ: إنَّ توْبتَهُ مقبولةٌ.

فقال : إني لأحسب السائل مُغْضبًا يُريدُ أنْ يَقْتُلَ مُؤمنًا.

فبعثوا في أثرهِ، فوجَدُوهُ كذلك.

وكان ابن شهاب إذا سأله عن ذلك منْ يفْهمُ منه أنه كان قتل نفسا يقول له: توبـــتك مقبولة، وإنْ سأله من لم يقتُلْ، وتوسَّم من حالهِ أنّهُ يُحاولُ قتل نفسٍ قال له لاتَوْبَةَ للقاتل(1) .

3-الإعتداء على حرمة أموال الناس

الله سبحانه جعل للأموال حـــرمة عظيمة، ولذلك نهى عن أكلها بالبـــاطل، فقـــال تعالى:(**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيـــقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**) البقرة–187.

وقال سبحـــانه: (**لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ**) النساء –29.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجَّةَ الوداع: (**إنّ دماءكُمْ وأمْوالَكُمْ عليكُمْ حرامٌ، كحرمة يومكم هذا في شهْركُمْ هذا في بلدكُمْ هذا**) رواه مسلم وأبو داود والنســـائي عن جابر رضي الله عنه.

كما حذّرَ صلى الله عليه وسلم من عواقب أكل المال بالباطل في أحاديث كثيرة، منها مارواه مسلم والامام أحمد والنّسائي وابن ماجهْ عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه أن النبيء صلّى الله عليه وسلم قال: (**منْ اقتطَعَ حقَّ امرئ مسلم بيمينهِ، فقد أوْجبَ الله له النّار، وحـــرَّمَ عليه الجنّة**) قالوا وإن كان شيئا يسيرًا يارسولَ الله؟ قال: (**وإنْ كان قضيبًا منْ أراكٍ**).

---

1) الأحكام الثلاثة ملخصة من (التحرير والتنوير) للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله من الصفحات 163-164 من الجزء الخامس، فارجع إليه إن شئت .

وروى الإمام أحمد والحاكم والبيهقي عن عبد الله بن مسعود أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لايكْسبُ عبدٌ مالاً مِنْ حرامٍ فَيُنْفِقُ منه فَيُبَارَكُ له فيه، ولايتصدَّقُ به فيُقْبَلُ منه، ولايتْرُكُهُ خلفَ ظهرِه إلا كان زادهُ النّار**).

ومن خصائص حرمة المال المقررة في الإسلام أنّ من كان عليه شيء من المال دينا، وكان ذلك الدين مشروعا سليما من أي رائحة ربويّة، ثم مات المدينُ، ولم يقْضِ الدَّيْنَ الذي عليه، فإنه لايدخل الجنة حتى يُقضى عنه ذلك الدين.

فقد روى الإمام أحمد والحاكم والنسائي عن محمد بن جَحْش رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**سُبْحَان الله، ماذا أُنزلَ من التَّشْديد في الدَّيْنِ، والذي نفسي بيده لوْ أنَّ رجلاً قُتلَ في سبيل الله، ثم أُحْيِيَ، ثم قُتِلَ ثم أُحْيِيَ، ثم قُتِلَ وعليه دينٌ مادخل الجنة حتى يُقضى عنه ديْنُهُ**) (1)

وروى الإمام أحمد والحاكم والترمذي وابن ماجهْ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**نفسُ المُؤمنِ مُعَلَّقةٌ بدَيْنِهِ حتى يُقْضى عنهُ**) (2).

ولقد حذّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم قضاء الدَّيْنَ في عِدَّةِ أحاديث أخرى.

كما أن أهل العلم يذكرون أنّ مِنْ أَكْلِ المال بالباطل الرَشْوَةَ والربا، والسرِقَةَ، ومَالَ القمار، وإِخْفَاءَ عَيْب المبيع، والتَّطْفيفَ في الكيْل والميزان.

ومن أكلِ المال بالباطل كُلُّ مَال أُخِذَ من صاحبه بدون رضاه، فقد قال صلى الله عليه وسلم (**لايحلُّ مالُ امرئٍ مُسلم إلاّ بطيبَ نفسٍ منه**) رواه أبو داود عن حَنْيفَةَ الرُّقَاشِيُّ رضي الله عنه.

4-الإعتداء على حرمة النسب الإنساني:

نسبة الولد إلى أبويه الذين ولداه، ماهي إلا حقيقةٌ ثابتةُ الوجود، قَائمةٌ على أمر مشهود.

فمن أخفاها، أو جَحَدَهَا، أو ادّعاها لغير مَنْ وَلَدَاهُ لأي سبب كان كلّ ذلك فقد افترى فريةً عظيمة، واعتدى على حقيقة مُجَسَّمَةٍ في واقع الحياة، حيث نفاها، وأثبت غيرها

---

1) **يقضي عنه**: يؤديه بعض المحسنين نيابة عنه سواء أكان من أقاربه أو من غيرهم.
2) **معلقة بدينه**: أي محبوسة عن مقامها الكريم بسبب دين لم يقضه.

زورا وبهتانا، ولهذا كان العقاب على هذه الفِرْيَةِ **عقابا شديدا.**

روى أبو داود والنّسائي وابن ماجه وابن حبـــان والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أَيُّمَا إِمْرَأَةٍ أَدْخَلَتْ على قومٍ، مَنْ ليسَ منهُمْ(1) فليْستْ من الله في شيء، ولنْ يُدخلَهَا الله جنّتُهُ.**

وأَيُّمَا رَجُلٍ جَحَدَ وَلَدَهُ وهو ينظرُ إليه، احتجب الله تعالى منه، وفَضَحَهُ على رؤوس الأولين والآخِرين يوم القيامة).

وروى البخاري ومسلم والإمام أحمد وأبو داود وابن ماجهْ عن سعد وأبي بكرة الثّقفيُّ رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم **قال: (مَنِ ادّعى إلى غير أبيهِ، وهو يعْلَمُ فالجنّةُ عليه حرامٌ).**

وروى ابن ماجهْ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وســـلم قال: **(من ادّعى إلى غير أبيهِ لمْ يَرِحْ رائحةَ الجنّة).**

5-الإعتداء على روابط مُعَيَّنَةٍ من العلاقات الإنسانية :

في الناس من يستخفّ بهذه العلاقات، **فيعتدي على حُرماتها، غير ملتفت إلى تعظيم الله** لشأنها، وتحذيره من انتهاكها.

ومن هؤلاء المعتدين أيُّ أمير جعل المســـلمون أمرهم إليه، **على أســـاس أن** يرعاهم ويَسُوسَهُم برعاية الله، **ويبْذُلَ ما في سَعَتِهِ** من النّصيحة لهم، **ويعدلَ بـــينهم في قـــوله** وفعله، ويَحْمِيَهُمْ مِن أيّ اعتداء عليهم.

لكنه- في ولايته عليهم- صار من المعتدين عليهم **بل أصبح من السابقين إلى ظلمهم،** لأنه مُطْمَئِنٌّ إلى كونه **متمتعا بتوليهم له دونَ غيره،وبثقتهم فيه دون سواه.**

إن هذا الأمير الجائر سيلقى جزاء غدره **من الله الحَكَمِ العَدْلِ يوم القيامة.**

روى البخاري ومسلم عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(مامنْ عبْدٍ يسترْعيه الله رعيّةً، يَمُوتُ يوم يموتُ وهو غَاشٌّ لرعيّتِهِ إلاّ حـــرّم الله عليه ريح الجنّة، وعرْفُها** (2) **يُوجدُ يوم القيامة من مسيرة سبعين سنة).**

---

1) **أدخلت على قوم من ليس منهم : إذا حملت من زنا ، ونسبت الحمل إلى إلى زوجها.**

2) عرفها : ريحها

وروى مسلم عن مَعْقِلِ بن يسار رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال:
(مامنْ أميرٍ يلي أمر المسلمينَ، ثمّ لايجْهَدُ لهم وينصحُ إلا لَمْ يدْخُلْ معهم الجنّة)

ومن النّاس من يَعتدون على الأرحام، فيقطعونها ولايصلونها، على ما للرّحم من مكانة عظيمة عند الله، فكم من نِعَمٍ يَسْعَدُ بها الواصلون لأرحامهم، وكم من نِقَمٍ تحيق بالقاطعين لها في الدنيا قبل الآخرة.

إنّ أُولِي الأرحام هم الذين لهم قَرَابَةٌ بالانسان سواء من الذين يرثُونهُ أو الذين لا يرثونه.

وإن صلة الرّحم تتمثّل في الإحسان بجميع أنواعه إلى أولى الأرحام، كمواساتهم بالمال أو الخدمات أو الزّيارة أو المراسلة ونحوها.

كل ذلك على قَدْرِ ماتدعو إليه حَاجتُهم، وتَسَعُهَا استطاعة الواصل واقتدارهُ.

أمّا قَطْعُهَا فَيَتَمَثّلُ في ترك الاحسان إليهم مع القدرة عليه.

ولصلة الرَّحِمِ جَزَاءٌ يُعَجِّلُهُ الله للواصل في الدنيا مع مايدَّخِرُ لهُ في الآخرة.

روى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أنس رضي الله عنه كما روى البخاري وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(مَنْ أَحَبَّ أنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأنْ يُنْسَأَ له في أثَره(1) فلْيَصلْ رَحِمَهُ)**.

وروى البخاري ومسلم والنَّسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(إنَّ الله خلقَ الخَلْقَ، حَتّى إذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَال نَعَمْ، أمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَنْ أَقطعَ منْ قَطَعَكِ؟ قالت بلى، قال فَذَاكِ لَكِ)**.

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ الله، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ)**.

وروى أحمد والترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُم مَاتَصِلُونَ بِهِ أرْحَامَكُمْ فَإنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ في الأهل، مَثْراةٌ في المَالِ، مَنْسَأَةٌ في الأثَرِ)**.

---

1) ينسأ من الإنساء وهو الزيادة، والأثر هو الأجل هنا، والمعنى أن يزاد في عمره، ويبارك الله فيه.

مع كل هذا الإرشـــــاد فإنّ مِن الناس مَن يَقْطَعُون أرحامَهم غَيْرَ عابِئِينَ بحُرُماتِها العظيمة، إذ يقــــول الله تعالى: (**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفسدُوا فِي الأَرْضِ وتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** (22) **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**(23)) محمد .

ويقول سبحـــانه: (**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفسدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**(25)) الرعد.

روى الترمذيُّ وابن ماجهْ والحاكم عن أبي بَكْرَةَ الثّقفِيِّ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَامِنْ ذَنْبٍ أجْدرَ أن يُعجّلَ الله لصاحبِهِ العُقُوبةَ في الدنيا مع مايَدَّخرُهُ له في الآخرةِ من البَغْيِ وقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**).

وروى البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي عن جُبير بن مُطْعَمٍ أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال:(**لايَدْخُلُ الجَنَّةَ قاطِعٌ**) قال سفيان يعني قاطِعًا للرّحم.

ومن شؤم القـــطع للرَّحِمِ أنّ الله لايَقْبِضُ رحْمَتَهُ عَنِ القَاطع فقـــط، وإنما يَقْبِضُها عن البريء من القطع أيضا إذا طلب البريءُ رحمة الله، وكان إلى جنبه قاطعُ رَحِمٍ.

روَى البُخاري في الأدب المُفْرَدَ عن عبد الله بن أبي أَوْفَى رضي الله عنه أن النبيء صلّى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ الرحْمَةَ لا تَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ**)

وقد رُوِيَ أنّ أبا هريرة رضي الله عنه كان يُحَدِّثُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**أُحَرِّجُ**(1) **على كلِّ قَاطِعِ رَحِمٍ إلا قَامَ مِنْ عندنا**)، فقام شابٌّ إلى عمّةٍ قـــد صارمها منذ سنين فصالحها، فسألتْهُ عن السبب فذكرهُ لها، فقالت إرجعْ واسْألهُ لِمَ ذاك؟ فرجع فسألهُ فقال لأنّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـــول: (**إنَّ الرَّحْمَةَ لاتَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ**) يعني وإنّنا نريدُ أنْ نَدْعُوَ ربَّنا وليس فينا قاطعُ رحِمٍ.

ومن الناس من يرتكبون مآثم أخرى وردت الأحاديثُ النبوية بأنّ أصحابَها لايدخلون الجنّةَ.

منها مارواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وســـلم قـــال: (**لايدخُلُ الجنّة مَنْ لايَأْمَنُ جَارُهُ بَوائِقَهُ**(2)).

إنَّ رعاية الجار والإحسان إليه هما من كمال مروءة الانسان، ولقد كان أهلُ الجاهلية يعتزّون بذلك، ويتفاخرون.

---

1) أحرج : أضيق عليه باعتباره آثما إن لم يقم من مجلسنا .
2) جمع بائقةُ، والبوائق هي الغوائل أو الشُّرور أو الدواهي.

ولما جاء الإسلام أكّدَ رعايةَ حقِّ الجوار، ودعا إلى الإحسان إلى الجار، فمن لم يحسن إلى جاره أو أساء إليه فإنّ سُلُوكَهُ هذا دليل على تَهَاوِي إيمَانهِ، وذلك لاستخفافه بعلاقةٍ لها عند الله حُرْمَةٌ عظيمةٌ، حتّى قال النبيء صلى الله عليه وسلَم: (**لايَدْخُلُ الجنَّةَ مَنْ لايَأْمَنُ جَارُهُ بوَائِقَهُ**).

وفي بيان المراد من قول النبيء صلى الله عليه وسلم إنه لايدخل الجنة يقول الشيخ المناوي: (فإصْرَارُه عَلى هذه المعْصِيَةِ الكبيرة هو مَظِنَّةٌ لِحُلُولِ الكُفر بــه، لأنَّ المعَاصِي بَرِيدُ الكفْر(1) ومنْ خُتمَ له بكُفْر لايدخُلُ الجنّة).

أو أنّ المُراد لايدخل الجنة إذا كان مُسْتَحِلاً لما قام به منْ مُنكَرٍ.

أو أنّ المراد لايدخل الجنة المُعَدَّة للمحسنين إلى جيرانهم.

يعني ليس المراد أن لايدخلها بتاتا، إلا إذا استحلّ ماحَرّمَ الله مِن ذلك.

ومن المآثم التي ورد أنّ أصحابها لايدخلون الجنة الخِدَاع والشُّحُّ والمنُّ.

روى الترمذي وأحمد وأبو يَعْلَى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لا يدْخُلُ الجنّةَ خَبٌّ ولابخيلٌ، ولا منَّانٌ**).

أمّا الخَبُّ فهو الذي يُفْسدُ بالخِدَاع مابين المسلمين من علاقات طيّبة.

وأمّا البخيل فهو الذي يَشِحُّ بما منَّ الله به عليه، ولا يُحْسِنُ إلى المُحْتَاج كما أحسن الله إليه.

وأمّا المنّانُ فهو الذي لايعطي شيئا إلاّ منّهُ، وكرَّرَ التّذكير به، فكدَّر ذلك الإحسان بالمنّ.

ولقد قيل: إنّه لايَمُنُّ إلاّ غافلٌ عنْ أنّ الله هو المالكُ الحقُّ وهو الذي يسَّر للإعطاء وأقدر عليه، والمنَّانُ مُعرضٌ عن رؤية هذه الحقيقة، ومُنَازِعٌ للحق في فضْله وجوده - فالله - في الحقيقة هو المُعْطِي وهْوَ المُتفضِّلُ، وإنْ جَرَى ذَلِكَ عَلَى يَد بَعْض خلقه.

والمنَّةُ إذا وَقَعَتْ في الصّدقة أبطلت الأجرَ، وإذا وقعت في المعروف كدّرت الصَّنيعة.

ولقد قيل في هذا المعنى:

وصَاحِب سَلفَتْ منه إليَّ يدٌ — أبْطا عليه مُكَافَاتِي فعَادَاني
لّما تيقَّنَ أنَّ الدهر حاولَني — أبدى النَّدَامةَ مّما كان أولاَني
أفْسَدْتَ بالمنِّ ماقدّمْتَ من حَسَنٍ — ليس الكريمُ إذا أعطى بِمَنَّانِ

---

1) أي إنها هي السبيل إلى الوصول إلى الكفر .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله:

لاتـــحْمِلَنَّ من الأنـــا   مِ عليكَ إحسانًـــا ومِنَّهْ

واختـــرْ لنفسكَ حظَّهَا   واصبـــر فإنّ الصّبْرَ جُنَّه

مِنَنُ الرّجال على القُلو   بِ أشدُّ من وقْـــع الأَسِنَّهْ

ومن المآثِمِ التي ورد أنّ أصْحَابَهَا لايدخلون الجنة العَاقٌّ لوالدَيْه ومُدْمِنُ الخمر.

روى النسائي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لايدخلُ الجنّة مَنَّانٌ، ولاَعَاقٌّ، ولا مُدْمِنُ خَمْرٍ**).

التحقيق في المراد من أنّ هؤلاء لايدخلون الجنة

يقو ل المحققون من علماء أهل السنة أنّ معنى هذه الأحـــاديث أنّ الواحـــد من هؤلاء لايَدْخُلُ الجَنَّةَ وهو مُتَّصِفٌ بذلك الوصف، حتى يُصَفَّى إمّا بالتعذيب، وإما بالعفو.

أو المراد لايدخل الجنة مع السابقين الأوّلين.

والعلماء يذهبون في هذا التأويل إلى أنّ الجنة هي مآل كلّ مؤمن، ولو أصابه قبل ذلك ماأصابهُ.

وقد نقل الشيخ عبد الرؤوف المناوي عن التَّوْرَبَشْتِي قوله: هذا هو السبـــيلُ في تأويل أمثال هذه الأحاديث لتوافق أصول الدين.

ثم قال النوربشتي: وقد هلك في التمسّك بظواهر أمثال هذه النصوص الجمُّ الغفيرُ من المبتدعةِ.

وقال: ومنْ عرف وُجُوهَ القول، وأسَالِيبَ البـــيان من كلام العرب هان عليه التخلّص بعون الله من تلك الشُّبَهِ(1).

الحُجُبُ الواقيةُ من النار

كما تبيّن -ممّا تقدم قريبا- أنّ للجنة موانع تحول بين بعض الناس، وبين دخولهم الجنة، كذلك جعل الله تعالى حُجُبًا واقية لبعض الناس من أن تمسّهم النّار، فحرّمها سبحانه عليهم.

---

1) فيض القدير ج 6 ص 448

فمن تلك الحجب عقيدةُ التوحيد لله، إذا لم يخالطها أيُّ شيء من الشرك، وأعرَب عنها المؤمن الموحّد إعرابا مُخْلصا لله فيه، ولايبتغي به إلا وجه الله، ومات على ذلك.

أفلم يقُلْ إبراهيم عليه السلام لقومه وهو يُحَاجُّهم: (**الَّذِينَ ءامنوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ(82)**) الأنعام.

وأعظم الظلم الانساني هو الشرك بالله تعالى: أفلم يقلْ لقمانُ عليه السلامُ لابـــنه وهو يعظُهُ: (**يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم**) لقمان-12.

وروى البخاري عن عبد الله بن مســعود رضي الله عنه أنه قـــال: لّما نزلت هذه الآية (**الذين آمَنُوا، ولَمْ يَلْبِسُوا إيـــمَانَهُمْ بظلْمٍ أولئك لَهُمُ الأمْنُ، وهم مُهْتَدُون**) شقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أيُّنا لَمْ يلْبسْ ايمانهُ بظلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إنّهُ ليس بذاك، ألا تَسْمَعُ إلى قوْلِ لُقْمان لابنه: (إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)**).

وفي رواية عنه أن هذه الآية لما نزلت شقّ ذلك على المســلمين، فقـــالوا: أيُّنا لَمْ يظْلمْ نفسه؟ فقال لهم: (**ليسَ كما تظُنُّونَ، إنّما هو كما قـــال لقـــمان لابـــنه: (إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عظيمٌ)**).

وروى البخاري والإمام أحمد عن عِتْبَانَ بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لنْ يُوافِيَ عبدٌ يوم القيامة يقولُ لا إله إلاّ الله، لايَبْتَغي بها إلاَّ وجْهَ الله إلاَّ حـــرَّمَ الله عليه النّار**).

وروى مسلم والإمام أحمد والترمذي عن عُبَادَةَ بـــن الصامت رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ شَهِدَ أنْ لا إله إلاّ الله، وأنَّ محمدا رسول الله، حـــرَّمَ الله عليه النَّار**).

كما روى مسلم عن عِتْبَان بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لايَشْهَدُ أحدٌ أنَّهُ لا إله إلاَّ الله، وأنّي رسول الله فيدْخُلَ النّار، أو تطْعَمَهُ**).

فكلُّ هذه النصوص من القرآن ومن السنة الصحيحة تدلُّ على أنَّ الشهادة بتوحيد الله إذا لم يَلتبسْ بها أيُّ شيء من الشّرك فإنّها بحمد الله وقاية لصاحبها من النّار.

لكنْ قد ورد في الحديث الصحيح أنَّ الرّسول صلى الله عليه وسلم قد قـــال: (**لَيُصِيبَنَّ ناسًا سفْعٌ منَ النّار، عُقُوبةً بذنوب عَمِلُوها، ثم يُدْخِلُهُمُ الله الجنّة بفضْلِ رحْمتِهِ، فيقال لهم**

الجهنّميُّونَ) رواه البخاري والإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

فهذا الحديث الصحيحُ قد دلَّ على عقاب أناس بدخولهم النار، من أجل آثامٍ ومعاصٍ هي دونَ الشّرك بـالله، كما دلَّ هذا الحديث الصّحـيح على أن هؤلاء الجهنّميين هم أناسٌ مُوَحِّدُونَ لله بلا شكّ حيث يُدخلُهمْ الله الجنة بعد حين من العذاب، ولوْ كانوا مشركين لحرّم الله عليهم الجنّة، وتركهم في جهنّم خالدين فيها أبدا.

وهذا الحديث -وَكُلُّ مايماثله في معناه- لايتّفقُ ظاهرهُ مع الظاهرِ ممّا رواه مسلم والإمام أحمد هنا.

ولعلّ التّقابل بين ظواهر هذه الأحاديث الصّحاح قد يجعلُ بعض الناظرين في حيرة من أمر هذه المسألة.

لكنّ من يُمْعِنُ النّظر في هذه الأحاديث وفي الآيتين الكريمتين، ويجمع بين كل ماتعطيه تلك النصوص من العلم فإنّه تتبيّن له الحقائق التالية:

1- أنّ أعظم أنواع الظلم هو الشّركُ بـالله، وتبـارك الله الذي له ملك السّموات والأرض وتعالى عَنْ أَنْ يتّخذ ولدا، أو أن يكون له شـريكٌ في الملك، أو أنْ يكون له وليّ من الذّلّ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرا.

2- أنّ من يشرك بالله أيّ شيءٍ، ثم يموت على شركه فإنه يكون مُخلّدًا في النّار.

3- أنّ المُوَحّدَ لله إذا كان بريئا من أيّ أثرٍ للشرك ومات على ذلك، أو كان أشـرك وتَابَ حَقًّا ثم مات على ذلك، فإنّه يكون آمنا من نار الخلود.

4- أنّ من أنواع الظّلم مايكون ظلما للنفس ببـعض المعاصي التي هي دون الشِّرك بالله، فقد قال الله تعالى: (**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ**) التوبة36.

5- أنّ هذا النوع من الظلم الذي هو دون الشرك قد يدخل الله به العاصي إلى النار مع كونه عاش مُوَحِّدًا، ثم تدركهُ رحمة الله، فَيُخرِجُهُ منها، وقد يعفو الله عنه، فَلاَ يُدْخِلُهُ إليها إلاّ إذا كان يستحـقّ دخولها من أجل ظلمه للعبـاد، في دمائهم، أو أموالهم، أو أعراضهم، فإنّهُ يعاقبُ على ذلك، إلا إذا عفا عنه المظلومون اليوم أو غدًا.

ومن هذه الحقائق الخمس يتبـيّن المراد من النار المحرّمة على الذين يمتازون على غيرهم ببعض الفضائل، أو ببعض الأعمال الصالحة الواردة في عدّة أحـاديث، فيتّضحُ ما إذا كانت

تلك النّار هي نار الخلود، أو هي التي تكون دونها حِدَّةً ومُدَّةً.

وبهذا الوضوح يزول كلّ أثر للحيرة من ظاهرة التّدافع بين النصوص الواردة عن الله ورسوله.

وإليك مجموعة من الأحاديث المتضمنة لتحريم النار على أناس كانت لهم في الدنيا أحوال خاصة، أو قربات معيّنة من العمل الصالح.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**مَنْ اغبَرَّت قَدَمَاهُ في سَبيل الله حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّار**) رواه البخاري وأحمد والترمذي والنّسائي عن أبي عَبْسٍ عبد الرحمن بن جَبْر رضي الله عنه.

وقال صلى الله عليه وسلم: (**ماغبرّت قدما عبد في سبيل الله إلاّ حرّم الله عليه النّار**) رواه أبو داود والترمذي والنّسائي وابن ماجهْ عن مالك بن عبد الله الخَثْعَمِيِّ رضي الله عنه.

وقال صلى الله عليه وسلم: (**منْ صلّى قبل الظُّهر أربعًا، وبعدها أربعًا حرّمهُ الله على النّار**) رواه البخاري ومسلم والامام أحمد، والنِّسائي وابن ماجهْ عن أمّ حبيبة رضي الله عنها.

وقال صلى الله عليه وسلم: (**مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هذه البناتِ بشيءِ فأحسنَ إليْهنَّ، كنَّ له سِتْرًا من النّارِ**) رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد والنّسائي عن عائشةَ رضي الله عنها.

فقد قالت عائشة : دَخَلَتِ امرأةٌ، ومَعَهَا بنْتَان لهاَ، فَسألتْ فلمْ أجدْ عِنْدِي شيئًا غيرَ تمْرة، فأعطيْتُها إيّاها، فَقَسَمَتْهَا بين ابنتيْهَا، و لمْ تأكلْ منها، ثم قامت فخرجتْ فدخل النبيء فأخبرتُهُ، فقال (**مَن ابتُليَ من هذه البنات بشيء إلى آخر الحديث**).

قال الشيخ المناوي رحمه الله في شرح هذا الحديث: (وَعَدَّ وُجُودَهُنَّ بلاءً لما ينْشأُ عنهنَّ منَ العار تارةً، ومنَ الشرِّ تارةً، ومنَ الفتنِ بين الأصهار تارةً).

والإحْسانُ إليهن يكون بالقيام بهنّ على الوجه الزائد على الواجب من نحو إنْفَاقٍ، وتجهيز، وغير ذلك ممّا يليقُ بأمثالهنّ على الكمال المطلوبَ.

فمنْ سترهنّ بالإحسان المذكور حازاه الله بالسَّترِ مِنَ النّار جَزَاءً وفَاقًا.

وقال صلى الله عليه وسلم: (**مَنْ دَفنَ ثلاثة من الولد حرّمَ الله عليه النّار**) رواه الطبراني عن واثِلَةَ بن الأسْقَعِ رضي الله عنه.

وقال صلى الله عليه وسلم : (**مَنْ ذَبّ عن عرضْ أخيه بالغيبةِ(1) كان حقًّا على الله**

---

1) يعني في حالة غياب أخيه عن المشهد الذي انتهك فيه عرضه .

أن يقيَهُ من النّارِ) رواهُ الإمام أحمد والطبراني عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها.

وقـــال صلى الله عليه وســـلم: (**مَنْ ردَّ عن عرْض أخيه ردَّ الله عن وجههِ النار يوم القيامة)** رواه الإمام أحمد والترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه.

وقال صلى الله عليه وسلم: (**مَنْ ردَّ عنْ عرضِ أخيهِ كان له حـــجابًا من النّار)** رواه البيهقي عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

وقال صلى الله عليه وسلم: (**لايدخل النّار أحدٌ في قلبهِ مثقالُ حـــبّة خرْدل منْ إيمان** (1) **ولايدخلُ الجنّة أَحَدٌ في قلبه مِثْقَالُ حبّة خردل من كِبْرياءَ)** (2) رواه مسلم وأبـــو داودَ والترمذي وابن ماجهْ عن عبد الله بن مسعود رضي اللّه عنه.

مشهد انْقِسَام بَني آدَمَ عَلَيهِ السَّلاَم إلى فريقَيْنِ

لقد سبق في علم الله أنّ الناس فريقان لاثالث لهما، فجعل سبحـــانه لكل فريق منهما مأوًى.

وقـــــال في ماأنزل لنا من كلامه : (**فَأَمَّا مَنْ طَغَى(37)وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(38)فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى(39)وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى الـــنَّفْسَ عَنِ الْهَوَى(40)فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى(40)**) النازعات.

وقـــال تعالى: (**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**) الشورى-5.

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّ الله تَعَالى خَلَقَ الجَنَّةَ وَخَلَقَ النَّار، فَخَلَقَ لِهَذِه أَهْلاً، وَلِهَذِهِ أَهْلاً**).

هل نعرف الآن كلّ فريق من الفريقين؟

روى الإمام مالك والامام أحمد وأبو داود والترمذيّ وأبو عبد الله الحاكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قـــال: (**إنَّ الله خَلَقَ آدَمَ ثمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بيَمِينِه، فاستَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَال: خَلَقْتُ هَؤُلاَءِ للجَنَّةِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَعْمَلُونَ.**

---

1) يعني نار الخلود والعلم لله وحده.
2) يعني حتى يصفى وينقى والله ورسوله أعلم .

ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاَءِ للنَّارِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الــنَّارِ يَعْمَلُونَ.

إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا خَلَقَ العَبْدَ للجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ الجَنَّةَ.

وإِذَا خَلَقَ العَبْدَ للنَّارِ إِسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الــنَّار، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّار، فَيُدْخِلَهُ به النّارَ).

ولقد سجّل أحدُ الشعراء هذا المعنى في قوله:

لايَسْكُنُ العَبْدُ دَارًا بَعْدَ مَوْتَتِهِ ... إلاَّ التِي كَانَ قَبْلَ المَوْتِ يَبْنِيهَا

فبهذا البيان النبويّ نعرف -في الدنيا قبـــل الآخرة-من هُم أهل الجنة، ومن هم أهل النار.

غير أنّ هذه المعرفة لاتحصلِ لنا عنهم إلاّ في صورة مجملة، أمَّا معرفة المآل لكلّ فرد بعينه فذلك أمر لايعلمه إلا الله، وقد قيّده رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تُختَمُ به حـــياةُ كلّ فرد من الناس، إذ ربط صلى الله عليه وسلم بين خاتمة حياة الإنسان، وبين مأواه في إحدى الدارين.

روى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنَّسائي وابن ماجهْ عن عبـــد الله بـــن مسعود رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أربعينَ يومًا نطفةً ثمّ يَكُون عَلَقةً مِثْلَ ذلك، ثم يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ.**

ثمّ يَبْعثُ الله إِلَيهِ مَلَكًا وَيُؤْمَرُ بكِتَابَةِ أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَال لـــه اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَو سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيه الرُّوح.

فـــإِنَّ الـــرَّجُل مِنْكُم لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَايَكُونَ بَيْنَهُ وبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْه الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّار.

وَإِنَّ الرَّجُل لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ النَّار، حَتَّى ما يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّة فَيَدْخُلُ الجَنَّة).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وســـلم قـــال: (**إنّ الرَّجُل لَيَعْمَلُ الزمَنِ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ بعملِ أهل النَّارِ.**

وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيـــلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الـــنَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ).

وروى مسلم أيضا عن سهل بن سعد السّاعدي رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ– فِيمَا يَبْدُو للنَّاسِ– وَهْوَ مِنْ أَهْلِ النَّار (1).**

وإنَّ الرَّجُلَ ليَعْملُ عَمل أَهْل النَّار –فِيمَا يَبْدُو للنَّاسِ– وَهْوَ مِن أَهْل الجَنّةِ(2)).

وروَى مُسْلم عَن عَلي بـــن أبي طالب رضي الله عنه أنه قـــال: كُنّا في جَنازَة في بَقِيعِ الغَرْقَدِ(3) فأتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقـــعد وقـــعَدْنَا حـــوْلهُ، ومعهُ مِخْصَرَةٌ(4) فنكَسَ(5) فجعل يَنْكُتُ بمِخْصَرَتِهِ ثم قال: (**مَامِنْكُمْ مِنْ أحدٍ، مَامِنْ نَفْسٍ مَنْفوســةٍ إلاّ وَقَدْ كَتَبَ الله مَكَانَهَا مِن الجَنَّة والنَّار، وإلاّ وقَدْ كُتِبَتْ شقيَّةً أو سعيدةً**)

فقال رجل يارسول الله أفلا نَمْكُثُ على كتابنا (6) وندعُ العملَ؟ فقال صلى الله عليه وســـلم : (**مَنْ كَان منْ أَهْلِ السَّعَادَة، فَسَيَصِيرُ إلى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَة، وَمَنْ كَان مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَة، فَسَيَصِيرُ إلى عَمَل أَهْل الشَّقَاوَة.**

اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيسَّرٌ، أمّا أَهْل السَّعَـــادة فَيُيَسّرُون لِعَمَل أَهْل الـــسَّعَادَة، وَأَمَّا أَهْلُ الشَقَاوَة فَيُيَسَّرُون لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَة) ثم قـــــــــرأ: (**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(5) وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى(6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(8) وَكَذَّبَ بالْحُسْنَى(9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(10)**) الليل.

من هذه البـــيانات الواردة في صِحَاحِ الأحـــــاديث نعلم أنّ الأعمال ماهي إلا مجرّد علامات، وأنّ الخاتمةَ لاتَكُونُ إلاّ على وفاق ماهو سابق في ماقد كُتِبَ وجرى به القـــلمُ عندما كان الإنسان في بـــطن أمّه، أما الأعمال الحســـنات أوالســـيئاتُ فما هي إلاّ مجرّد أماراتٍ، وليستْ–في الحقيقة– دلائِلَ قطعيّاتٍ.

1و2) يعني هو من أهل النار أو من أهل الجنة بالنظر إلى ماسيصير إليه عِنْدَ ختم حياته.
3) بقيع الغرقد هو مدفن أهل المدينة المنورة وهو المعروف الآن بالبقيع .
4) المخصرة : هي العصا اللطيفة
5) نكس : خفض رأسه إلى الأرض على هيئة المهموم
6) قول السائل أفلا نمكث على كتابنا؟ يعني إذا سبق القضاء بمترلة كل نفس من الدارين وكان القضاء أمرا محتوما. فأي فائدة من العمل؟
فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم بما معناه إن الله جعل المقادير غيبا عنا وجعل الأعمال أمارات على ماسبقت بـــه مشـــيئته وأمرنا بـــالعمل فلا بـــد من الامتثال لأمره، إذ الجميع ملك لله، ولا اعتراض على المالك في مايملك، فكل تصرفاته صواب وعدل وحكمة، (لايسأل عما يفعل وهم يسألون) الأنبياء 23

ويقول أهل العلم إنّ هذه الأحاديث قد أفادتنا عدّة إفادات.

فمنها الحثُّ على لزوم الطاعة، ومراقبة الأوقات، خَشْيَةَ أنْ يَكُونَ ذلكَ الوقت آخر العُمُرِ.

ومِنها الزَّجْرُ عن الإعْجَابِ بالأعْمَالْ الصَّالحَةِ، فإنّ العبد لايدري ما يُصِيبُهُ في العاقبة.

ومنها أنه لاينبغي لأحدٍ أن يشهد لأحد بالجنة أو النار، لأنّ علْمَ ذلك عند الله وحده.

ومنها أَنْ لا يغيب عن الإنسان أنّ الفضل في كلّ عمل صالح إنما هو لله.

فقد قال شعيب عليه السلام لقومه: **(ومَا تَوْفِيقيَ إلاَّ باللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وإِلَيْهِ أُنِيبُ)** هود -88.

وقال الله لنبينا عليه الصلاة والسلام **(قُلْ إنَّني هَدَاني رَبِّي إلى صِراطٍ مُسْتَقِمٍ، دِينًا قَيِّمًا مِلَّتَ إبْراهِيمَ حَنِيفًا ومَا كَانَ مِنَ المُشْرِكينَ)** الأنعام 162-163.

وقال له في شأن الأعراب **(يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ)** الحجرات - 17.

وروى مسلم عن أبي عبد الرحمن الحُبُلِيّ(1) أنه سمع عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما يقول: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(قُلُوبُ بَنِي آدَمَ كُلُّهَا بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَحْمَنِ(2) كَقَلْبٍ واحدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وسلم: اللهُمّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قَلْبِي عَلَى طَاعَتِكَ)**.

قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي:

مَنْ سَبَقَتْ له السّعادةُ صرَّف الله قَلْبَهُ إلى خير يَخْتِمُ له به، وعكْسُهُ عكْسُهُ، وحينئذ فالعبرة بالخاتمة.

---

1) أبو عبد الرحمن الحبلي رضي الله عنه تابعي محدث ضريحه بالقيروان شرقي بركة الأغالبة.

2) قوله (بين إصبعين من أصابع الرحمن) هذا الحديث من أحاديث صفات الخالق سبحانه وفيها يقول علماء سلف الأمة: نؤمن بأنها حق وبأن معناها على الوجه الحق لايعلمه إلا الله، وبأن الظاهر منها غير مراد لأن الله سبحانه (ليس كمثله شيء).

أما المتأخرون من علماء الأمة فيؤولون هذا الوصف قائلين معناه أن القلوب واقعة تحت قدرة الله وتصريفه.

وقد سئل الإمام الشافعي رضي الله عنه عن القَدَر فقال:

فَمَــا شِئْتَ كَان وإنْ لم أَشَــأْ   وَمَــاشئتُ إنْ لــم تَشَأْ لم يكُنْ
خلقْــتَ العبادَ على ماعلمْتَ   فــفي العلمِ يجْري الفَتَى والمُسِنْ
علــى ذا مَنَنْتَ وهذا خَذَلْتَ   وهــذا أعنْــتَ وذا لــمْ تُــعِنْ
فمنْهمْ شقيّ ومنهُمْ سعيــدٌ   ومنْهم قبيــحٌ ومنهُــمْ حَسَنْ
ومنْهُمْ غنــيٌّ ومنْهُمْ فقيــرٌ   وكلٌّ بأعْمَــالِهِ مُرْتَــهَنْ

ومن المشاهد المميزة لأهل النار عن غيرهم

إن لأهل النار علامات تميزهم عن غيرهم، ولقد أوضح الله في القرآن العظيم كثيرا من العلامات التي يكون بها أهل النار ممتازين عن غيرهم في هذه الحياة، فذكر سبحــانه أنّ من صفاهم الغَفْلَة المطبقة فقال تعالى: (**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءاذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**) الأعراف –179.

وقال تعالى: (**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**) الروم6.

وقال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**) يونس 7-8.

وذكر سبحــانه أنّ من صفاهم الكُفْرَ والنِّفَاقَ، فقــال تعالى: (**وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيــم**) التوبة –68.

وذكر سبحانه أنّ من صفاهم الشّرْكَ بالله، فقال تعالى: (**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**) المائدة –74.

وذكر أنّ مِنْ صِفاهم أنْ يَفْتِنُوا أهل الإيمان عن دينهم، فقــال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ**) البروج–10.

أرأيتَ سفهًا في القول والفعلِ كسفهِ أهل النّار؟

لقد عَمَدُوا إلى كُلِّ ماوهبَ الله لهم من أدوات الإدراك الإنساني فجلعوها كُلَّهَا معلّقةً بـــظواهِرَ الحياة الدُّنْيَا، حـــتى رضُوا بهذه الحياة واطمأنوا بها، مُعْرِضِينَ عنْ آيات الله المَنْبَثَّةِ في الكوْنِ، وهي تُعْلِنُ عَنْ وحــــــدانية مَنْ أبْدَعَهُ وأتْقَنَهُ، مُتَّخذين لَهُمْ مِنْ دُون الله آلهةً، ثم صدُّوا غيرهم عن سبيلِ الله، فَضَلُّوا وأضَلُّوا.

فماذا عسى أنْ يكُونَ لهم جزاءً على ماعملوا؟

إليك ماأنبأَ الله به ممّا سيكون لهم من الجزاءِ في الآخرةِ.

مايقال لأهل النار عندما يُدفعون إليها؟

يقــــــــول الله تعالى:(**يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا(13)هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ(14)أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ(15)اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُون**) الطور.

وماذا يقول لهم خزنة جهنم عند أبوابها؟

يقــــول الله تعالى: (**وَسِيقَ الَّذِينَ كفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءايات رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ(71)قِيـــلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ(72)**) الزمر.

وماذا يقول أهل جهنم لخزنة جهنم؟

يقـــول الله تعالى(**وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّم ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ(49)قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيـــــكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ(50)**) غافر.

ويقول تعالى : (**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ(77)لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ(78)**) الزخرف .

وماذا يقولُ أهْلُ جهَنَّمَ لأهْلِ الجَنَّةِ؟

يقول الله تعالى : (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنْ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ(50)الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) الأعراف.

من مشاهد عذابهم في جهنم

يتنوع عذابُ أهلِ النارِ إلى مَلَابسَ من نار، ومَطَاعِمَ مِنْ نَارٍ، ومَشَارِبَ مِنْ نارٍ، وفُرُشٍ مِنْ نَارٍ، وأَغْطِيَةٍ مِنْ نَارٍ، وظُلَلٍ مِنْ نَارٍ، حَسْبُنَا اللهُ ونعْمَ الوَكِيل.

يقـول الله تعالى في ثيابهم : (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ الْحَمِيمُ(19)يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ(20)وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ(21) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) الحج.

ويقول تعالى في مطاعِمِهم (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ(43)طَعَامُ الأَثِيمِ(44) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ(45) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ(46)) الدخان.

ويقول تعالى: (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ(62)إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ(63) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ(64)طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ(65)فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ(66)ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ(67)ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ(68)إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءاباءهُمْ ضَالِّينَ(69)فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ(70)) الصافات.

ويقـول تعالى:(لَيْسَ لَهُمْ طعامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ(6)لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ(7)) الغاشية .

ويقـول تعالى: (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً(11)إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا(12)وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا(13)) المزمل .

لقد ورد في القـرآن العظيم ذِكْرٌ لطَعَام أهْلِ النَّار، فجاء في آية أنّ طَعَامَهُمْ الزَّقُّومُ، إذ قال الله تعالى: (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ) الدخان-41.

وجاء في آية أخرى أنّ طعامهم محصورٌ في الضّريع فقط، إذ قال الله تعالى: (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ) الغاشية-6، والضريع هو الشّبْرِقُ، وهو نبات يابس ترعاه الإبل.

وجاء في آية ثالثة أنّ الطعام محصور في الغِسْلِين فقطٌ، وذلك لمن يُؤْتى كتابه بشـماله، فقد قال سبحـانه (**فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ، وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ**)الحاقـة -35-36، والغِسْلِينُ هُو عُصارة صَدِيدِ أهْلِ النّار مما يسيل من قُرُوحُهم.

وقـد تثير هذه الآيات سـؤالا، فَيُقَالُ كَيْفَ يكُونُ طَعَامُهُمْ الزَّقُّومَ مع أنه محصور في الضَّرِيعِ دون غيره؟ وكيف يكون طعامهم من الضّريعِ مع كونه محصورا في الغِسْلِين؟

إن هذا السّؤال أجاب عنه أهلُ العلم بـعدّة أجوبـة ، وأجْودُهَا ، وأدقُّهَا – عند التحقيق– هو الجوابُ الذي اختارَهُ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في تفسيره (أضواء البيان).

وإليك نص هذا الجواب القيم :

(إنّ عذا بَ أهل النّار ألوانٌ، والمُعَذَّبُونَ -فِيهَا هُمْ- طَبَقَاتٌ، فمنهم منْ لا طعامَ لهُ إلاّ من غِسْلِين، ومنهم منْ لا طَعَامَ لَهُ إلاَّ مِنْ ضريعٍ، ومنهم من لاطعام له إلا الزّقّوم، لهذا قـال الله تعالى: (**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ، لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ**) الحجر -43-44 (1).

ثم إن الزَّقُّومَ والضَّرِيعَ والغسْلِينِ ماهي إلا مجرّد أسْمَاءَ لأنواعٍ مِنَ الـطَّعَامِ المُعَذّب لأهْلِ النَّارِ.

أمّا آثارها في من يأكُلُونَهَا فسَيتضحُ شيءٌ منها في بعض المشاهد الآتية .

وأمّا شرابهمْ فقـد جاء في قـول الله تعالى: (**ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ(51) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ(52)فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ(53)فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ(54) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ(2)(55)هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ(56)**) الواقعة.

ويقول تعالى: (**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**) الكهف –29.

ويقول تعالى: (**وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ(15)مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ(16)يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ(17)**) إبراهيم .

---

1) أضواء البيان ج 10 ص 301

2) الهيم : جمع أهيم وهو البعير المصاب بالهيام، وهو داء يصيب الإبل بحمى الأمعاء، فلا تزال تشرب ولا تروى، والمعنى أنهم يشربون من الحميم شربا لاينقطع ، ولاتسكن آلامه.

ويقول تعالى في فُرُشِهِمْ وأغْطيتِهِمْ (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ(40)لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ(41)) الأعراف.

ويقول تعالى في ظُللهم: (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ، لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) الزمر -14-15.

كما يذكر سبحانه وتعالى أهم (فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ(42)وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ(43)لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ(44)إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ(45)وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ(46) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ(47)أَوْ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ(48)) الواقعة .

مشهد اسْتِمْرَار عذابهم وخُلُودهِمْ في النَّار

لقد أنزل الله في القرآن العظيم عِدّة آيات بيّنَ فيها دَوامَ عَذابِهِمْ وخُلُودَهُمْ في جَهنَّمَ.

فمنها قوله: (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا(21)لِلطَّاغِينَ مَآبًا(22)لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا(23)لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا(24)إِلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا(25)جَزَاءً وِفَاقًا(26)إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا(27)وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا(28)وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا(29) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلا عَذَابًا(30)) النبإ.

ومنها قولهُ: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ(36)وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ(37)) فاطر.

ومنها قوله: (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا) طه-74.

ومنها قوله: (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ(74) لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ(75)وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ(76)) الزخرف.

ثم هل الخلود في النار له نهاية كما قال ذلك بعض أهل العلم، على مُقْتضى مافهمُوهُ من بعض الآيات كقول الله تعالى: (**قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إلا مَا شَاءَ اللَّهُ**) الأنعام129 . وقَوْلِهِ سُبحانه (**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّار لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ(106)خَالِدِينَ فِيهَا مَا دامت السّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إلا مَا شَاءَ رَبُّكَ إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ(107)**) هود.

أَوِ المُراد من الخلود في النار الامتدادُ الذي لانهايةَ له أبدا؟

التحقيق الواضح فِي هَذِهِ القــضية حَرَّرَهُ الشــيخ محمد الأمين الشّنْقيطِي رحمه الله في (**أضواء البيان**) وهو أنّ عَذابَ أهْلِ النّارِ عذابٌ لانهَايةَ لَهُ.

ونظرا لما اشتمل عليه ذلك التَّحْقيقُ الفَريدُ، الجَامعُ بين مايهدي إليه القرآن المجيدُ، وبين مايفضي إليه الرّأيُ السّدِيدَ والنّظرُ الرّشيدُ، فإنّي قد نقلتُه بنصّه حرفيّا وجعلته بعد نهاية الكتاب مستقلا عنه، ولم أَنْقُلْهُ هُنَا عِنْدَ الحديث عن الخُلود، وذلك لطُول التّحقيق، ولعمق أبعاده التي هي من مجال المتخصّصين في علوم الدين، إضافة إلى كونه جزْل العبارة بَعيد الإشارة، مُشْتملا عَلى بعضِ التَّعَابيرَ التي هيَ مِنْ مُصطلحـــات علم الأصول، وكل ذلكَ على خلاف ماتوخَيْتُهُ من سُهولة وتقريب في (**مشاهد الناس بعد الموت**) راجيا من الله تعالى أنْ ينْتفعَ بـــه أكْبرُ عدد مُمكِنٍ.

ولهذا فقد رأيت إلحاق ذلك التحقيق القيّم بـــالكتاب، ليطّلع عليه مَنْ يشاءُ ذلك، فإن اهْتَدَى إلى الإلمام بمُحتواهُ، فليتوجّه إلى الله تعالى بمزيد الحمد والشكر، وإن تعذّر عليه شيء منه فلْيسْأل عنه أهلَ الذّكر(1).

هذا وإن ماورد في القرآن من مشاهد العذاب لايدلّ على أنه هو كلُّ شيء ممّا يلاقـــيه أهل النار، لأن الأحاديث النبوية قد بَيَّنَتْ بشيء من التفصيل بعض ماجاء في القـــرآن مُجْمَلاً، وَعَرَضَتْ العديد من جوانب عذابهم السّرمديّ، ومايحيط بهِمْ في جهنّم مِنْ هوْلٍ مريعٍ، وبطْش شَديدٍ، (**يوم يَقُولُ لِجَهَنَّمَ هلِ امْتَلأْت؟ وتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزيدِ**) ق-30.

وإليك مجموعة من الأَحاديث التي تعرّض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لبـــيان مافي تلك البلاغَات الإلَهيةِ الواردة في القرآن، وما بيانه صلى الله عليه وســـلم إلاّ تعريف للأمّة بما أراهُ الله وأوحى به إليه، وأداءٌ لما كلّفهُ ببيانه إذ قال له في القرآن : (**وأَنزَلْنَا إلَيْكَ الذّكْرَ لتُبَيّن للنّاسِ مَا نُزّلَ إلَيْهِمْ ولَعَلّهُمْ يَتفكّرُون**) النحل44.

---

1) انظرْ التحقيق إذا شِئْت في صفحة 218 وما بعدها.

بيانه صلى الله عليه وسلم لخلود أهل النار في جهنم

روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(لوْ قِيلَ لأهْلِ النّار إنَّكُمْ ماكِثُونَ في النَّار عَدَدَ كُلِّ حَصَاة في الدنيا لفرحُوا بهـا. ولَوْ قِيـل لأهْلِ الجَنَّةِ إنَّكُم مَاكِثُونَ عَدَدَ كُلِّ حَصَاةٍ فِي الدُّنْيَا لَحَزِنُوا ولَكِنْ جُعِلَ لَهُمْ الأَبَدُ)** (1).

بيانه صلى الله عليه وسلم لِلَوْنِ نَارِهَا وَشِدَّة حَرِّهَا

أمّا لون نارها فقد روى فيه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قـال: **(أُوقِدَ عَلَى النَّار أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ، ثمّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنـة حَتَّى ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَة حَتَّى اسْوَدَّتْ، فَهْيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ).**

قال الترمذي : حديث أبي هريرة هذا موقوف عليه، ولا أعلم أحـدا رفعه إلى النبيء صلى الله عليه وسلم غير يحي بن أبي بكير عن شَرِيكٍ.

وروى مالك في الموطإ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال (**أَتَرَوْنَهَا حَمْرَاءَ كَنَارِكُم هَذِه؟ لَهْيَ أَشَدُّ سَوَادًا مِنَ القَارِ) (والقَارُ هُوَ الزِفْت).**

ففي الموطإ إنّ هذا الحديث موقوف على أبي هريرة أيضا، ولكن الشيخ الزُّرقاني نقل في شرحه للموطإ عن الشيخ الباجي قولَهُ: مثل هذا لايعلمُهُ أبو هريرة إلاّ بتوقيف، يعني لأنّه إخْبارٌ بمُغَيّبٍ، فحكمه حكم المرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى البَيْهقِي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية **(وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ)** فقال: **(أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَام حَتَّى احْمَرَّتْ، وَأَلفَ عَام حَتَّى ابْيَضَّتْ، وَأَلْفَ عَامٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ، فَهْيَ سَوْدَاءُ مُظلِمَةٌ لايُضِيءُ لَهَبُهَا).**

وروى الطبراني في المعجم الأوسط عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام قال للنبيء صلى الله عليه وسـلم: **(إنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى أَمَرَ بجَهَنَّم فأُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَام حَتَّى ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أَمَرَ فَأُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَام حَتىّ احْمَرَّتْ، ثُمَّ أَمَرَ فَأُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَام**

---

1) قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في شرحه لهذا الحديث : وقد زلت قدم ابن القيم فذهب إلى فناء النار، تمسـكا بمثل خبر البزار عن عبد الله بن عمرو موقوفا عليه، غير مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسـلم وهو (يأتي على النار زمان تخفق أبوابُها، ليس فيها أحد) قال المناوي: وهذا خلل بيّنٌ، فإن المراد ليس فيها أحد من الموحـدين، كما بينته رواية ابن عَدي عن أنس حديثا مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسـلم أنه قـال : (لَيَأْتِيَنَّ على جهنّم يَوْمٌ تُصفق أبوابَهَا. ما فيها من أمّة محمد أحدٌ)

حَتَّى اسْوَدَّتْ، فَهْيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ، لاَيُضِيءُ شَرَرُهَا، وَلاَيَطْفَأُ لَهَبُهَا).

وأمّا شدةُ حرّها فقد روى فيه الامام مالك والبخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**نَارُ بَنِي آدَمَ التي يُوقِدُون، جُزءٌ مِن سَبْعِين جُزْءًا من نارِ جهنم**) فقالوا يارسول الله إن كانت إلا كافية، قال: (**إنّها فُضِّلَتْ عَلَيهْا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءً**).

وفي رواية للبيهقي أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**تَحْسِبُونَ أَنَّ نَارَ جَهَنَّمَ مِثْلُ نَارِكُم هَذِه؟ هِي أَشَدُّ سَوَادًا مِنَ القَارِ، هِي جُزءٌ مِنْ بِضْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءً مِنْهَا**).

بيانه صلى الله عليه وسلم لما تَرْمِي به من شرر

يقول الله سبحانه في الشرر المتطاير من جهنم: (**إنّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالقَصْرِ، كَأَنَّهُ جِمَالاتٌ صُفْرٌ**) والمرسلات -32-33.(1).

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في مارواه الطبراني عن أنس رضي الله عنه: (**لوْ أنَّ غَرْبًا مِنْ جَهَنَّمَ(2) جُعِلَ فِي وَسَطِ الأَرْضِ لآذَى نَتْنُ رِيحِهِ، وَشِدَّةُ حَرِّهِ، مَابَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِب.**

وَلَوْ أنَّ شَرَرَةً مِنْ شَرَرِ جَهَنَّمَ بِالمَشْرِقِ لَوَجَدَ حَرَّهَا مَنْ بِالمَغْرِبِ).

وروى البيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في بيان قول الله تعالى: (**إنّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كالقَصْرِ**) أنّه قال: أمَا إنّي لستُ أقولُ كالشجرة، ولكن كالحصُونِ والمدائنِ.

بيانه صلى الله عليه وسلم لجبالها وأوديتها

روى الإمام أحمد والحاكم عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (في بيان قول الله تعالى:(**سَأُرْهِقُهُ صَعودًا**) المدثر -17، **جَبَلٌ مِنْ نَارٍ، يُكَلَّفُ أَنْ**

---

1) الشرر جمع شرره، وهي القطعة المشتعلة يدفعها ضغط الاحتراق في الهواء، والقصر البناء الضخم العالي، والجمالات: المجموع من الجمال.
إن ذلك الشرر المهُولَ قد وقع تشبيهه في الآية الكريمة بثلاثة تشابيه مما كان يَأْلَفُهُ السامعون ويعرفونه.
الأول : انطلاقه كأنه من القصور الصخمة بعيدًا في أعالي الفضاء .
الثاني : تفرقعه وتفرق أجزائه عند انطلاقه كتوزّع الجمال فرقا فرقا، وأفرادًا أفرادًا.
الثالث : التحول إلى اللون الأصفر عند ابتعاده عن نقطة إنطلاقه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.
2) الغرْبُ : هو الدلو العظيم .

يَصْعَدَهُ، فَإِذَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ذَابَتْ، فَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ، وَإِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَيْهِ ذَابَتْ، فَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ، يَصْعَدُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، ثُمَّ يَهْوِي كَذَلِكَ)

وروى الإمام أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدْري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**وَيْلٌ وادٍ في جَهَنَّمَ، يَهْوِي فِيهِ الكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعرَهُ)**

كما روى هذا الحديث البيهقي، إلا أنه جاء في روايته أنه صلى الله عليه وسلم قال: **(يَهْوِي الكافرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أن يُفرَغَ مِنْ حِسَاب النَّاس)**.

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّ في جهنم لواديًا، تَسْتَعِيذُ جَهَنَّم من ذلك الوَادِي كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعمائة مَرَّةٍ، أُعِدَّ للمُرائينَ مِنْ أمة محمد)** صلى الله عليه وسلم.

وروى البيهقي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(تعَوّذُوا بالله مِنْ جُبِّ الحُزْن، أوْ وادي الحُزْن)** قيل يارسُول الله ومَاجُبُّ الحُزْن، أوْ وادي الحُزْنِ؟ قال: **(وَادٍ في جَهَنَّمَ تَتَعوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كلَّ يوم سبعين مَرَّةً، أعدَّهُ الله للقرّاء المُرَائِينَ)**.

أمّا مَارُوِيَ فِي أَسْمَاء أودية جهنم عن بعض الصحابة موقوفا فمنه ما رواه الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال في تفسير قول الله تعالى: **(فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غيًّا)** مريم 59(1) الغيُّ وادٍ في جهنم، يُقْذفُ فيهِ الذين يتّبعون الشهوات.

ومنه مارواه البيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال في تفسير قول الله تعالى: **(وَجَعَلْنَا بيْنَهمْ مَوْبقًا)** الكهف-51(2) وادٍ من قيْحٍ ودمٍ.

بيانه صلى الله عليه وسلم لعظم أجساد أهل النار

روى الامام أحمد والطبراني عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(يَعْظُمُ أهْلُ النّار في النّار)**.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(مابيَنَ مِنْكَبَيْ الكَافِرِ مَسِيرةُ ثلاثة أيَّامٍ لِلرَّاكِب المُسْرِعِ)**.

---

1) نص الآية من أولها : (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا).
2) نص الآية من أولها : (ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتُم، فدعَوْهُم فلم يستجيبوا لهم، وجعلنا بينهم موبقا).

وروى ابن ماجه عن أبي سعيد الخدْري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ الكَافِرَ لَيَعْظُمُ، حَتَّى أَنَّ ضِرْسَهُ لأَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ، وفَضِيلَةُ جَسَدِهِ عَلَى ضِرْسِهِ كَفَضِيلَةِ جَسَدِ أَحَدِكُمُ عَلَى ضِرْسِهِ**).

وروى الترمذي وأبو عبد الله الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ غِلَظَ جِلْدِ الكَافِرِ إثْنَان وأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الجَبَّار(1) وإنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ وإنّ مَجْلِسَهُ مِن جَهَنَّم مَابَيْنَ مَكَّةَ والمَدِينَة**).

وفي رواية لابن حبّان أنه قال: (**جِلْدُ الكَافِرِ اثْنَانِ وأَرْبَعُون ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الجَبَّارِ، وضِرْسُهُ مِثْلُ أُحُدٍ**).

قال الحافظ عبد العظيم المُنْذِري رحمه الله: وقد ورد أنّ من هذه الأمة من يعظُمُ في النار، كما يعظم فيها الكُفَّارُ، فروى ابن ماجهْ والحاكم وغيرهما من حديث عبد الله بن قيس أنه قال: كنت عند أبي بُرْدَة ذَاتَ ليلة، فدخل علينا الحارثُ بن أُقَيْش رضي الله عنه، فحدّثنا الحارث لَيْلَتَئِذٍ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّ مِنْ أُمّتي مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِشَفَاعتِهِ أَكْثَرُ مِنْ مُضَرَ.**

وإنّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَعْظُم للنَّارِ، حَتَّى يَكُونَ أَحَدَ زَوَايَاهَا).

بيانه صلّى الله عليه وسلم لطعام أهل النار وشرابهم

روى الترمذي والبيهقي عن أبي الدّرداء رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّار الجُوعُ، فَيَعْدِلُ مَاهُم فيه مِنْ العَذَاب، فَيَسْتَغِيثُون، فَيُغَاثُونَ بطَعَامٍ مِنْ ضَرِيعٍ، لايُسْمِنُ ولا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ، فَيَسْتَغِيثُونَ فَيُغَاثُون بطَعَامٍ ذي غُصّةٍ، فَيَذْكُرونَ أَنهم يُجيزُون الغُصَصَ في الدنيا بالشّراب، فَيَسْتَغِيثُون بالشّراب فَيُدْفَعُ إلَيْهم الحَمِيمُ بكَلاَلِيب الحَدِيدِ، فَإِذَا دَنَتْ مِنْ وُجُوههُم شوتْ وُجُوهَهُمْ، فَإذا دخلتْ بُطُونَهُمْ قَطَّعتْ مَافِي بُطُونِهِمْ.**

قال فَيَقُولُونَ ادْعُوا خَزَنَةَ جَهنَمَ، فَيَقُولُون (أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَات؟ قَالُوا بَلَى، قَالُوا فَادْعُوا، وَمَا دُعَاءُ الْكَافرين إلا في ضلال) غافر 50.

---

1) الجبّارُ: قال ابن حبَّانَ هو مَلِكٌ كان باليمن له ذراعٌ معروفُ المقْدار، ونَقل ابن الاثيرْ عنْ القُتيْبي أنه كان تامّ الذّراعِ.

قَالَ: فَيَقُولُون اُدْعُوا مَالكًا(1) فيقولون -لهم- (يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا ربُّكَ) قـــال فَيُجيبَهُمْ (إنَّكُمْ مَاكِثُونَ) الزخرف-77.

قال فيقـــولون اُدْعُوا ربَّكُمْ، فلا أحـــدَ خيرٌ مِنْ ربِّكُمُ، فَيَقُولُون(ربَّنَا غلَبَتْ عليْنَا شقْوتُنَا، وكُنّا قَوْمًا ضالّينَ، ربَّنَا أخرِجْنَا منْها، فإنْ عُدْنَا فإنَّا ظَالِمُونَ) فيُجيبـــهُم (إخْسَؤُوا فِيهَا ولاَ تُكَلِّمُونَ) المؤمنون -107-109.

ثم قال: فعند ذلك يَئِسُوا مِن كل خير، وعند ذلك يَأْخُذُونَ في الزَّفِيرِ وَالشَّهِيق).

وروى أبو عبد الله الحاكم رضي الله عنهما أنه قال في تفسير قول الله تعالى: (طَعَامًا ذَا غُصّةٍ) شوكٌ يُأْخَذُ بالحلْقِ لايدخلُ ولايخرج.

وروى الترمذي والنّسائي وابن ماجهْ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية(إتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَتِهِ، ولاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وأنْتُمْ مُسْلِمُون) آل عمران-102 فقـــال:(لو أنّ قَطْرةً مِنَ الزَّقُّومِ قطرَتْ فِي دَار الدُّنْيَا لأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْل الدنْيا مَعَايشَهُمْ، فَكَيفَ بمن يَكُون طَعَامَهُ؟)

وهذا الحديث تحذير وتفسير لقول الله تعالى (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّوم(62)إنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلـــظَّالِمينَ(63)إنَّهَا شَجَرَةٌ تَخرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيـــم(64)طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوس الــــشَّيَاطِينِ(65)فَإنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ(66)ثُمَّ إنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ(67)ثُمَّ إنَّ مَرْجِعَهُمْ لإلَى الْجَحِيمِ(68)) الصافات.

وروى الإمام أحمد والترمذي والحاكم وابن حبّان عن أبي ســـعيد الخدري أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال في تفســـير (كالمُهْلِ) من قـــول الله تعالى: (إنّ شَجَرَتَ الزّقُّوم طَعَامُ الأَثِيم كالمهْلِ تَغْلِي فِي البُطُون كغَلْيِ الحَميم) الدخان41-43 قال: (كَعِكْرِ الزّيت، فإذا قُرِّب إلى وجهه سَقطَتْ فَرْوَةُ وجْههِ فِيهِ)(2).

وروى الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن أبي أمُامة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم ذكر تفسير قول الله تعالى: (وَيُسْقَى مِنْ مَاء صَدِيدٍ(16)يَتَجرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَان وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ(17)) إبراهيم، فقـــال (وسُقُوا مَاءً حَميمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ) محمد -16 وقـــال: (وَإنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بئسَ الشَّرَابُ) الكهف -29.

---

1) مالك هو الملك الموكل بجهنم

2)الفروة : هي في الأصل جلدة الرأس وما عليها من شعر، وقد استعيرت فوقع إطلاقها على جلدة الوجه، والاستعارة لون من ألوان علم البيان

وروى الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ الحَمِيمَ لَيُصَبُّ على رؤُوسِهِمْ، فَينْفُذُ الحَمِيمُ، حتَىَّ يَخْلُصَ إلى جوفهِ، فيَسْلتَ مافي جوْفِهِ، حتى يَمْرُقَ منْ قدَميْهِ، ثم يُعادُ كما كانَ**).

وفي تفسير قول الله تعالى: (**هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ**) ص-56 وقوله (**لاَ يَذُوقُونَ فِهَا بَرْدًا وَلاَ شَرَابًا إلاَّ حَمِيمًا وغَسَّاقًا**) النبأ -24-25، يروي الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال:(**لوْ أنّ دلْوًا مِنْ غسّاقٍ يُهَرَاقُ في الدنيا لأنتنَ أهْلَ الدّنيا**).

بيانه صلى الله عليه وسلم لبكاء أهل النار

روى ابن ماجهْ وأبو يَعْلَى الموصلي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يُرْسَلُ البُكَاءُ عَلَى أهْلِ النَّارِ، فَيَبْكُونَ حتى تنْقَطِعَ الدّمُوعُ، ثمّ يَبْكُونَ الدَّمَ، حَتىَّ يَصِيرَ في وجُوهِهِمْ كَهيْئةِ الأُخْدُود**(1) **لو أُرْسِلَتْ فيها السُّفُنُ لجَرَتْ**).

وروى الطبراني حديثا موقوفا عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: إن أهل النار يَدْعُونَ مالكا، فلا يجيبهم أربعين عاما، ثم يقول (**إنّكُمْ ماكثُون**)، ثم يَدْعُونَ ربهم، فيقولون (**ربَّنا أَخرِجْنَا مِنْهَا، فإنْ عُدْنَا فإنَّا ظَالِمُونَ، فَلا يُجيبهُمْ مِثْلَ الدُنْيَا، ثُمَّ يَقُولُ إخْسَأُوا فِيهَا، ولا تُكلِّمُونِ**) المؤْمِنُون -107-109.

ثم يَيْأَسُ القوم، فما هو إلا الزَّفِيرُ والشَّهِيقُ، تُشْبِهُ أَصْوَاتُهُمْ أَصْوَاتَ الحَمِيرِ، أَوَّلُهَا شَهِيقٌ وآخِرُهَا زَفِيرٌ.

وَرَوَى أبو عبد الله الحاكم عن عبد الله بن قيس أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّ أهْلَ النّار ليَبْكُون، حتى لوْ أُجْرِيَتِ السُّفُنُ في دُمُوعِهِمْ لَجَرَتْ، وَإِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ الدَّمَ مَكَانَ الدَّمْعِ**).

بيانه صلى الله عليه وسلم لِتَفَاوُتِهمْ في العذاب

لقد وردَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **أَنّ أَهْلَ جَهَنَّمَ لاَيَكُونُونَ في العَذَابِ سَوَاءً، ولكنّهم مُتَفَاوِتُونَ فيه، سواءٌ أكَانُوا منْ غير الخالدين فيها أَمْ كانوا من الخَالِدِينَ.**

---

1) الأخدود : الشق العظيم في الأرض

فقد روى أبو نُعَيْم في الحلية عن أنس بــن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّ اللهَ يُعَذِّبُ المُوَحِّدينَ في جَهنَّمَ بقَدْرِ نُقْصَانِ إيمَانِهِمْ، ثمّ يردُّهُمْ إلى الجنّة خُلُودًا دَائِمًا بإيمَانِهِمْ**).

كما بيّنَ صلى الله عليه وسلم الحالة التي يكون عليها أهْونُ المعذَّبــين في جهنّم، وَذَكَر أَنَّ مَايُلاَقِيهِ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ العَذَابِ الهَيِّنِ يَجْعَلُهُ يَتصَوَّرُ أَنَّهُ لا أحدَ أشدُّ عذابًا منه.

روى البخاري عن النّعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النّارِ عذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ يُوضَعُ في أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مــنْهُمَا دِمَاغُهُ، كما يَغْلِي المَرْجَلُ بالقُمْقُمِ**) (1).

وروى مسلم عن النّعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قــال: (**إنَّ أهْوَنَ أهْلِ النّار عذَابًا مَنْ لهُ نَعْلانِ ، وشِرَاكَــانِ مِنْ نارٍ، يَغْلِي منهُمَا دمَاغُهُ كما يَغْلى المِرْجَلُ، مايرَى أنَّ أحدًا أشدُّ منه عذابا، وإنّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا**) .

وروى الإمام أحمد والبزّار عن أبي ســعيد الخدري رضي الله أن النبيء صلى الله عليه وسلم قــال: (**إنَّ أهْوَنَ أهْلِ النّار عَذَابًا رجُلٌ مُنْتَعِلٌ بــنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دمَاغُهُ معَ أجْزَاءِ العَذَابِ، ومنهم منْ في النّارِ إلى كعْبــيْهِ مع أجْزَاءِ العذَابِ، ومنْهُمْ منْ في النَّار إلى ركْبَتَيْهِ مع أجْزَاءِ العَذَابِ ، ومِنْهُم مَن قَدْ اُغْتُمِرَ**).

وروى مسلم عن سَمُرَةَ بن جُنْدب رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (**منْهم من تأخُذُهُ النّارُ إلى كعْبيْهِ، ومنهم مَن تأْخُذُهُ النّارُ إلى رُكْبَتَيْهِ، ومنهم منْ تأخُذُهُ النّارُ إلى حُجْزَتِهِ، ومنهُمْ منْ تأْخُذُهُ النّارُ إلى عُنُقِهِ، ومنهمْ منْ تأْخُذُه النّار إلى تَرْقُوتِهِ**) (2).

وروى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وســلم قــال: (**يُؤتَى بأنْعمِ أهلِ الدّنيا من أهلِ النّار، فَيُصْبَغُ في النّار صَبْغةً، ثم يقالُ له: يا ابنَ آدمَ هلْ رأيْتَ خيرًا قطُّ؟ فيقول لا والله يارب**).

وأمّا أشَدُّ الناس في جهنم عذابًا فقد تحدَّث عنهم رســول الله صلى الله عليه وســلم، وإليك طائفة ممّن تحدث عنهم من هؤلاء.

فقد روى البخاري ومسلم والإمام أحمد والنّسائي عن عائشة رضي الله عنها أنّ النبيء

---

1) المرجل : الإناء الذي يغلي فيه الماء، سواء أكان من نحاس أو حديد أو غيرهما. وكذلك القمقــم، وهذا التعبــير مشكل، ولذلك جاء في رواية أخرى (كما يغلي المرجل والقمقم).

2) الترقوة: هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق.

صلى الله عليه وسلم قال: (**أشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عند الله يومَ القيامةِ الذين يُضاهُونَ بخَلْقِ الله**).

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أشَدُّ النّاس عذابًا يوم القيامة رجلٌ قَتَلَ نبـــيًّا، أوْ قَتَلَهُ نبيٌّ، أو رجلٌ يُضِلُّ النَّاسَ بِغَيرِ عِلْم، أو مُصَوِّرٌ يُصَوِّرُ التَمَاثِيلَ**).

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أشدُّ النّاس عذابًا يوم القيامة المُصوّرُون يُقَالُ لهُمْ أَحْيُوا مَاخَلَقْتُم**)

وروى الإمام أحمد والبيهقي عن خالد بن الوليد كما روى الحاكم عن عياض بن غَنَمْ وهشام بن حكيم أنهم رضي الله عنهم قالوا أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أشـــدُّ النّاسِ عذَابًا للنّاسِ في الدُّنيَا، أشدُّ النّاسِ عَذَابًا عندَ الله يوم القيامة**).

وروى البخاري ومسلم والإمام أحمد عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يُجاءُ بالرّجلِ يَوْمَ القيَامَةِ، فيُلْقَى في النّار فتَنْدَلِقُ أقْتَابُهُ**(1) **فَيدُورُ بها في النّار، كما يدُور الحمارُ بِرَحَاهُ، فَيُطِيفُ بـــه أهلُ النّار، فيقوُلُون يا فُلانُ ما أصابَكَ؟ ألَمْ تكنْ تأْمُرُنا بالمعروف وتنهانا عن المُنْكَرِ؟ فيقولُ بلى، قـــد كنتُ آمُرُكُمْ بـــالمعروف ولا آتيهِ، وأَنْهاكُمْ عن المُنْكر وآتيهِ**).

وروى الطبراني عن الوليد بن عقبة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قـــال: (**إنَّ نَاسًا مِنْ أهْلِ الجنّةِ، يَطَّلِعُونَ إلى أُنَاسِ مِنْ أهْلِ النَّار فيقُولون، بِمَ دَخَلْتُمْ النَّارَ؟ فـــوالله مادخلنَا الجنّةَ إلاّ بمَا تَعَلَّمْنَا مِنْكُم، فَيَقُولُونَ إنَّا كُنَّا نَقُولُ ولاَنَفْعَلُ**).

ومن المعذَّبِينَ من النّاس من اختاروا لأنفسهم في الدُّنيا نوعًا من العذاب يُسلَّطُ عَلَيْهِمْ في جَهَنَّمَ.

فقد روى البخاري ومسلم والإمام أحمد والتّرمذي والنّسائي وابن ماجهْ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَنْ قـــتَلَ نفْسَهُ بحديدة، فحَديدَتُهُ في يده يَتوَجَّأُ بها في بـــطْنِهِ في نار جهنّم خالدًا مُخَلَّدًا فِيها أبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهْوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، ومَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فقتلَ نفسهُ فهو يتردّى في نار جهنّم، خالدًا مُخلّدًا فيها أبدًا**).

---

1) **أقتابه : أمعاؤه تنفجر من بطنه.**

تحذيره صلى الله عليه وسلم من النّار

روى أبو عبد الله الحاكم عن النّعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم يخطب يقول: (**أنْذَرْتُكُمُ النَّار، أنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، حتّى لوْ أنّ رجُلاً كان بالسُّوق لَسَمِعَهُ منْ مقامي هذا، حتى وقعتْ خَميصَةٌ(1) كانتْ على عاتِقِهِ عند رجْليْهِ**).

وروى مسلم وأبو يعْلَى الموْصِلِي عن أنس رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ رَأَيْتُمْ مَارَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُم كَثِيراً**). قالوا ومارأيْتَ يارسول الله ؟ قال: (**رَأَيْتُ الجَنَّةَ والنَّارَ**).

وروى أبو يعلى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: خَطَبَ النبيء صلى الله عليه وسلّم فقال: (**لاتَنْسَوا العظيمَتَيْنِ الجنّةَ والنّار**) ثمّ بكى، حتى جرى أوْ بَلَّ دُمُوعُهُ جَانبَيْ لِحْيَتِهِ، ثم قال: (**والذي نفسُ محمّد بيده لو تَعْلمُونَ ماأعْلمُ منْ أمْر الآخِرة لمشيْتُمْ إلى الصّعيد(2) ولَحَثَيْتُم على رُؤُوسِكُمُ التُّرَاب**).

وروى الإمامُ أحمد وأبو يعْلى والحاكم عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لوأنَّ مَقْمَعًا (3) من حديدٌ وُضِعَ في الأرض فاجْتَمَعَ له الثَّقلاَنِ(4) ما أقلُّوهُ من الأرض.**

ولو ضُربَ الجبَلُ بمقْمعٍ من حديد كما يُضْربُ أهلُ النّار لَتفَتَّتَ، وعَادَ غُبارًا).

قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي تعليقا على هذا الحديث: فانظر يامسكِينُ إلى هذه الأحْوَال والأهوال، واعلم أنّ الله خلقَ النّار بأهْوَالِهَا، وخلقَ لها أهْلاً، لايزيدُونَ ولاينْقصُونَ، فكيفَ يَلَذُّ عيشُ العَاقل وهو لايدري منْ أيِّ الفريقَيْنِ هو؟.

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَارَأَيْتُ مِثْلَ النَّارَ، نامَ هَارِبُهَا، ولامِثْلَ الجنَّةِ نَامَ طَالبُهَا**).

وروى الطبراني عن كُلَيْب بن حَزْن رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أطْلُبُوا الجَنّة جُهْدَكُمْ، فإنّ الجنّة لاينامُ طَالبُهَا، وإنَّ النّار لاينامُ هاربُهَا، وإنّ الآخرة اليَوْمَ محْفُوفَةٌ بالمكاره، وإنّ الدُّنيا محْفُوفةٌ باللّذّات والشّهَوَاتِ، فَلاَ تُلْهِيَنَّكُم عَنِ الآخِرَة**).

---

1) الخميصة من الملابس المنتشرة سابقا، وهي ثوب معلم بما يشبه القصب.

2) الصعيد : الفناء خارج العمارات

3) المقمع هو أداة للضرب يجلد بها المعاقب.

4) الثقلان : الإنس والجن .

وروى البخاري ومسلم عن عَدِيّ بن حاتم رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إتّقوا النّار**) وأشاحَ(1) ثم قال: (**إتَّقُوا النَّارَ**) ثمّ أعْرضَ وأشَاحَ ثلاثًا، حتّى ظَنَنَّا أنَّهُ يَنْظُرُ إلَيْهَا، ثم قال: (**إتَّقُوا النّار، ولو بِشِقِّ تَمْرة، فمنْ لَمْ يجدْ فبكَلِمَةٍ طيّبةٍ**).

وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: كان أكثرُ دُعاء النبيء صلى الله عليه وسلّم (**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**) البقرة-199.

بيانه صلى الله عليه وسلم لشفاعته في ضِعَافِ الإيمان

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إذَا كانَ يَومُ القِيَامَةِ شَفَعْتُ فقلتُ ياربّ أَدْخِلِ الجنَّةِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ مِنْ إيمان، فيُدْخَلُون، ثم يقول: أدخلِ الجنّة من كانَ في قلبهِ أدْنَى شَيءٍ**).

بيانه صلى الله عليه وسلم لخروج الموحّدين من النّار

روى الإمام أحمد والتّرمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يُعَذَّبُ ناسٌ منْ أهلِ التوحيد، فَيُطرَحُونَ في النّار، حتى يَكُونُوا فِيهَا حُمَمًا، ثم تُدركُهُم الرحمةُ فَيُخرَجُون ويُطْرحُونَ على أبْوابِ الجنّةِ، فَيَنْبُتُونَ كما يَنْبتُ الغُثَاءُ في حَمَالَةَ السّيْلِ، ثمّ يُدْخَلُونَ الجنّة**).

وروى البخاري والإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يُخرِجُ اللهُ قومًا مِنَ النَّارِ فيُدْخِلُهُمُ الجَنَّة**).

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ قَومٌ بعْدَمَا احترقُوا، فيُدْخَلُونَ الجنّة فَيُسَمِّيهِمْ أهْلُ الجَنَّة الجَهَنّمِيِّينَ**).

وروى عَبْدُ بن حُمَيْدٍ عِنْ أَبي سَعيد الخدْري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنِّ اللهَ يُخرِجُ أقْوَامًا من النّار بعْدَمَا لايَبْقَى منْهُمْ فيهَا إلاّ الوُجُوه، فيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ**).

---

1) أشاح : أعرض في حذر من أمر مخوف .

بيانه صلى الله عليه وسلم لرحمة الله ببعض أهل النار

روى البَيْهَقِي في شُعَبِ الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أَمَرَ الله عزَّ وجلَّ بعبد إلى النّار، فلمَّا وقَفَ على شافَتِهَا التفتَ فقال: أمَا والله يارَبّ إن كانَ ظَنّي بكَ لحسنٌ، فقال الله رُدُّوهُ فأنَا عنْدَ ظنِّ عبْدي بي فغفرَ لهُ**).

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّ رجُلَيْنِ مِمَّنْ دخل النّار اشتدَّ صِيَاحُهُمَا، فقال الربُّ تبارك وتعالى، أخْرجُوهُمَا، فلمَّا أخرجُوهُمَا قال لهما: لأيّ شيء اشتدّ صِيَاحُكُمَا؟ قالا فعَلْنَا ذلكَ لِتَرْحَمَنَا، قال رحْمتِي لكُمَا أنْ تَنْطَلقَا فَتُلْقِيَا أنفُسَكُمَا حيثُ كنتُمَا من النّار.**

فيَنْطلقان، فَيُلْقِي أحدهُما نفسهُ، فيَجْعَلُهَا عليه بردًا وسلامًا، ويقومُ الآخر فَلاَ يُلْقِي نفْسَهُ، فيقولُ له الربُّ مامنعَكَ أنْ تُلْقِي نَفْسَكَ كما أَلْقَى صاحبُك؟ فيقول: يارَبّ إنّي لَأَرْجُو أنْ لاتُعِيدَنِي فيهَا بعْدَمَا أخْرَجْتَني.

فيقول له الربّ: لك مارجوْتَ، فَيُدْخَلاَن الجَنَّة جَمِيعًا برَحمة الله).

وروى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يُخْرَجُ من النّار أربعةٌ، فيُعْرَضُون على الله، فَيَلْتَفِتُ إِلَيه أحدُهُمْ، فيقولُ أَيْ ربِّ إذْ أخْرجْتني منْها لاتُعدْنِي فيها، فيُنْجيهِ الله منها**).

وروى مسلم والإمام أحمد والترمذي عن أبي ذرّ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّي لأَعْرِفُ آخرَ أهْلِ النّار خُرُوجًا من النّار، وآخرَ أَهْلَ الجَنَة دُخُولاً إلى الجنة.**

رجلٌ يُؤْتى به يوم القيامة: فيُقالُ: أَعْرِضُوا عليه صِغَارَ ذُنُوبه، وارفعُوا عنهُ كِبارهَا، فيقال له عَمِلْتَ يوم كَذَا وكَذَا: كَذَا وكَذَا، وعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وكَذَا: كَذَا وكَذَا، فيقُولُ نعمْ، لاَيَسْتَطِيعُ أنْ يُنْكِرَ، وهو مُشْفِقٌ مِنْ كِبَار ذُنُوبه أنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ.

فيقالُ لهُ: فإنّ لك مَكَانَ كُلِّ سيّئةٍ حَسَنَةً.

فيقُول: يَارَبّ عَمِلْتُ أشْياء لا أرَاهَا هَاهُنَا).

وروى مسلم والامام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**آخِرُ مَنْ يدْخُلُ الجَنَّةَ رجُلٌ يَمْشي على الصراط، فهو يَمْشي مرّةً، ويكْبُو مرّةً، وتسْفَعُهُ النّارُ مرّةً، فإذا جاوزهَا التفَتَ إليها فقال: تبَاركَ الذي نجّاني منْكَ، لقد**

أعطاني اللهُ شيْئا ما أعطاهُ أحدًا من الأوّلين والآخِرين.

فَتُرْفَعُ له شجرةٌ، فيقول أي ربّ أدْنِني منْ هذه الشَّجرة، فَلِأَسْتَظِلّ بظِلّهَا، وأشرَبَ منْ مائهَا.

فيقول اللهُ: ياابن آدم، لَعَلّي إنْ أعْطيْتُكها سَأَلْتَني غيْرَهَا.

فيقول: لا يارِبّ، ويُعَاهِدُه أَنْ لا يَسْألهُ غَيْرَهَا، وربُّهُ يَعْذُرُهُ، لأَنَّهُ يرى ما لا صبْرَ له عليه، فيُدْنيهِ منها، فيستظلّ بظلّهَا، ويشْربُ من مائها.

ثمّ تُرْفعُ له شجَرةٌ أخرى، هي أحســنُ من الأُولى، فَيَقُولُ: أيْ ربّ أدْنني من هذه الشَّجرة لِأَشْرَبَ من مائها، وأستَظلّ بظلّهَا، لا أسْأَلُكَ غَيْرَهَا.

فيقول: ياابنَ آدَمَ، ألمْ تُعَاهِدْني أنْ لا تَسْأَلني غيْرهَا؟

ويقول: لَعَلّي إنْ أَدْنَيْتُكَ منْهَا تَسْأَلُني غَيْرَهَا.

فَيُعَاهِدُهُ أنْ لا يسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَربُّهُ يَعْذرُهُ، لأنه يرى ما لاصبْرَ له عليه. فَيُدْنيهِ منها، فَيَسْتَظِلُّ بظِلّهَا، وَيَشْربُ مِنْ مَائِهَا.

ثمَّ تُرْفَعِ له شَجَرةٌ عِنْدَ بَاب الجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِني مِنْ هَذه، فَلِأَسْتَظِلّ بِظِلّهَا وأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لا أَسْألكَ غَيْرَهَا.

فيقول: ياابنَ آدم، ألمْ تُعاهِدْنِي أنْ لاتَسْأَلني غَيْرَهَا؟

قال بلى يارِبّ، أدنِي من هذه لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَربُّه يَعْذُرُهُ، لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَصَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا، سَمِعَ أصْواتَ أهلَ الجَنَّةِ.

فيقُولُ: أيْ رَبّ أَدْخَلْنيهَا.

فيقول: ياابْنَ آدم، مايَصْرِيني (1) مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟

فَيقول: أَيْ رَبِّ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وأنتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟

فيقول: إنّي لاَ أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، ولَكِنّي عَلَى مَاأَشاءُ قَدِيرٌ).

مشاهد الجنة وصفات أهلها وماهم فيها من ألوان النعيم

لقد دعانا الله في هذه الدنيا إلى الجنة، وسَمَّاهَا دَار السّلام، فقال سبحانه (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ ويَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يونس –25.

---

1) الصري هو القطع : أي ماالذي يقطع عني أسئلتك ؟ والمعنى أي شيء يرضيك، وينهي أسئلتك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟

وأمرَنا بالمُسارعة إليْهَا قائلا: (**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(133)الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(134)**) آل عمران.

وأعلن سبحانه أن هذه الدنيا قد جعلها ميدانا يتسابق فيه أصْحَابُ الهِمَمِ العالية، والمقاصد الغالية، ليفوزوا من جوائز فضله بما يتجاوز أبعاد الخيال فقال تعالى:(**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**)الحديد-20.

كما رسم لنا ميدان السّباق وحُدُودَه، فإذا الميدانُ هُوَ طاعةُ الله ورسوله، وإذا ماوراءَ سِيَاجِ الحدود هِيَ مَهَالِكُ المعاصي ومَحَارِقُ جهنم، فقال تعالى: (**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(13)وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ(14)**) النساء.

ولقد أعلنَ الله عن نماذجَ منْ ألوان هذه الطاعة وعما أعَدَّ من الجزاء عنها فقال: (**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(30)نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ(31)نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ(32)**) فصلت.

وقال: (**وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ(31)هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ(32)مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَانَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ(33)ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ(34)لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ(35)**) ق.

وقال: (**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ(51)فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(52)يَلْبَسُونَ مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ(53) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ(54) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ(55)لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا المَوْتَ إِلاَّ المَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الجَحِيمِ(56)فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ(57)فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(58)فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ(59)**) الدخان.

وأعلن الله في التوراة والإنجيل والقرآن عن أعلى مراتب الطاعة وأعزّها وأغلاها، فذكر أنّها هي بذْلُ النفس والمال في سبيل الله، وبَشَّرَ سبحانه الباذلين لهما قائلا: (**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا**

عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاة وَالإنجِيل وَالْقُرْءان وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) التوبة 112.

كلّ تلك النماذج من ألوان الطاعة قد جعلها الله تعالى ميدانا مفتوحــا لكل المؤمنين، ليتسابقوا فيه فيفوزوا برضاه، (**أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**) آل عمران –162.

ولما كان مِنَّا مَنْ هُمْ فَائِزُونَ بِقَصَبِ السَّبْقَ، ومِنَّا مَنْ هُمْ دُونَهُمْ في هذا السَّبــاق جعل الله من كانوا في الطليعة أعْلى مَنزلةَ عندهُ منَ اللاّحقين، ولو أنّ للمَسْبوقينَ أيضا لَشأْنًا عَظِيمًا، ولبيان ما أعدّ الله لكل من الفريقــين يقــول سبحــانه: (**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ(10)أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ(11)فِي جَنَّات النَّعِيم(12)ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ(13)وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِيــنَ(14)عَلَى سُرُر مَوْضُونَةٍ(15)مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ(16)يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ(17)بِأَكْوَاب وَأَبَارِيـــــــــــــقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِين(18)لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ(19)وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ(20)وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ(21)وَحُورٌ عِينٌ(22)كَأَمْثَال الــلُّؤْلُؤ الْمَكْنُون(23) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(24)لا يَسْمَعُونَ فِيــهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيــــمًا(25)إلا قِيـــلاً سَلامًا سَلامًا(26)وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ(27)فِي سِدْرٍ مَخْضُود(28)وَطَلْحٍ مَنْضُود(29)وَظِلٍّ مَمْدُود(30)وَمَاء مَسْكُوب(31)وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ(32)لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ(33)وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ(34)إِنَّا أَنــشَأْنَاهُنَّ إِنــــشَاءً(35)فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا(36)عُرُبًا أَتْرَابًا(37)لأَصْحَابِ الْيَمِينِ(38)ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ(39)وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ(40)**) الواقعة.

مشاهد ما في القرآن من أوصاف نعيم الجنة

بَعْضُ هذه الأوصاف قــد ورد مُدْرَجًا في أوصاف الملذّات الغامرة لأهل الجنة، ولكن منها ماورد مستقلاً بذاته.

فَمِمَّا كان مستقلا أو شبــيها بالمستقــل ماورد في قــول الله تعالى: (**وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ(31)هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّاب حَفِيظٍ(32)مَنْ خَشِــيَ الرَّحْمَانَ بِالْغَيْب وَجَاءَ بِقَلْب مُنِيبٍ(33)ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُود(34)لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيــهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ(35)**) ق.

وفي قوله (**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) الزخرف 71

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ(8)لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ(9)فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(10)لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً(11)فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ(12)فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ(13)وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ(14)وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ(15)وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ(16)) الغاشية.

كما وردت أوصاف النعيم في قول الله تعالى(**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا**) الرعد-35.

وفي قوله (**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ**) محمد -16.

وفي قوله (**جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَانُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا**(61)**لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**(62)) مريم.

وجاء في سورة الرحمن عَرْضٌ رائع لمشاهدَ عاليةٍ ممّا أعَدَّ الله من لَطَائِفِ النَّعِيمِ لِكُلِّ مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهوَى، فِي هَذِهِ الحَيَاة الدنيا.

فلقد كان مافي هذه السورة عَرْضًا لأربعة عشر لوْنًا من ألوان النّعيم، ذكرها الله موزّعة على أربع جنّات، سبعةٌ من تلك الألوان لما في الجنّتين العُلْيَيَيْن، وسبعةٌ لما في اللّتين دونهما،فقال تعالى: (**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه جنّتَان**) وأَتْبَعَ ذِكْرَهُمَا ببيان ما فيهما من لطائف التكريم.

وبَعْدَ ذَلك أَتَى على ذكر جنّتين هما دون الأُولَيَيْن بقوله: (**ومن دونهما جنّتان**) وأتْبعَ ذِكْرَهُمَا ببيان مافيهما مِنْ مَلَذَّات النّعيم، فَاقْرَأْسورة الرحمن إذا شِئْتَ، فإنّكَ سَتَرى مَا شَاءَ الله مَن التَّرَف البَاذِخ الّذِي أعدّهُ اللهُ لِأَهْلِ الجِنَان.

وحَذَارِ أنْ يذْهبَ بك الظنُّ إلى أنّ تلك المُحتويات قد أحاطتْ بكلّ ما في الجنان الأربع من مواهب الفضل الإلهي العظيم، لأنّ الله تعالى يَقُولُ في القرآن: (**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**)السجدة -17، ولقوله سبحانه في الحديث القدسي (**أعْدَدْتُ لعبادي الصّالحين ما لا عَيْنٌ رأَتْ، ولا أُذْنٌ سَمِعَتْ، وَلاَخَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**) رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد، والنسائي وابن ماجهْ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

مشهد استقبال أهل الجنة بأفواج البشائر

يقـــــول الله تعالى: (**هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ، جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ**) ص -48.

(**وَسِيقَ الَّذِيــنَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**) الزمر70.

(**وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ**) إبراهيم -25.

(**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيــهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيــهَا حَرِيرٌ**) فاطر -33.

(**يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ(21)خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ(22)**) التوبة.

(**بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِيــنَ فِيــــهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم**) الحديد -12.

ويزيدهم الله سبحانه تشريفًا وتعريفًا فيقول:

(**يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ(68)الَّذِيـــــنَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ(69)ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ(70)يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(71)**) الزخرف.

وليس هذا الفيضُ العظيم من طرائف التكريم، مقـــصوراً على عبـــاد الله الصالحين وحْدهُمْ دون أهْليهم.

بل إنّ فَضْلَهُ سبحانه يغْمرُ أهْليهمْ معهم أيضا، فقد قال تعالى: (**جَنَّاتُ عَدن يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءابَآئِهِم وَأَزْوَاجِهِم وَذُرِّيَّاتِهِم وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُون عَلَيْهِمً مِّن كُلِّ بَابٍ(23)سَلام عَلَيْكُم بِمَا صَبَرتُم فَنِعمَ عُقْبَى الدَّار(24)**) الرعد.

وقال تعالى: (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْء**) والطور -19 .

كَمَا قال: (**إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ(55)هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ**

عَلَى الأرائِكِ مُتَّكِئُونَ(56)لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ(57)سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ(58)) يس.

وقال: (**وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا(12)مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا(13)وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً(14)وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (15) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا(16)وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً(17)عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً(18)وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثُورًا(19)وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا(20)عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا(21)إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا(22))** الإنسان.

إنّ أقْدرَ النّاس على تصوّر ماوراء الواقع في الحياة الدنيا وأعظمهم سَعَةً في أُفق الخيال، لايستطيع أن يرقى بخياله إلى تصَوُّر ما أعدّ الله لعباده الصالحين، لأنّ الأمر أعظمُ من كل ذلك فهو كما قال الله تعالى في القرآن العظيم: (**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) السجدة–17.

وكما قال تعالى في الحديث القدسي: (**أعْددْتُ لعبادي الصّالحين ما لا عيْنٌ رأتْ ولا أذنٌ سَمِعَتْ، ولاخَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

ولكنّ هذا النعيم العجيب المكْنون، والجزاء العظيم المخْزون قد جعله الله متوقّفًا على التزامهم وقيامِهِمْ بأعبَاء ماكلّفهمْ به في الحياة الدنيا، ولاسيّما عند مُجاهة أعباء المَكاره.

وقد أعلن الله عن هذا الشرط بقوله: (**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**) البقرة 212.

وبقوله (**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِين**) آل عمران –142.

فما كان منهم إلا أن (**قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**) البقرة 284.

ولما صَدَقُوا ماعَاهدُوا الله عَليْهِ، وجدُوا مَاعَمِلُوا حَاضرًا، فاستُقبلُوا بمَا استَقْبلُوا به مِنَ

اللَّطَائِفِ، ومِنْ بذَخِ النَّعِيمِ الوَارِف، فقــدّرُوا وعَظّمُوا فضْلِ الله عليهم في كلّ ذلك (**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**) الأعراف -42.

(**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ(34)الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ(35)**) فاطر.

(**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**) الزمر -71.

مشاهد الجنة ونعيمها

إنّ جميعَ لغَات البشر على كثْرتها، وعَلى سَعَتِهَا لاتتَّسِعُ أبدًا لرَسْمِ الصّورة الحقيقــية للجنة ونعيمها.

ذلك لأن الوصفَ لكل ما هو غائب عن مشاهدة الإنسان لايتيسّرُ إلا بــذكر مَايُشْبهُ ذلك الغائبَ، حتى يكُونَ الوصْفُ صُورةً مُمَاثلةً، أو قريبةً مما هو مخْزونٌ في الذهن من الأشياء التي عرفها الإنسان في حياته، وبذلك يقاسُ الغائبُ على الحاضر.

ولَمَّا كانَتِ الجنةُ لَمْ يشْهد الإنســانُ مثيلاً لها، أو قريبــا منها في الحياة الدنيا، كان وَصْفُهَا- على الصورة الحقيقية - وصْفًا بعيد المنال، ولو في ما يتّسعُ له الخيالُ.

ومن أجل استحالة وصفها على حقيقتها قال الله تعالى في الحديث القدسي: (**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الـــــصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذْنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**) رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال الله سبحانه في القرآن العظيم: (**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) السجدة -17.

ومع هذا البيان الإلهي لقَدْ فُتِحَتْ لنَا في الدُّنيَا نَافذةٌ على عَالمِ الغيب لنشهد منها جانبا من الجنة، ومن مُحْتَوَيَاتِهَا، وذلك في ما ورد عن الله ورســوله مذكورًا بــنفس الألفاظ التي نَسْتَعْمِلُهَا في وصف مانعرفُ من أشياء في هذه الحياة، ولو أنّنا نعتقدُ أنّ الأوصاف الواردة عن الله ورسوله ماهي إلا من نوع التّقريب إلى ذهن الإنســان وإلى تصوراته، أمّا الموصوفات ذاتها فلا يعلم حقائقها إلا الله سبحانه.

ومن هنا لا ينبغي أن نعتقد أنّ ماجاء في القرآن أو الحديث من أوصاف الجنة ونعيمها هو نفس ماعندنا في الحياة الدنيا، كقـــــول الله تعالى (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ(8)لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ(9)فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(10)لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً(11)فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ(12)فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ(13)وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ(14)وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ(15)وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ(16)**) الغاشية.

وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**ألاَ هَلْ مِنْ مُشَمِّرٍ لِلجَنَّةِ؟ فَإِنَّ الجَنَّةَ لاَخَطَرَ لَهَا(1)، هِي وربِّ الكَعْبَة نُورٌ يَتلأْلأُ، وَرَيْحَانَةٌ تَهتَزُّ، وقَصْرٌ مَشِيدٌ، ونَهْرٌ مُطَّرِدٌ، وثَمَرةٌ نَضِيجَةٌ وزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ، ومُقَامٌ فِي أَبَدٍ، فِي دَارٍ سَلِيمَةٍ، وفَاكِهَةٍ، وخُضْرَةٍ، وحَبَرَةٍ(2) ونِعْمةٍ، في جنّةٍ عاليةٍ بَهيّةٍ(3)**).

قالوا: نَعَمْ يارسول الله نحن المُشَمِّرُونَ لَهَا.

قال صلى الله عليه وسلم : (**قولوا إنْ شاءَ اللهُ**)

فقال القوم إن شاء الله.

رواه ابن مَاجَهْ وابن حِبَّان في صحيحه والبَزّار والبيهقي جميعهم عن أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ رضي الله عنه.

وإذا كان نعيمُ الجنّة قد ذكرهُ الله ورسوله مصوّرًا بصورة النّعيم المعروف للبشر في الدنيا، فإنّ ما بَيْنَ النَّعِيمَيْنِ مِن فَرْقٍ في القيمة والإعتبار لَهْوَ أبعدُ مما بين السّماء والأرض.

ولقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الحقيقة في كلمة مُختصرة جدًّا فقال: (**ليسَ في الجنّة شيءٌ ممّا في الدّنْيا إلاّ الأسْماءُ**) رواه المقْدِسِيُّ بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والتزاما منه صلى الله عليه وسلم بمهامّ الرسالة كان يَعْمِدُ إلى مَا أَوْحَي الله إليه من شؤون الجنّة فيتولاّهُ بالبيان، ويَعْمِدُ إلى ماأراهُ الله منها فيتولاّهُ بالبلاغ.

---

1) **لاخطر لها : خطر الشيء هو مايماثله ويعادله، ولايقال إلا في الشيء الذي له قدر ومزية ، أي أن الجنة لامثيل لها.**
2) **حبرة : الحبرة هي السرور، وسعة العيش.**
3) **بهية : رفيعة القدر .**

بيانه صلى الله عليه وسلم لما ينتشرُ من روائح الجنة

لم يَعْهَد البَشَرُ في الدنيا أن أَيَّ طِيب ينتشِرُ عَلَى مِقْدَار مايقْطعُ الإنسانُ من مسافةٍ تُقَدّرُ بألف عامٍ، أو خمسمائةِ عَامٍ، أو مِائَةِ عامٍ، أوْ أقَلَّ من ذلك.

ولكنّ روائح طيب الجنة تنتشرُ خَارجَ الجَنَّة، على مِقْدار هذه الأبعَادِ كُلّهَا.

روى الطبراني عن جابر رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**ريحُ الجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسيرَةِ ألفِ عامٍ، والله لايجدُهَا عاقٌّ ولا قَاطِعُ رحمٍ**).

وروى ابن حبّان عن أبي بكْرة الثقفي رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**منْ قَتَلَ نفْسًا مُعَاهَدَةً بــــغير حَقِّهَا لم يَرَحْ رَائِحَةَ الجَنَّة، وإنّ ريحَ الجنة ليُوجَدُ مِنْ مَسيرَةِ خَمْسمِائَةِ عَامٍ**).

وفي رواية لابن حبّان (**وإنَّ رِيحَ الجَنّة ليُوجدُ مِنْ مَسيرةِ مِائَةِ عَامٍ**).

وروى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**منْ قتَلَ مُعاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الجَنَّة وإنَّ ريحَهَا ليُوجدُ منْ مســيرة أربــعينَ عامًا**).

ولِبَيَان السبب في اختلاف هذه المقادير لامتداد ريحِ الجَنَّة يقول بعضُ أهل العلم: إنّهُ لا تدافُعَ بين هذه الأحـــاديث، وذلك لاختلاف أحْوال النّاس بما كان لهمْ منْ أعْمَال في الدّنيا، فمنْهُمْ منْ لايَشُمُّ رَائِحَة الجنّة إلاّ عند الإقــتراب منها، ومنهم من يَشُمُّهَا وهو في مَوْقِعٍ بَعِيدٍ، ومِنهم من يشُمّها وهو في موقعٍ أبْعدَ.

ولايخفى أنّ التَّفَاضُلَ بين العباد قــائمٌ على حِكَمٍ إلهيَّةٍ في كلّ شــيء (**وللآخِرَةُ أكْبَرُ دَرَجَاتٍ، وأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**) الإسراء – 21.

بيانه صلى الله عليه وسلم لما للجنة من أبواب

أَمَّا كَوْنُ الجنة لها أبــوابٌ فتلك حَقِيقَةٌ أَثْبَتَهَا القُرْآنُ فِي قَول الله تعالى: (**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**) الزمر 70.

وأمّا عدد تلك الأبواب وأسْمَاؤُهَا فهذا هو مابَيَّنَهُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم.

فمن ذلك مارواه مسلم عن عمر بـــن الخطاب رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَامِنْكُمْ منْ أَحَدٍ يَتوَضَّأُ، فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبغُ الوُضُوء ثم يقول: أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وأَشْهدُ أنَّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، إلاّ فتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الــثَّمَانيَة، يَدْخُل مِن أيِّهَا شَاءَ**).

ومن ذلك مارواه البخاري عن سَهْـــل بن سَعْدٍ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال:(**في الجنّة ثمانيةُ أبواب، فيها بابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ، لا يَدْخُلُهُ إلاّ الصَّائِمُونَ**).

وروى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ في الجنة بابا يُقالُ له الرَّيَّانُ، يدخُلُ منه الصّائمون يوم القيامة، لايَدْخُلُ مِنْه أحـــد غيْرُهُمْ يقَالُ أيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، فيَدْخُلُونَ مِنْهُ، فإذَا دَخلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُل مِنْهُ أَحَدٌ**).

وروى الترمذي وابن ماجهْ عن سهل بن سعد أن النبيء صلى الله عليه قال: (**فِي الجَنَّةِ بَابٌ يُدْعَى الرَّيّانَ، يُدْعَى لَهُ الصَّائِمُونَ، فَمَنْ كَانَ مِنَ الصَّائِمِينَ دَخَلَهُ، وَمَنْ دَخلَهُ لايَظْمَأُ أَبَدًا**).

وروى الطّبراني في المُعجم الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وســـلم قـــال: (**إنّ في الجنّةِ بَابًا يقالُ لهُ الضُّحَى فإذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ نَادَى مُنادٍ أَيْنَ اللَّذِينَ كَانُوا يُديمُونَ على صَلاَة الضُّحَى؟ هذَا بابُكُمْ، فادْخُلُوه برحْمَةِ الله**).

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وســـلم قال: (**مَنْ أنْفقَ زوْجيْنِ في سَبيلِ الله نُودِي إلىَ الجَنَّة يَاعَبْدَ الله هَذَا خَيْرٌ**(1).

فَمَنْ كَان من أهْلِ الصَّلاَة دُعي من باب الصّلاة، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَاد دُعِيَ مِنْ بَاب الجِهَاد،وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْل الصَّدَقَةِ دُعِي مِنْ بَاب الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الــصِّيَامِ دُعِي مِنْ بَاب الرَّيَان.

فقال أَبُو بَكْر: يَارَسُول الله، مَاعَلَى أَحَدٍ يُدْعَي مِنْ هَذِه الأَبْوَاب مِنْ ضَرُورَة، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ هَؤُلاَءِ الأَبْوَاب؟ قَالَ نَعَمْ، وأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ)

---

1) ذكر القرطبي رحمه الله في التذكرة بيانا لمعنى (زوجين) عن الحسن البصري أنه قـــال ديناران، درهمان، ثوبـــان، نعلان.

وعن الباجي أنه قال يحتمل أن يكون المراد هو العمل من صلاتين أو صام يومين.

ثم قال القرطبي وأولى التفاسير ماروي عنِ النبيء صلى الله عليه وسلم فقد ذكر الأجري عن أبي ذرّ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : (مَنْ أنْفقَ زوجين في سبيل الله ابتدرتْهُ حَجَبَةُ الجَنَّة، ثم قال صلى الله عليه وســـلم: بعيرين، درهمين، قوسين، نعلين).

بيانه صلى الله عليه وسلم لتراب الجنة وبنائها

روى البزّار عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قـــال: **(خَلَقَ اللهُ تَبَارِكَ وتَعَالَى الجـــنّة لَبِنَةً مِنْ ذَهَبٍ، ولَبِنَةً مِنْ فِضَّةٍ، وَمِلاَطَهَا المِسْكَ، ثُمَّ قَالَ لَهَا تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ المؤْمِنُونَ.**

فَقالت الملائكة: طُوبَى لكِ منْ مَنْزِلِ المُلُوك).

وروى الطّبراني عن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما أنه قال: سُئِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم عن الجنّة فقـــال: **(مَنْ يدْخُلُ الجنّة يحْيا فيها لا يموتُ، ويَنْعَمُ فيها لايَبْأَسُ، لا تبْلَى ثِيَابُهُ، ولا يَفْنَى شبَابُهُ).**

قيل يارسول الله ما بناؤُها؟ قـــال: **(لَبنَةٌ منْ ذَهَبٍ، ولَبِنَةٌ منْ فِضَّةٍ، ومِلاطُهَا المِسْكُ، وتُرابُهَا الزَّعْفَرانُ، وحَصْباؤُهَا اللّؤْلُؤُ واليَاقُوتُ).**

وروى الإمام أحمد والترمذي وابن حبّان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلنا يارســـول الله حـــدّثْنَا عن الجنّة مَابنَاؤُهَا؟ قـــال: **(لَبنَةُ ذَهَبٍ، لبنَةُ فِضّةٍ، ومِلاطُهَا المِسْكُ، وحَصْباؤُهَا اللّؤْلؤُ واليَاقُوتُ، وتُرابُهَا الزَّعْفَرانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا ينْعَمُ ولايَبْأسُ، ويخْلُدُ لايَموتُ، لاتَبْلَى ثِيَابُهُ، ولايَفْنَى شبَابُهُ).**

بيانه صلى الله عليه وسلم لما في الجنة من دَرَجَات وَمَسَاكِنَ

أمّا درجاتُ الجنة فقد روى فيها البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(إنَّ في الجنّة مائَةَ دَرَجةٍ، أعدَّهَا الله للمُجَاهدِينَ في سبـــيل الله، مابـــيْنَ الدّرَجَتَيْنِ كما بيْنَ السّماء والأرْضِ.**

فإذا ســـألتُمُ الله فسَلُوهُ الفرْدوسَ، فإنّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةَ(1) وأعْلى الجنّة، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرحمن، ومِنْهُ تَتَفَجَّرُ أنْهارُ الجَنَّةِ).

وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وســـلم قال: **(إنَّ في الجَنَّةِ مائةَ دَرَجَةٍ لو أنَّ العالمين اجْتَمَعُوا في إحْداهُنَّ لوَسِعَتْهُمْ).**

---

1) أوسط الجنة : يعني خيارها

وروى الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن عُبَادَة بن الصّامت رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**فِي الجنّة مائةُ درجةٍ، مابيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كما بيْنَ السّماء والأرض، والفِرْدَوْسُ أَعْلاَهَا دَرَجَةً، وَمِنْهَا تَفجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّة الأَرْبَعَةِ، وَمِنْ فَوْقِهَا يَكُونُ العَرْشُ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ الله فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ**).

وأمّا مساكنُ أَهْلِ الجنّة فقد روى فيها الإمام أحمد والبيهقي وابن حبّان عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّ في الجنّة غُرَفًا يُرى ظَاهِرُهَا مِنْ باطنهَا، وباطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَ أَلاَنَ الكَلاَمَ، وَتَابَعَ الصِّيَام، وصَلَّى بِاللّيْلِ والنَّاسُ نِيَامٌ**).

وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ في الجَنَّة لعُمُدًا من ياقُوت، عليها غُرفٌ منْ زبَرْجدٍ، لها أبْوابٌ مفتّحةٌ، تُضيءُ كما يُضيءُ الكوكبُ الدُّرِّيُّ، يَسْكُنُهَا المتحابُّونَ في الله تعالى، والمُتَجالسُون في الله تعالى، والمُتَلاَقُونَ في الله تَعَالَى**).

وروى البخاري ومسلم عن سهْل بن سعد رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ أَهْلَ الجَنَّة لَيتراءَوْنَ أهْلَ الغُرفِ في الجَنَّةِ، كَمَا تَراءَوْنَ الكَوَاكِبَ فِي السَّمَاءِ**).

وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَرَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أَو المغرب، لِتَفَاضُلِ مَابَيْنِهِمْ**).

قالوا يارسول الله تلك منازلُ الأنبياء ولايَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ.

قال: (**بَلَى، وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بالله، وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ**).

وروى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبّان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، كما روى الطّبراني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**إنّ أهلَ الدَّرجَات العُلَى يَرَاهُم مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنهِمْ كَمَا تَرَوْنَ الكَوْكَبَ الطالعَ في أُفُقِ السَّمَاءِ، وإنَّ أَبَا بَكر وعُمَر مِنْهُمْ، وأَنْعَمَا**)(1).

وروى ابن عساكر عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم

---

1) وأنعما : أي ازدادا على ما في تلك المترلة من التكريم الإلهي .

قـــال: (**إنّ أهلَ عِلِّيّينَ لَيُشرِفُ أحـــدُهُمْ على الجنة فيُضيءُ وجهُهُ لأهْلِ الجنّة، كما يُضيءُ القمرُ ليْلَةَ البدْرِ لأهْلِ الدّنيَا، وإنّ أبا بكر وعُمرَ منهمْ وأنْعَمَا**)(1).

وروى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشْعَريّ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وســـلم قـــال: (**إنّ للمُؤْمنِ في الجنّة لَخَيْمةً من لُؤْلُؤ واحِدَةً مُجَوَّفَةً، طُولُهَا في السَّمَاء سِتّينَ مِيلاً، للمؤْمنِ فيها أهْلُونَ، يطُوفُ عليهم المؤْمنُ، فلاَ يرَي بعضُهمْ بعْضًا**).

وروى مسلم والإمام أحمد والترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وســـلم قـــال: (**في الجَنَّةِ خيمةٌ منْ لُؤْلُؤ مُجوّفةٌ، عَرْضُهَا سُتُّونَ مِيلاً، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مايَرَوْنَ الآخرينَ، يَطُوفُ عليهم المؤْمنُ**).

وروى أبو علي النِّيسابُوريّ عن أنس بـــن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّ في الجنّة لَغُرفًا ليس لها معَاليقُ منْ فوقِهَا، ولا عِمَادٌ منْ تَحْتِهَا**).

قيل يارسول الله وكيف يدخُلُها أهْلُهَا؟

قال: (**يَدْخُلونَهَا أشْبَاهَ الطّيْرِ**).

قيل: **يارَسُولَ الله لِمَنْ هيَ؟**

قال: (**لأهْلِ الأسْقَامِ والأوْجَاعِ والبَلْوَى**)(2).

وروى الإمامُ أحمد عن أبي هُريرةَ رضيَ الله عنه أنّ النّبيءَ صلّى الله عليه وسلّم قال: (**إنّ الله عزَّ وجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ فِي الجَنَّةِ، فَيَقُولُ يَا رَبّ أنَّى لِيَ هـــذه؟ فَيَقُولُ بِدُعَاءِ وَلَدِكَ لَكَ**)

بيانه صلى الله عليه وسلم لأنهار الجنة وأشجارها

ليس في الجنّة شيءٌ ممّا في الدنيا إلا الأسماءُ، كما ثبتَ ذلك عنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومنْ هذه الحقيقة يتبيَّنُ أنّ أنْهارَ الجنّة ليْستْ مثْلَ الأنهار المعروفة لدى البشر في الدنيا، على ما في أنهار الدنيا من شتّى أنواع الخيرات والبركات.

كما أنّ أشجار الجنّة ليست كأشجار الدنيا، ولو على ما أبدع الله في أشْجار الدنيا منْ

---

1) وأنعما : أي ازدادا على ما في تلك المنزلة من التكريم الإلهي .

2) أخرج هذا الحديث الشيخ عبد الوهاب السبكي في طبقات الشافعية ج 3 ص 280 .

روْعةٍ في تنوّع أشكَالَها، ومِنْ بَهْجَةٍ في أزْهارِهَا وثِمَارِهَا، ومنْ شتّى أنواع العِطْر في روائحها، ومنْ لطْفٍ مُنْعشٍ في ظلالها، ومن كلّ ماتمدّ به العُيُونَ منْ مُتْعَةٍ وارتياحٍ، وماتَغْمُرُ بـــه النُّفُوسَ من نشوةٍ وانشراح.

ومع هذا الفَيْضِ من النّعم التي بثّهَا الله لِجَمِيعِ الخلق في أشجار الدنيا، فقد أعدّ سبحانه لعباده الصّالحين في أشجار الجنة ماهو أجلّ وأعظمُ وأَنْعَمُ.

فأمّا أنهارُ الجنة فقد روى فيها الإمام أحمد عن معاوية بن حَيْدَةَ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّ في الجَنَّة بَحْرَ الماء، وبحرَ العســـلِ، وبَحْرَ اللّبنِ وبحرَ الخمْر، ثمّ تَشقّقُ الأنْهارُ بَعْدُ**).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا سأَلْتُمُ الله فَسَلُوهُ الفرْدوْس، فإنّهُ أوْســـطُ الجنّة، وأعلى الجنّة، وفوْقَهُ عرْشُ الرحمن، ومنهُ تفجَّرُ أنهارُ الجنّة**).

وروى البيهقي عن معاوية القُشَيْري رضي الله عنه أنه قال: سمعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـــول: (**في الجَنَّةِ بحْرٌ للمَاءِ، وبحْرٌ للّبنِ، وبحرٌ للعســـلِ، وبحرٌ للخمْرِ، ثمّ تَشَّقَقُ الأنْهارُ منْهَا بعْدُ**).

وروى ابن أبي الدنيا حديثا موقوفا على ابن عباس، وهو أن سِمَاكًا لَقِيَ عبد الله بـــن عباس رضي الله عنهما بالمدينة بعدما كُفَّ بَصَرُهُ، فقال: يا ابن عباس ماأرضُ الجنّة؟

(قال مَرْمَرةٌ بيضاءُ من فِضّةٍ كأنّهَا مرْآةٌ، قُلْتُ مَانُورُها؟ قال: مارأيْتَ السَّاعَة التي يَكُونُ فِيهَا طُلُوعُ الشَّمْسِ؟ فذلك نورُها، إلاّ أنّه لَيْسَ فِيهَا شَمْسٌ ولا زمْهريرٌ.

قلتُ فما أنْهَارُهَا؟ أفي أُخْدُود؟ قـــال: لا، ولكنها تجْري على أرْض الجنّةِ مُسْتكِفّةً، لاتفيضُ هاهُنَا ولا هَاهُنَا، قـــال اللهُ لهَا كُونِي فَكَانَتْ).

كما روى ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّهُ قـــال: (**لعلّكُمْ تظُنُّون أنّ أنهارَ الجنّة أُخْدُودٌ في الأرضِ، لا والله إنَّهَا لسائحَةٌ على وجْهِ الأرْض، إحـــدى حـــافَتَيْهَا اللّؤْلُؤ، والأخرى اليَاقُوتُ، وَطِينُهُ المِسْكُ الأذْفَرُ قَالَ قُلْتُ: مالأذْفَرُ؟ قـــال الذي لاخَلْطَ لهُ**).

وأمّا الكوثر فقد روى فيه ابن ماجه والترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن

النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**الكَوْثرُ نَهَرٌ في الجَنَّةِ، حَافَتَاهُ من ذهب، ومَجْرَاهُ على الدُّرِّ والياقُوت، تُرْبتُهُ أطْيبُ منَ المسك، وماؤُهُ أحْلى من العسلِ، وأبْيَضُ مِنَ الثَّلْج**).

وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قـال: (**بيْنمَا أَنَا أسيرُ في الجنّة إذا أنَا بنَهَرٍ حافتَاهُ قبَابُ اللُّؤْلُؤِ المُجوَّف، فقـلتُ ما هذا ياجبريل؟ قال: هذا الكوْثرُ الذي أعطاكَ ربُّكَ، قال فضرَبَ الملَكُ بيدِه، فإذا طِينُهُ مِسْكٌ أذْفرُ**).

وروى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: سُئِلَ رسـولُ الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر؟ قال: (**ذَاكَ نَهَرٌ أعْطَانيهِ اللهُ – يَعْني في الجنّة– أشـدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، فِيهِ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الجُزُرِ**(1)) قال عمر إنّ هذه لَنَاعِمَةٌ، قال رسولَ الله صلى الله عليه وسلم (**أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا**).

وأمّا أشْجَارُ الجنة فقد روى فيها الترمذي وابن حـبّان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَا فِي الجَنَّةِ شَجَرَةٌ إلاَّ وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَب**).

وروى البيهقي عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: نزلنَا الصِّفَاحَ(2) فإذا رجلٌ نائمٌ تحت شجرة، كادت الشمسُ تَبْلُغُهُ، قال: فقلتُ للغُلاَمِ انْطَلقْ بهَذَا النِّطْعِ(3) فَأَظِلَّهُ، قال: فانطلقَ فأَظَلَّهُ، فلَمَّا استيقَظَ فإذا هو سَلْمَانُ رضي الله عنْهُ، فأتَيْتُهُ أسَـلِّمُ عليه فقـال ياجرير تواضعْ لله، فإنّهُ مَنْ تَواضَعَ لله، رفعهُ الله يوم القيامة، ياجرير هل تَدْرِي مَا ظُلُمَاتُ يَوْمِ القِيامَةِ؟ قُلْتُ لا أدري، قال ظُلْمُ النَّاسِ بَيْنَهُمْ.

ثمّ أَخَذَ عُوَيْدًا لا أَكَادُ أراهُ بيْنَ إصْبعيْهِ فقَالَ يَاجَرِيرُ لَوْ طَلَبْتَ في الجنّة مَثَل هذا لَمْ تجدْهُ.

قلت يا أبا عبد الله فأيْنَ النَّخْلُ والشَّجرُ؟

قال أصُولُهَا اللُّؤْلؤُ والذّهبَ، وأعلاهُ الثَّمرُ.

وروى أبـو نُعَيْمٍ في صِفَةِ الجنَّةِ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ في الجنّة شجرةً جُذُوعُهَا مِنْ ذهب، وفرُوعُهَا منْ زَبَرْجدٍ ولُؤْلُؤٍ، فتهُبُّ لَهَا ريحٌ، فَتَصْطَفِقُ، فما سمعَ السّامعُونَ بصوت شيءٍ ألَذَّ منهُ**).

وروى البخاري ومسلم والترمذي عن سهْل بن سـعد وأبي سـعيد رضي الله عنهُمَا أنّهُمَا سمعَا رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم يقول: (**إنّ في الجنّة لشـجرةً يسـيرُ الرّاكبُ الجَوادَ المُضَمَّر في ظلّها مائة عام، مايقْطعُهَا**).

---

1) الجزر هي الإبل .
2) الصفاح : مكان قريب من حنين .
3) النطع : الجلد .

وروى الإمام أحمد وابن حبّان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**طُوبَى شَجَرَةٌ في الجنّة مَسِيرَةُ مائةِ عامٍ، ثياب أهلِ الجنَّةِ تخْرُج مِنْ أكْمَامِهَا**).

وروى ابن حبّان عن أبي سعيد رضي الله عنه أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال له رجلٌ: يارسول الله ماطُوبى؟

قال: (**شَجَرَةٌ مسيرةُ مائةٍ سنةٍ، ثيابُ أهلِ الجنّة تخْرُجُ منْ أكْمامِهَا**).

وروى النّسائي عن عبد الله بن عمْرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: بينما نحنُ عنْدَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم إذْ جاءَ رجلٌ فقالَ يا رسُول الله أخبرْنَا عن ثياب أهْلِ الجنّة، أخَلْقًا تُخْلَقُ، أو نَسْجًا تُنْسَجُ؟ فضحكَ بعضُ أهْلِ القوم، فقال: لِمَ تضْحكُونَ؟ إنَّ جاهِلا يسْأَلُ عَالِمًا.

فجلس يسيرًا أو قليلاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أيْنَ السّائلُ عنْ ثِيابِ الجنّة؟**).

فقالوا: هاهوَ ذا يا رسول الله.

قال: (**لا، بل تَتَفَتَّقُ عنْهَا ثُمُرُ الجنّة، بل تَتَفَتَّقُ عنها ثُمُرُ الجنّة، بل تَتَفَتَّقُ عنْهَا ثُمُرُ الجنّة**).

بيانه صلى الله عليه وسلم لصفة دخول السُّعداء الجنة

روى البيهقي عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يُحْشَرُ النّاسُ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ يوم القيامة، فيُنَادي مُنَاد فيقولُ: أيْنَ اللذين كانُوا تتجَافَى جُنُوبُهُمْ عن المضَاجعِ، فيقُومُون، وهم قليلٌ، فيدَخُلُونَ الجنة بغير حساب، ثم يُؤْمَرُ بسَائِرِ النّاسِ إلَى الحِسَاب**).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أوّلُ زُمْرَة يدْخُلُونَ الجَنَّة منْ أمّتي على صُورَةِ القَمَرِ ليْلَةَ البَدْرِ، ثمّ الذِينَ يَلُونَهُم على أشدِّ نجْمٍ في السَمَاء إضَاءةً، ثمّ هم بعد ذلكَ منازلُ**).

وروى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم

قال: (**لَيَدْخُلَنَّ الجنَّةَ مِنْ أمَّتِي سَبْعُونَ ألفًا، أوْ قَال سَبْعُمِائَة ألفٍ مُتماسكُونَ، آخذٌ بعضُهمْ بِبَعْضٍ لايدْخُلُ أوّلُهمْ، حتّى يدْخُلَ آخرُهُمْ، وجوهُهُمْ على صورة القمر لَيْلَةَ البَدْرِ**).

وروى البيهقي وأبو عبد الله الحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أتعْلَمُ أوّلَ زُمْرة يدخُلونَ الجنّة من أمّتي؟ فُقراء المهاجرين، يأتونَ يومَ القيامة إلى باب الجنّة، ويسْتَفْتِحُونَ، فيقُول لهم الخَزنَةُ أوَقَدْ حُوسبْتُم؟ قالُوا بأيّ شيء نُحَاسَبُ؟ وإنّما كانتْ أسْيافُنَا على عَوَاتِقِنَا في سبيلِ الله حتّى مُتْنا على ذلك، فَيُفْتَحُ لهم، فَيَقِيلُونَ فيها أرْبَعينَ عاما، قبْلَ أنْ يدْخُلَهَا النّاسُ**).

وروى مسلم عن عبد الله بن عمْرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**إنّ فقراء المهاجرين يَسْبِقُونَ الأغْنيَاءَ يومَ القيامةِ إلى الجنّة بأربعين خريفًا**).

وروى الإمام أحمد والتّرمذي وابن ماجهْ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يَدْخُلُ فُقَرَاءُ المسْلِمِينَ الجنَّةَ قَبْلَ الأغْنيَاءِ بنصْفِ يومٍ، وهو خمسمائة عام**).

وأمّا عددُ أهل الجنة من أمّة محمد صلى الله عليه وسلم بالقياس إلى الأمم الإسلامية السّابقة، فقد روى فيها مسلم والإمام أحمد والنّسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يقولُ اللهُ تعالى: يَا آدَمُ، فيقُول: لبّيك وسعْديْكَ، والخيرُ في يدَيْكَ، فيقُولُ أخْرِجْ بَعْثَ أهْلِ النّار، قال: ومابعْثُ أهلِ النّار؟ قال: منْ كلّ ألفٍ تسْعَمائةٍ وتسْعةً وتسعينَ، فعنْدَهَا يَشيبُ الصّغيرُ، وتَضَعُ كلّ ذات حَمْلٍ حَمْلَهَا، وترَى النّاسَ سُكارَى، وما همْ بسُكَارَى، ولكنَّ عذابَ الله شديدٌ**).

قالُوا يارسول الله، وأيُّنا ذلكَ الواحدُ؟

قال: أبْشرُوا فإنَّ مِنْ يَاجُوجَ ومَاجُوجَ ألْفًا، ومنكم رجلٌ، ثمّ قال: والذي نفسي بيده إنّي لَأَطْمَعُ أنْ تَكُونوا ثُلُثَ أهْلِ الجنّة، فَحَمِدْنَا الله وكبَّرْنَا- ثم قال والذي نفسي بيده إنّي لَأَطْمَعُ أن تكُونوا شطْرَ أهلِ الجنّة، وإنّ مَثَلَكُمْ في الأُمم، كمثلِ الشّعَرةِ البيْضاء في جلدِ الثّور الأسْودِ أو كالرّقْمةِ في ذِرَاعِ الحمَار).

وروى الترمذي وابن ماجه عن بريد بن حصيب رضي الله عنه أنه قال سمعتُ رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**أَهْلُ الجنّة عِشْرونَ ومِائَةُ صَفٌّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وأَربَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ**).

بيانه صلى الله عليه وسلم لصفات أهل الجنة ولبعض أحوالهم فيها

أمّا صفاتهم فقد روى فيها الترمذي عن مُعَاذ بن جَبَل رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ بَنِي ثَلاَث وثَلاَثِينَ**)

وروى الترمذي أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أَهْلُ الجنّة جُرْدٌ(1) مُرْدٌ(2) كُحْلٌ(3) لايَفْنَى شبَابُهمْ، ولاتَبْلَى ثِيَابُهُمْ**).

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**يدْخُلُ أهْلُ الجنّة جُرْدًا مُرْدًا، بيضًا جعَادًا(4) مُكَحَّلِينَ أبنَاءَ ثَلاَث وثلاثِينَ، وهم على خلْقِ آدم، ستّون ذراعًا، فِي عرْض سَبْعَةِ أَذْرُعٍ**).

وروى البيهقي عن المِقْدَام رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مَامِنْ أحدٍ يَمُوتُ سِقْطًا ولا هَرِمًا- وإنّمَا النّاسُ في مابين ذلك- إلاّ بُعثَ ابْنَ ثَلاَث وثَلاَثِينَ سَنَةً.**

فإن كانَ منْ أهْلِ الجَنَّةِ كَان عَلى مِسْحَةِ آدمَ(5) وصُورة يُوسَفَ وقَلْبِ أيُّوبَ.

وإنْ كان من أهْلِ النّار عَظُمُوا وفَخُمُوا كالجبَال).

وأمّا بعض أحوالهم فقد روى فيها مسلم والإمام أحمد وأبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهُ أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال:(**إن أهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فيهَا ويشْرَبُونَ، ولا يَتْفُلُونَ، ولا يَبُولُونَ، ولا يتغَوّطُونَ، ولا يَمْتَخِطُونَ، ولكنَّ طَعَامَهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ ورَشْحٌ كرَشْحِ المسْكِ،يُلْهَمُونَ التَّسْبيحَ والتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ أنْتُمْ النَّفس**).

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**أوّلُ زُمْرَة تدْخُلُ الجنّةَ عَلَى صُورَةِ القَمر لِيْلَةَ البَدْرِ، والذينَ عَلَى إثْرِهِمُ كأشَدِّ كوْكبٍ في السَّماءِ إضاءةً، قلُوبُهُمْ على قلْبِ رجُلٍ واحدٍ، لا اختلافَ بينهُمْ ولاتَبَاغُضَ**

---

1) ليس على أجسادهم شعر .
2) ليس لهم لحى.
3) مكحلي العيون.
4) جعادا : في شعر رؤوسهم تَثَنٍّ وتَمَوُّجٌ خفيف .
5) على هيئة آدم وصورته.

ولاتَحَاسُدَ، لكلّ امْرئ منهم زوْجتَان، كلٌّ واحدة منْهُمَا يُرى مُخُّ سُوقِهَا منْ وراء لَحْمهَا من الحُسْنِ، يُسبّحُونَ اللّٰه بُكرةً وعشـيًّا، لايسْقَمُونَ، ولايَمْتَخِطُونَ، ولايَبْصُقُونَ، آنيَتُهُمْ الذّهَبُ والفضَّة، وأمْشاطُهُمُ الذّهبُ ووَقُودُ مَجَامِرهِمْ الأَلُوّةُ)(1).

بيانه صلى الله عليه وسلم لطعامهم وشرابهم

روى الإمام أحمد والنّسائي عن زيد بن أرقَمَ رضي الله عنه أنه قال: جاءَ رجلٌ من أهْلِ الكتَاب إلى النبيء صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا القاسم تزْعمُ أنّ أَهْلَ الجنَّةِ يأْكُلُون ويَشرَبُونَ؟ قال: (**نعم، والذي نَفْسِي بِيَده إنّ أحَدَهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رجُلٍ في الأكْلِ والشُّرْبِ والجماع**).

قال: فإنَّ الذي يأْكُلُ ويَشرَبُ تَكُونُ لهُ الحاجَةُ، وليسَ في الجنَّة أذًى.

قال: (**تكُونُ حاجَةُ أحَدِهِمْ رَشحًا يَفيضُ منْ جُلُودِهِمْ كرَشحِ المسْكِ، فيَضْمرُ بطْنُهُ**).

وروى ابن أبي الدنيا عن سُلَيْم بن عامر رضي الله عنه أنه قال : كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: إنَّ الله لَيَنْفَعُنَا بالأعْراب ومَسائِلِهِمْ: قال: أقْبَلَ أعْرابيٌّ يومًا فقال يارسول الله، ذكر الله عزَّ وجلَّ في الجنَّة شَجرةً مُؤْذيةً، وماكنتُ أرى في الجنّة شجرةً تُؤْذي صَاحبَهَا، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (**وماهي؟**) قال: السِّدْرُ، فإنَّ له شوْكًا مُؤْذيًا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(**أليْسَ الله يقُولُ:(في سِدْرٍ مَخْضُود**)(2) **خَضَدَ الله شوْكَهُ؟ فجعلَ مكان كلِّ شوكَةٍ ثَمرَةً؟ فإنّهَا لتُنْبتُ ثَمرًا، تتفتَّقُ الثَّمرَةُ منْهَا عنْ اثْنيْنِ وسبعينَ لونًا من الطّعام، مافيها لونٌ يُشبْهُ الآخرَ**).

وأمَّا ما يَشْتهُونَهُ في الجنّة منْ مأكَلٍ ومَشرَب فقد روى فيه البيهقي والبزّارُ وابن أبي الدنيا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّكَ لتَنْظُرُ إلى الطَّيْرِ في الجنّةِ فتَشْتَهيهِ فَيَجِيءُ مشويًّا بينَ يديْكَ**).

وروى ابن أبي الدنيا عن مَيْمُونَةَ رَضِي الله عَنْهَا أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ الرَّجُلَ لَيَشْتَهِي الطَّيرَ في الجنّة فَيَجيءُ مِثْلَ البُخْتِيِّ، حَتىَّ يَقَعَ عَلَى خِوَانِهِ، لمْ يُصِبْهُ دُخَانٌ ولمْ تَمسَّهُ نارٌ، فيأْكُلُ مِنْه حتّى يَشْبَعَ، ثمّ يطير**).

---

1) الألوة : نوع مما يتبخر به في الدنيا من العود، ذكي الرائحة الواسعة الإنتشار.
2) الواقعة – 30

وروى ابن أبي الدنيا حديثا موقوفًا عن أبي أُمَامَة رضي الله عنه أنه قال: (**إنَّ الرَّجُلَ مِنْ أهلِ الجنّة لَيَشْتَهِي الشَّرابَ مِنْ شَرَابِ الجنَّةِ، فيجيءُ الإبْرِيقُ، فَيَقَعُ فِي يدِه، فيـــشْربُ، ثمَّ يعُـــودُ إلى مكانهِ**).

وروى أبو عبد الله الحاكم عن جابر رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا دخلَ أهلُ الجنّةِ الجنّةَ يقول الله عزَّ وجلَّ هل تَشْتَهُونَ شيئًا فأَزيدَكُمْ؟ فيقـــولون: ربَّنا ومافوْقَ ماأَعْطَيْتنا؟ فيقول سبحانه: رِضْوَانِي أكْبَرُ**).

بيانه صلى الله عليه وسلم لِفُرُشِ أهل الجنة

روى الترمذي وابن أبي الدنيا عن أبي ســـعيد الخدري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قـــال في قـــول الله تعالى(**فيها سُرُرٌ مرْفُوعَةٌ**)(1):(**إرتفاعُهَا كما بـــين السّماء والأرض، ومسيرةُ مابينهُما خَمْسُمِائة عامٍ**).

وروى الطبراني عن أبي أُمَامَة رضي الله عنه أنه قـــــال: سُئِلَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الفُرُشِ المرْفُوعة فقال:(**لَوْ طُرِحَ فِرَاشٌ مِنْ أعْلاَهَا لهَوَى إلىَ قَرارِهَا مائةَ خَريفٍ**).

وروى البيهقي حديثًا موقوفا عن عبد الله بن مســـعود رضي الله عنه في قـــول الله عز وجل: (**مُتَّكِئِينَ على فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إسْتَبْرقٍ**)(2) أنّه قـــال:(**أُخْبِرْتُمْ بـــالبَطائنِ، فكيْفَ بالظّهائِرِ؟**).

بيانه صلى الله عليه وسلم لصفات نساء الجنة

لقدْ أفاضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان محاسِنِ النِّسَاء في الجَنَّةِ سَواءٌ في ذلك مَنْ كُنَّ مِنْ بنات آدم عليه السلام، أمْ مَنْ كُنَّ مِنْ الحُور العِين.

وسواءٌ في ذلك كُلّ ما أبدعَ الله من جمال في ذواتهنَّ وفي مَلابسهنَّ، وفي حُليّهنّ، وفي روْعة مُعاشرَتهنّ ممَّا يَفُوقُ–في كُلّ ذلك– مايسْمحُ به الخيالُ إنّهُ سُبْحانه هو العليم الخبير.

وسبحان الله كم أبْدع الله فيهن من مفاتن، وكم وازن بـــين مافيهنَّ من تلك المفاتن وبين ما أودع في الرجال من روائع المحاسن.

---

1) سورة الغاشية – 13 .
2) الإستبرق : هو الحرير الغليظ الرفيع.

وإليك مجموعة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن نساء أهل الجنة.

روى الترمذي وابن حبّان في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال:(**إنَّ المرْأَةَ منْ نساء أهل الجنة ليُرَى بياضُ ساقِهَا من وراء سبعين حُلَّةً، حتى يُرى مُخُّ ساقِهَا. وذلك بأن الله عزَّ وجلَّ يقول: (كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالمَرْجَانُ)** الرحمن-57، **فأمّا الياقوتُ فإنّهُ حَجَرٌ، لو أدخلْتَ فيهِ سِلْكًا ثُمَّ اسْتَصْفَيْتَهُ لَرَأَيْتَهُ مِنْ وَرائِهِ)**.

وروى الإمام أحمد وابن حبّان في صحيحه عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال في قول الله تعالى(**كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالمَرْجَانُ)** الرحمن-57 **ينْظُرُ إلى وجهه في خدِّهَا أصْفَى مِنِ المِرآة، وإنَّ أدْنَى لُؤْلُؤَة عليها لَتُضيءُ مابين المشرق والمغرب، وإنه ليكون عليها سبعُونَ حُلّةً، يَنْفذُهَا بصرُهُ حتى يرى مُخَّ سَاقِهَا منْ وراء ذلك)**.

وروى البزّار والطبراني عن سعيد بن عامر رضي الله عنه أنّ النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لَوْ أنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ أَشْرَفَتْ**(1) **لَملأتِ الأرْضَ ريحَ مسكٍ، ولأذْهبتْ ضوءَ الشَمْسِ والقمر)**.

وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال:(**لو اطّلَعَتْ إمْرأةٌ من نساء أهل الجنّة إلى الأرض، لَمَلأَتْ مابينهما ريحًا، ولأضَاءتْ مابينَهُمَا، ولَنَصِيفُهَا**(2) **على رأْسهَا خيرٌ من الدنيا ومافيها)**.

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ أوَّل زُمرة يدخُلُونَ الجنّةَ على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ، والتي تليها، على أضْوَإِ كَوْكَب دُرّيٍّ في السَّماء.**

وَلِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهم زوجتان إثْنَتَان، يُرَى مُخُّ سُوقِهِما مِنْ وراء اللّحْمِ، وما في الجنّة أعْزَبُ).

وروى البيهقي وأبو يعْلَى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**والذِي بَعثنِي بالحقِّ مَا أنْتُمْ في الدُّنْيَا بأَعْرفَ بأزْواجكُمْ ومَسَاكِنِكُمْ منْ أهل الجنّة بأزواجهم ومساكنِهِمْ، فيدْخُلُ الرَّجُلُ منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما يُنْشئُ الله، وثنتين منْ ولدِ آدم، ولهما فضلٌ على منْ أنْشأَ الله، وَذَلِكَ لِعبادَهما الله في الدينا.**

---

1) أشرقت : أطلعت من أعلى .
2) النصيف : هو لباس الرأس من خمار وعجار، ونحوهما.

ويَدْخُل على الأولى منهما في غُرْفَةٍ من ياقُوتَةٍ، علي سَرير مِنْ ذَهَب، مُكلَّل باللُّؤْلؤ، عليه سبعون زوجًا من سُنْدس وإسْتَبْرق(1) ثمّ يضعُ يده بين كتفيْهَا، ثمّ ينْظُرُ إلَى يده مَنْ صدْرهَا، منْ وراء ثيابها وجلْدِهَا ولَحْمِهَا، وَإنّهُ لَيَنْظُرُ إلى مُخّ ساقهَا كما ينْظُرُ أَحَدُكُمْ إلى السّلْكِ في قصبَةِ اليَاقوت، كَبدُهُ لها مرْآةٌ، وكبدُها له مرآةٌ، فبينما هو عنْدها لايَمَلّهَا، ولاتَمَلُّهُ، ولايأتيها مرّةً إلاّ وجَدَهَا عَذْرَاء، ومايفْتُرُ ذَكَرُهُ، ولاتشْتكِي قُبُلَهَا.

فبينما هو كذلك إذ نُودي إنَّا قَدْ عَرَفْنَا أنّكَ لاتَمَلُّ ولاتُمَلُّ، إلاّ أنّهُ لا مَنيَّ ولامَنيَّةَ، إلاَّ أنَّ لكَ أزواجًا غيْرَهَا، فَيَخْرُجَ. فيأْتيهِنَّ واحدةً بعْدَ واحدةً كلما جاء واحدةً قالت والله مافي الجنة شيءٌ أحسنُ منك، وما في الجنّة شيءٌ أحبُّ إليَّ منك).

وروى الطبراني عن أمّ سلمة أمّ المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: قلت يارسول الله أخبرني عن قول الله عز وجلّ(**حُورٌ عِينٌ**)(2)

قال: (**حُورٌ: بِيضٌ، عِينٌ، ضِخَامٌ، شَفْرُ الحَوْراء بمترلة جَناح النَّسْر**).

قلت يارسول الله فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ (**كَأَنَّهُنَّ الياقُوتُ والمَرْجَانُ**)(3).

قال: (**صفاؤهُنَّ كصفاءِ الدُّرِّ الذي في الأصْداف الذي لاتَمَسُّهُ الأيْدي**).

قلت يارسول الله فأخبرني عن قول الله عز وجلّ (**فيهنَّ خيْراتٌ حسانٌ**)(4).

قال: (**خيْراتُ الأخْلاق، حِسَانُ الوُجُوه**).

قلت يارسول الله فأخبرني عن قول الله عز وجلّ(**كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ**)(5).

قال: (**رِقّتُهنَّ كَرِقّةِ الجِلْدِ الذي في داخِلِ البَيْضَة مما يلي القشْرَ**).

قلت يارسول الله فأخبرني عن قول الله عز وجل (**عُرُبًا أَتْرَابًا**)(6)

قال: (**هُنّ اللواتي قُبضْنَ في دار الدنيا عجائزَ رُمْصًا(7) شُمْطًا(8) خلَقَهنَّ الله بعد الكِبَرِ فجعلَهُنَّ عَذَارَى، عُرُبًا مُتَعَشّقَاتٍ مُتَحَبِّبَاتٍ أتْرَابًا على ميلادٍ واحدٍ (9)**)

---

1) الإستبرق : هو الحرير الغليظ الرفيع.
2) الواقعة -25.
3) الرحمن-57.
4) الرحمن-69.5.
5) والصافات-49.
6) الواقعة -39.
7) رمصا: عيوفمن مصابات بالرمص، وهو مادة من وسخ العين تفرزها في زوايا الإجفان.
8)الشمط: هن اللاتي أصابهن الشمط، وهو الشيب.
9) أي في سن واحدة، وعمر واحد.

قلت يارسول الله أنساءُ الدّنيا أفْضَلُ أمْ الحورُ العِينُ؟

قال: (**نساءُ الدّنْيَا أفْضَلُ من الحُورِ العِينِ كفَضْلِ الظِّهَارةِ على البِطَانَةِ**)

قلت يارسول الله، وبمَ ذاك؟

قـــال: (**بِصَلاَتِهِنَّ وصِيَامِهِنَّ، وعِبَادتِهِنَّ الله عزَّ وجلَّ، ألْبَسَ الله عزّ وجلّ وُجُوهَهُنَّ النُّورَ، وأجْســـــادَهُنَّ الحريرَ، بيضُ الألْوان خُضْرُ الثّياب، صُفْرُ الْحُلِيِّ مجامرهُنَّ الدر، وأمشاطهُنَّ الذّهبُ، يقُلْنَ: ألا نحنُ الخالداتُ،فلا نموتُ أبدًا، ألا وَنَحْنُ النّاعماتُ، فلا نبْأسُ أبدًا، ألا وَنَحْنُ المُقيماتُ فَلاَ نَظْعَنُ أبدا، ألا ونحنُ الرّاضياتُ فلا نَسْخطُ أبدًا، طُوبى لمنْ كنّا له وكان لنا**).

قلت يارسول الله المرأةُ منّا تتزوّجُ الرَّجُلين والثَّلاثة والأربعة في الدنيا، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها، من يكونُ زوجَهَا منهم؟

قال: (**ياأُمَّ سَلَمَةَ إنّها تُخَيَّرُ، فتخْتَارُ أحْسنَهُمْ خُلُقًا، فتقـــول أيْ ربّ إنْ هذا كان أحْسنَهُمْ معي خُلُقًا في دار الدنيا، فزوّجنيهِ، يا أمّ ســـلمة ذهب حُســـنُ الخُلُق بخير الدنيا والآخرة**).

بيانه صلى الله عليه وسلم لغناء الحور العين

روى الترمذي والبيهقي عن علي بـــن أبي طالب رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّ في الجنّة لَمُجْتَمَعًا للحُور العينِ، يرْفَعْنَ بـــأصْوات، لم يَسْمعِ الخلائقُ بمثْلهَا، يَقُلْنَ نحنُ الخالداتُ فلا نبيدُ، ونحنُ النّاعماتُ فلا نبْأسُ، ونحنُ الرّاضيَاتُ فلا نسْخطُ، طُوبى لمنْ كان لنا وكنَّا لهُ**).

وروى الطّبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وســـلم قال: (**إنَّ أزواجِ أهل الجنة ليُغنّينَ أزواجهُنَّ بأحْسنِ أصوات سَمعَهَا أحدٌ قطٌّ. إنّ ممّا يُغنّينَ به: نحنُ الخيراتُ الحسانُ، أَزْوَاجُ قَومٍ كرام، ينظُرُونَ بـــقُرَّة أَعْين. وإن مما يغنين بـــه : نحن الخالداتُ، فلا نَمُتْنَهْ، نحنُ الآمنـــاتُ، فلا نَخَفْنَهْ، نحنُ المقيماتُ فلاً نَظْعَنَّهْ**).

وروى الطبراني وابن أبي الدينا عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّ الحور في الجنّة يُغنّينَ، يقلن: نحنُ الحورُ الحسانُ، هُدِينا لأزْواج كرامٍ**).

وروى الطبراني والبيهقي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مامنْ عبد يدخُل الجنّة إلا عند رأْسه وعند رجليْه ثنْتان من الحور العين تُغنّيان بأَحْسَنِ صوتٍ سمِعَهُ الإنْسُ والجِنُّ، وليس بِمَزَامِيرِ الشيطان، ولكنْ بتَحميد اللهِ وتقْديسه**).

بيانه صلى الله عليه وسلم لملابس أهل الجنة وحُلِيِّهُمْ

روى ابن أبي الدنيا عن أبي أُمَامَة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مامنْكُمْ أحدٌ يدخلُ الجنّةَ إلاّ انْطُلقَ به إلى طُوبى فتفْتحُ له أكْمَامَهَا، فيأْخُذُ من أيّ ذلك شاء، إن شاء أبْيَضَ، وإنْ شاءَ أحْمرَ، و إنْ شَاءَ أخْضرَ، وإنْ شَاء أَصْفَرَ، وإن شاء أسْودَ، مثلَ شقَائقِ النّعمان، وأَرَقَّ، وأَحْسَنَ**).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**منْ يَدْخُلُ الجنة ينْعمُ، ولايبْأسُ، ولاتَبْلَى ثيابُهُ، ولايفْنَى شبابُهُ، في الجنّة ما لاعيْنٌ رأتْ، ولا أُذْنٌ سمعتْ، ولاخطرَ على قلْبِ بشرٍ**).

وروى الإمام أحمد وابن حبّان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّ الرّجل لَيَتَّكِئُ في الجنة سبعين سنة قبلِ أنْ يتحوَّلَ، ثمّ تأْتيهِ امرأةٌ، فتضْربُ مَنْكِبَهُ، فينْظُرُ وجْهَهُ في خدِّهَا أصْفَى من المرْآة، وإنَّ أدنى لؤلُؤة عليها تُضيءُ مابيْنَ المشرق والمغرب، فتُسلّمُ عليه فيردُّ السّلام، ويسْألُهَا مَنْ أنْتِ؟ فتقول: أنا من المزيد(1) وإنه ليكون عليها سبعون ثوبًا أدْنَاهَا مثْلُ النُّعمان مِنْ طُوبى، فينْفُذُهَا بصرُهُ، حتى يرى مُخَّ ساقِهَا منْ وراء ذلك، وإنَّ عليها منَ التّيجانِ، إنَّ أدنى لُؤْلُؤةٍ منها لتضيءُ مابين المشرق والمغرب**).

بيانه صلى الله عليه وسلم لإلحاق أَخَصِّ الأَقَارِب بالرجل في الجنة

إذا دخل الرّجلُ الجنة فإن سُرُورَهُ فيها لايَكُونُ تامّا إذا لم يكن معه فيها لا أبواه ولازوجَتُهُ ولا أبْنَاؤُهُ.

ومن عَظِيمِ فَضل الله سبحانه أنه يُلْحِقُهُم به جميعا.

---

1) المزيد: هو ماورد في القرآن في قول الله تعالى : (لهم مايشاؤون فيها، ولدينا مزيد) ق-35

روى الطبراني عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا دَخَلَ الرّجلُ الجنّة سألَ عنْ أبويْهِ وزوجتهِ وولده، فيُقالُ: إنّهُمْ لَمْ يَبْلُغُوا درَجَتَكَ وعَمَلَكَ، فيقول يارب قَدْ عَمِلْتُ لي ولهُمْ، فيُؤْمَرُ بإلْحَاقِهِمْ بِهِ**).

وهذا الفضل الإلهيّ العظيم قد دلَّ الله عليه في القرآن بقوله (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بإيمَان أَلْحقْنَا بهمْ ذُرِيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ (1)مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ**) والطور–19، وقوله (**وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانيَةً وَيَدْرَءونَ بالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّار(22) جَنَّاتُ عَدن يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءابَآئِهِم وَأَزْوَاجهِم وَذُرِّيَّاتِهِم وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ(23)سَلام عَلَيْكُم بِما صَبَرتُم فَنِعمَ عُقْبَى الدَّارِ(24)**) الرعد.

بيانه صلى الله عليه وسلم لمراكب أهل الجنة ولِتَزَاوُرِهِمْ

روى الطبراني عن أبي أيوب الأنصاريّ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ أهْلَ الجَنّةِ يَتزَاوَرُونَ عَلَى النَّجَائِبِ(2) البيضِ، كأنّهنَّ اليَاقُوتُ، وليس في الجنّة شيءٌ من البهائمِ إلاّ الإبلُ والطّيرُ**)(3).

وروى الطبراني عن عبد الرحمن بن سَاعِدَةَ رضي الله عنه أنه قال: كنتُ أُحِبُّ الخيل، فقلت يارسول الله هل في الجنة خيلٌ؟ فقال: (**إنْ أدْخَلَكَ اللهُ الجنةَ ياعبد الرحمن كان لك فيها فرسٌ منْ ياقوت، له جناحان يطيرُ بك حيثُ شئْتَ**).

وروى الترمذي عن أبي أيُّوب رضي الله عنه أنه قال: أَتَى النَّبِيءَ صلى الله عليه وسلم أعرابيٌّ، فقال: يارسول الله إنّي أُحِبُّ الخَيْلَ، أفي الجنة خيلٌ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إنْ دخلْتَ الجنة أُتِيتَ بفرسٍ مِنْ ياقُوتةٍ، لهُ جناحان، فحُملتَ عليه، ثمّ طارَ بك حيثُ شئتَ**).

وروى الترمذي عن سُليمان بن بُرَيْدَة عن أبيه رضي الله عنه أنه قال: إنَّ رجُلاً سَأَلَ النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: يارسُولَ الله هَلْ في الجَنَّةِ مِنْ خَيْلٍ؟ فقال رسول الله صلى الله

---

1) ألتناهم : معناه نقصنا مما كان لهم من جزاء على أعمالهم في مقابل إلحاق أهلهم بهم.
2) النجائب جمع نجيبة، وهي الناقة القوية الخفيفة السريعة.
3) لعل هذا – والله أعلم – في الحيوانات التي كان لها وجود في الدنيا أما التي ينشئها الله في الجنة فهي موجودة، ولكن على خلاف الصور المعهودة في الدنيا كما يتبين ذلك في بعض الأحاديث مثل الخيل ذوات الأجنحة.

ع يه وسلم: (إِن اللهُ أدْخلَكَ الجَنَّةَ، فَلا تَشاءُ أنْ تُحْمَلَ فيهَا عَلَى فَرَسٍ منْ ياقُوتةٍ حَمْرَاءَ يَطِيرُ بِك في الجَنَّةِ حيثُ شئْتَ إلاّ كانَ)

قال : وسَألهُ رجُلٌ فقال: يارسُولَ الله هَل فِي الجَنَّةَ مِنْ إبل؟ قال: فلم يقـل له ماقـال لصاحبه،قال: (إنْ يُدْخلْكَ اللهُ الجنّةَ يَكُنْ لكَ فيهَا مااشتهَت نفْسُك ولذَّتْ عينُكَ).

وروى البزّار وابن أبي الدنيا عن أنس بـن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال:(إذا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ فيشْتَاقُ الإخوانُ بَعْضُهمْ إلـى بعض، فَيسيرُ سَريرُ هذا إلى سرير هذا، وسريرُ هذا إلى سرير هذا، حتى يجْتمعَا جميعًا، فيَتَّكئُ هذاً، ويتّكئُ هذا، فيقولُ أحدُهُمَا لصاحبه: أتعْلمُ متَى غَفَرَ اللهُ لنَا؟ فيقول صاحبـه: نعمْ: يوم كنّا في موضع كذا وكذا، فدعونا اللهَ فغفرَ لنا).

بيانه صلى الله عليه وسلم لما يَهَبُ اللهُ لأدْنَى أهل الجنة ولأعْلاهم

روى مسلم عن المغيرة بن شُعبة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (إنّ مُوسى عليه السَّلام سَألَ ربّهُ: ماأدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنزلةً؟ فقـال: رجلٌ يجئُ بَعْدَمَا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فيقَال لهُ: أَدْخُلِ الجنّةَ: فيقُول: ربِّ، كيف وقـد نزلَ النّاسُ منازِلَهُمْ، وأخذُوا أَخذَاتِهِمْ؟

فيقال له أترْضى أن يكون لك مِثْلُ مَلِكٍ منْ ملُوكِ الدنيا؟

فيقول: رضيتُ رَبِّ.

فيقول له: لك ذلك، ومثْلُهُ، ومثْلُهُ، ومثْلُهُ.

فقال في الخامسة رضيتُ رَبِّ.

فيقول هذا لك، وعَشرَةُ أمثاله، ولك مَااشْتَهَتْ نفْسُكَ، ولذَّتْ عينُكَ.

فيقول : رضيتُ رَبِّ.

قال موسى: ربّ فأعْلاهم منزلةً؟

قال أولئك الذين أردْتُ،،، غرَسْتُ كرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وختَمْتُ عَلَيْهَا، فَلمْ تَرَ عَيْنٌ، ولَمْ تسْمعْ أذُنٌ، ولَمْ يخْطُرْ عَلَى قَلبِ بَشَرٍ).

وروى الترمذي وأبو يَعْلَى والطَّبَرَاني والبَيهقي عن عبد الله بن عُمر رضي الله عَنْهما أن

النَّبيِء صَلى الله عليه وسـلم قـال: (**إنّ أدْنَى أهلِ الجنة منزلةً لَمَنْ يَنْظُرُ إلى جنَانهِ وأزواجهِ ونعِيمِهِ وخَدَمِهِ وسُرُره مسيرةَ ألفِ سنةٍ.**

وأكْرمَهُمْ على الله منْ يَنْظُرُ إلى وجْههِ غُدْوةً وعشيًّا، ثم قرأ رسـول الله صلى الله عليه وسلم (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى ربِّهَا نَاظِرَةٌ) القيامة 21-22.

وروي ابن أبي الدنيا والطّبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ أَسْفَلَ أهْلِ الجنة أجمعينَ درجةً، لَمَنْ يقومُ على رأْسهِ عشرةُ آلاف خادمٍ، بيد كلِّ واحدٍ صحْفَتَان، واحدَةٌ من ذهب والأُخْرَى من فضَّةٍ، في كلٍّ واحـدة لونٌ، ليْسَ في الأخْرى مثْلُهُ، يأْكُلُ منْ آخرها، مثْلَ ما يأْكُلُ منْ أوَّلهَا، يجدُ لآخرهَا منَ الطِّيبِ واللّذة، مثلَ الذي يجدُ لأوّلهَا، ثمَّ يكونُ ذلك ريحَ المسـكِ الأذفرِ، لايَبُولُون، ولايتَغوَّطُونَ، ولا يَمْتَخِطُونَ، إخْوانًا على سُرُرٍ مُتَقابلينَ**)

بيانه صلى الله عليه وسلم أنَّ ما في الجنة أعْظَمُ مما يخطُرُ بالبال

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لَقَابُ قَوْسَيْنِ في الجنّة خيرٌ مما تطْلُعُ عليه الشمْسُ**)، وقال: (**لغَدْوَةٌ أوْ رَوْحَةٌ في سبـيل الله خيرٌ مما تطْلُعُ عليه الشّمسُ أوْ تغْرُبُ**).

وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قـال: (**غَدوةٌ في سبيل الله أوْ روْحةٌ خيرٌ من الدنيا ومافيها، ولَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ أوْ موضعُ قِدِّه في الجنة خيرٌ من الدنيا ومافيها.**

ولو أنّ امرأةً من نساء أهل الجنة اطّلعتْ إلى أهل الأرض لأَضاءتْ الدنيا ومافيها، ولملأَتْ مابيْنَهُمَا ريحًا، ولَنَصِيفُها- يعني خِمَارَهَا- خَيرٌ من الدنيا ومافيها).

وروى مسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنّه شهدَ من رسـول الله صلى الله عليه وسلم مجْلسًا، وصفَ فيه الجنّة انتَهَى، ثمّ قال في آخر حـديثه : (**فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذْنٌ سمعتْ، ولا خطَرَ على قَلْب بشر**). ثم قـرأ هاتين الآيتين: (**تتجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ، يَدْعُونَ ربَّهُمْ تَضَرُّعًا وخُفْيَةً، ومِمَّا رزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، فَلا تعلمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لهم مـنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ، جزاء بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ**) السجدة 16-17.

وروى الترمذي وابن أبي الدنيا عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه عن جدّه سعدٍ رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**لوْ أنَّ مايُقِلُّ(1) ظُفُرٌ ممّا في الجنة بدَا لَتزَخْرَفَ لهُ مابيْنَ خَوافِقِ(2) السّموات والأرض.**

ولوْ أنَّ رَجُلاً مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ اطَّلعَ فبَدَا سِوَارُهُ لَطَمَسَ ضوْءَ الشّمْس، كَمَا تطْمَسُ الشَّمْسُ ضوء النّجوم).

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(قِيدُ(3) سَوْط أَحَدِكُمْ في الجنّة خيرٌ من الدنيا ومِثْلِهَا معها، ولَقابُ قوسِ أحدكُمْ من الجنة خيرٌ من الدنيا ومِثْلِهَا مَعَهَا، ولَنَصيفُ امرأةٍ منْ نساء الجنّةِ خيرٌ من الدنيا ومثْلِهَا معَهَا).**

بيانه صلى الله عليه وسلم لِسُوق الجنة ومافيها

الله سبحانه قد أَنْشَأَ للإنسَانِ في الدنيا ألوانا من المُتع الرائقة، وجعل له في الجنة مُتعًا أعزَّ مِنْهَا وألطَفَ وأعجبَ.

ومن تلك اللَّطائف الفَائقَةِ مَا أبْدَعَ سُبْحَانَهُ لأهل الجَنَّةِ في سُوق الجنَّةِ.

لقد علم الله أنّ ابن آدم ميّالٌ إلى الاستمتاع بما يَكْسِبُ، شَغُوفٌ بالسَّعْي إلى الظَّفر بمُشْتَهَياتهِ، فَجَعَلَ الله لهُ سُوقًا في الجَنَّةِ يَذْهَبُ إليهَا لإشباع رَغبَاتِهِ، مِنْ رَائِقِ شَهَوَاتِهِ، حتى يسْتعيدَ بذهابه لسوق الجنة صورة ممّا كان له من ملذّات سعْيه لاكتساب ماأحبَّ، ولو أنّ سَعْيَهُ إلى سوق الجنّة لايَلْحَقُهُ منْهُ لا نَصَبٌ ولاتعَبٌ، وإنّما هو مُتْعَةٌ علَى مُتْعةٍ : مُتْعَةٌ في ذهَابه، ومُتْعَةٌ في اكتسابِهِ.

روى الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(إنَّ في الجنة لَسُوقاً مافيهَا شراءٌ ولابيعٌ إلا الصُّوَرَ من الرّجال والنّساء، فإذا اشتهى الرجلُ صورةً دخَلَ فيها).**

وروى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: **(إنَّ في الجَنَّةَ لَسُوقًا يأْتونَها كُلَّ جُمعةٍ، فيها كُثْبانُ المسْكِ، فتهُبُّ ريحُ الشّمال، فتحْثُو في وجُوههم وثيابهم، فيزْدادون حُسْنًا وجَمالاً، فيقُول لهُمْ أهْلُوهُمْ: والله لقد ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْنًا وجَمَالاً، فيقولون: وأنْتُمْ والله لقد ازْدَدْتُمْ بعْدَنَا حُسْنًا وجَمَالاً).**

---

1) مايُقِلُّ: أي مايحمل ظفر الإنسان فقط.
2) خوافقهما : أطرافهما.
3) قيد : أي قدر

وروى الترمذي عن سعيد بن المُسَيَّب أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه. فقال له أبو هريرة : أسْأَلُ اللهَ أنْ يجمعَ بيْني وبينَكَ في سُوقِ الجنة.

قال سعيد: أوَ فيهَا سُوقٌ؟

قال: نعم أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**إنَّ أهل الجنة إذا دخلُوها. نزلُوا فيها بفضل أعمالهم، فيُؤْذنُ لهم في مقْدَارِ يوم الجمعة من أيامِ الدنيا، فيزُورُونَ الله. ويُبرزُ لهم عرْشَهُ، ويتَبدّى لهم في روضةٍ من رياضِ الجنة، فتوضعُ لهم منابرُ من نُور،ومنابرُ منْ لؤْلُؤ ، ومنابرُ منْ ياقوت، ومنابرُ من زَبَرْجَدٍ، ومنابرُ من ذهب، ومنابرٌ منْ فضة، ويجلسُ أدناهمْ- ومافيهم دَنِيءٌ- على كُثْبَانِ المسْكِ والكافُور، مايروْنَ أنّ أصحاب الكراسيّ أفْضلُ منْهمْ مجلسًا**).

قال أبو هريرة: قلتُ يارسول الله هل نرى ربّنا؟ قال:(**نعم، هل تتَمَاروْنَ في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟**

قلنا: لا.

قال: (**كذلك لاتتَماروْنَ في رؤْية ربّكُمْ عزَّ وجلَّ، ولايبْقَى في ذلك المجلس أحدٌ إلا حَاضَرَهُ الله مُحَاضرةً، حتى إنّهُ يقُولُ للرَّجُل منكم: ألا تذْكُرُ يا فلانُ يوم عملْتَ كذا وكذا؟ يُذكّرهُ بعضَ غدَرَاتِهِ في الدّنيا، فيقول: يارب أَفلمْ تغْفرْ لي؟ فيقُولُ: بلى، فبسعةِ مغْفرَتِي بلَغْتَ منْزلتَكَ هذه.**

فبينما هم كذلك غَشِيَتْهم سحابةٌ مِنْ فوقِهِمْ، فأمْطرتْ عليهم طِيبًا لم يجدُوا مثل ريحه شيئا قطُّ.

ثُمَّ يقول ربُّنَا تبارك وتعالى : قُومُوا إلى مَاأَعْدَدْتُ لَكم من الكرامة، فخُذُوا مااشتهيْتُمْ.

قال فنَأتِي سُوقًا قدْ حَفَّتْ به الملائكةُ، فيه مالم تَنْظُرِ العُيُونُ إلى مثله، ولم تسمع الآذانُ، ولم يخْطُر على القلوب، قال فيُحْملُ لنا مااشتهَيْنَا، لَيْسَ يُبَاعُ فِيهِ شَيءٌ وَلاَيُشْتَرَى.

وفي ذلك السّوق يَلْقَى أهْلُ الجنة بعضُهمْ بَعْضًا، قال فَيُقْبلُ الرّجلُ ذو المنزلة المرتفعةِ فَيلْقَى مَنْ دُونَهُ،- ومافيهم دنِيءٌ- فيرُوعُهُ مايرى عليه من اللّباسَ، فما ينْقضي آخرُ حديثه حتى يتمثّلَ عليه أحسنُ منه، وذلك أنه لاينبغي لأحدٍ أنْ يَحْزَنَ فيها.

قال: ثمّ ننْصرفُ إلى منازلنا، فتتلقّانا أزواجُنَا، فيقُلْنَ مرْحبًا وأهْلاً، لقد جئْتَ وإنّ بـــكَ مِنَ الجَمَال والطِّيب أفْضلَ مما فارقْتَنَا عليه، فيقـــول: إنّا جالسْنَا اليوم ربّنَا الجَبَّارَ عزَّ وجلّ، وبحقّنَا أنْ ننْقلبَ بمثْلِ ما انقَلبْنَا).

بيانه صلى الله عليه وسلم لنظر أهل الجنة لربهم

إنّ أهل الجنة –على ماهم فيه مِنْ نِعَمٍ تفُوقُ مايتَّســعُ له الخيالُ– لايجدُونَ لهُمْ في الجنة سعادةً أعظم من سعادتهم برؤية ربهم.

روى ابن ماجهْ عن جابر رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**بيْنَمَا أهلُ الجنّة في نَعِيمِهِمْ إذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَإذَا الربُّ جلَّ جلالُهُ قـــد أشْرَفَ عليهِم من فوقهم فقال: (السلام عليكم ياأهل الجنة، وهو قـــوله عز وجل (سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ)** يس 57، **فلا يَلْتَفِتُونَ إلى شيءٍ ممّا هم فيه منَ النّعيم، مادامُوا ينْظُرُونَ إليه، حتّى يَحْتَجبَ عنهُمْ، وتبْقَى فيهم بركتُهُ ونُورُهُ).**

وروى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**مابينَ القومِ وبـــينَ أنْ ينْظُرُوا إلى ربِّهِمْ إلاّ رداءُ الكبْرياءِ على وجهه في جنّاتِ عدنٍ).**

وروى مسلم والترمذي والنســائي عن صُهَيْب رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا دخَلَ أهْلُ الجنّةِ الجنَّةَ يقولُ الله تعالى: تُرِيدُونَ شيئًا أزيدُكُمْ؟**

فيقولون: ألَمْ تُبيِّضْ وجوهَنَا؟ ألَمْ تُدْخلْنَا الجنة وتُنْجنَا مِن النار؟

فيكْشفُ الحجَابَ، فما أُعْطُوا شيئا أحبَّ إليهم من النّظر إلى ربّهم، ثم تلا هذه الأية (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)يونس 26.

وروى الامام أحمد، وابن ماجهْ، وابن خزيمة، وابن حِبَّان عن صُهيب رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنَّةَ وأهْلُ النّارِ النّارَ نادى مناد يا أهْلَ الجنّة إنَّ لكُمْ عندَ الله موْعدًا، يريدُ أنْ يُنْجزَكُمُوهُ. يقـــولون: وماهُوَ؟ ألَمْ يُثقّلِ اللهُ مَوَازيننَا، ويُبيِّضْ وُجُوهَنَا، ويُدْخلْنَا الجنّة، ويُنْجنَا مِنَ النَّار؟ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فينْظُرون إليه، فوالله ماأعْطَاهُمْ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إليهم من النظَر إليه، ولا أقرَّ لأعْيُنهمْ).**

وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدْري رضي الله عنه أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إنّ الله عزَّ وجلَّ يقول لأهل الجنّة: ياأهْلَ الجنة، فيقولون لبّيْكَ ربّنا وسعْديْكَ والخيْرُ في يديْكَ.**

فيقول : هلْ رَضِيتُمْ؟

فيقولون: ومالنا لانرْضى ياربّنَا، وقد أعْطيْتنا مالم تُعْطِ أحدًا مِنْ خلْقكَ؟

فيقول: ألا أُعْطِيكُمْ أفْضَلَ من ذلك؟

فيقولون: وأيُّ شيء أفْضلُ مِن ذلك؟

فيقول: أُحِلُّ عليْكُم رضْواني، فَلاَ أَسْخَطُ عليكمْ بعْدهُ أبدا).

هذا ولقد انزل الله في القرآن قوله (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ**(22)**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**(23)) القيامة.

كَمَا شَرَعَ لنا رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن نَسْأَلَ الله لذَّة النّظَر إلى وَجْههِ الكريم، وَذَلِك مِنْ طَريق الإئْتِسَاء بِهِ صلى الله عليه وسلم، فقد كانَ عَليه الصلاة والسلام كَثِيرَ الدُّعَاء، ويقول: (**الدُّعاءُ هُوَ العبادَةُ**)(1)

بل قد قال: (**الدُّعاءُ مُخُّ العبادة**) (2) ويقول (**الدُّعاءُ ينْفعُ ممّا نزلَ، ومّما لم ينْزلْ،فعليْكُمْ عِبَادَ الله بالدُّعَاء**) (3).

ولقد بلَغَنَا الخَيرُ الكثيرُ مِنْ دُعَائِهِ، ومِنْ ذَلِكَ أنّه كان يَسْأَلُ الله أنْ يَهَبَ لهُ لذَّة النظر إلى وجْههِ، فيقول (**اللّهمّ إنّي أسْألكَ نعيمًا لاينْفدُ وقُرّةَ عَيْنٍ لاتَنْقَطِعُ، وأسْألكَ الرّضا بالقضاء، وبَرْد العيْش بعْد الموت، ولذَّة النّظر إلى وجهكَ، والشّوقَ إلى لقائكَ في غيْر ضرّاء مُضرّةٍ، ولافتْنةٍ مُضلّةٍ**)(4).

ومن دعائه الجامع للكثير من خير الدنيا والآخرة بما في ذلك سؤال النظر إلى وجه الله سبحانه (**اللّهمّ لِعِلْمِكَ الغيْبَ، وقُدْرَتِكَ على الخلْق، أَحْيني مَاعَلِمْتَ الحَيَاة خَيرًا لي، وتَوفّني إذا عَلِمْتَ الوفَاةَ خيْرًا لي، اللهم وأسألك خِشْيَتَكَ في الغيب والشهادة، وأسألُكَ كلمة الإخْلاَصِ في الرّضَا والغَضَبِ، وأسألكَ القصْدَ في الفقْر والغنَى، وأسْألكَ نعيمًا**

---

1) رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد وابن حبان والحاكم عن النعمان بن بشير .
2) رواه الترمذي عن أنس بن مالك.
3) رواه أبو عبد الله الحاكم عن عبد الله بن عمر.
4) رواه الإمام أحمد.

لايَنْفَدُ، وقُرَّةَ عَينٍ لاتَنْقطعُ، وأسألكَ الرّضا بالقضاء، وأسألكَ بـرْد العَيْش بَعْدَ المَوْت، وأسْأَلُكَ لذّة النَّظَرَ إلى وَجْهك، والشَوقَ إلى لِقَائِكَ فِي غَير ضَرَّاء مُضِرَّةٍ ولافِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللهم زيّنَّا بزينة الإيمان، واجْعَلْنَا هُداةً مُهْتدينَ)(1).

وإنّا لنَسْأَلُ الله كُلَّ ماسأله نَبِيُّنَا صلى الله عليه وسلم، ونعوذُ بالله من كلّ ما استعاذ منه نَبِيُّنا صلى الله عليه وسلم راجين ذلكَ من واسع فضل الله وعظيم كرمه، إنه سبحانه جَوَادٌ كَرِيمٌ، وذو فضلٍ عظيمٍ.

بيانه صلى الله عليه وسلم لذَبْحِ المَوْت

إنَّ مِنْ أَعظم أفراحِ أهل الجنة، ومِنْ أَشَدِّ أحْزَانِ أهْلِ النّار مشْهدهُما لذبْحِ المَوْت بين الجَنَّةِ والنَّار، حَيْثُ يعلمُونَ عِنْدَئِذٍ أن لا مَوتَ بعْدَ ذبْحِ المَوْت، وأنّ أمرهم جميعا قد انتهى إلى خلود في المترلتين.

روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا صارَ أهْلُ الجنّةِ إلى الجنّةِ، وأهْلُ النّار إلى النّار، جيءَ بالموت، حتى يُجْعل بين الجنة والنار، ثمّ يذْبحَ، ثمّ يُنادي مُنَادٍ يَا أهل الجنة لا موتَ، يا أهل النّار لا موتَ، فيزدادُ أهلُ الجنة فرحًا إلى فرحهمْ، ويزدادُ أهلُ النّار حُزْنًا إلى حُزْنهمْ**).

وإننا لنسال الله تعالى أنْ يُنجينا مِنَ النَّارِ، وأن يُدْخِلنَا الجَنّةَ بفَضْلِهِ وكَرَمِهِ مَعَ المُتَّقِينَ الابرار، والمُصْطَفَيْنَ الأخيار، إنه سبحانه حليم رحيم، عزيز غفار.

ونحمدُه سبحانه على نعَمِهِ الغامرة، نعَمِ الدنيا ونعَمِ الآخرة، الباطنةِ منها والظاهرة، والحمد لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصالحات، وتُرْفَعُ عنده الدرجات، ونسأله من فضله الصلاة الدائمة على سيدنا محمد الذي ختم به الرسالات، صلاة من أطيب وأشرف الصلوات، كما نسأله السلام عليه سلاما زكيا، وتحية من ألطف وأعطر التحيات، وعلى آله الطيبين والطيبات، وصحابته الذين فازوا من صحبته بأكرم المَثُوبَات، مادامت مواهب الله تتوالى فَتَغْمُرُ المؤمنين والمؤمنات، في الحياة وبعد الممات. آمين آمين آمينَ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

1) رواه النسائي وأبو عبد الله الحاكم عن عمار بن ياسر رضي الله عنه.

بسم الله الرحمان الرحيم

إليك ماسبق الوعد به في صفحة 174 من هذا الكتاب، وهو التحقـــيق الفريد المتعلق بعذاب أهل النار، وهل له من نهاية؟

وقد حرره العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في كتابة (أضواء البيان، في تفسير القرآن بالقرآن) وذلك بصفحة 122 ومابعدها من التفســـير المذكور ولكنّه رحمه الله لم يذكر في تفسيره لا أسماء السُّوَرِ، ولا أرقام الآيات التي أستشهد بها هنا، فأضفتهما إلى بـــيانه، حتّى يكون الرجوع إليها سهلاً لمن يريد مَعْرِفَةَ السّياقِ العامّ لكلّ الآيات الكريمة إن شاء الله.

قال رحمه الله:

قوله تعالى : (**قالَ النّار مثواكُمْ خَالدينَ فيهَا إلاّ ماشاءَ الله**) الأنعام 129.

هذه الآية الكريمة يُفْهَمُ منها كونُ عذاب أهل النار غَيْرَ باق بقاءً لاانقـــطاع له أبـــدا، ونظيرها قوله تعالى: (**فَأَمَّا الذينَ شَقُوْا فَفِي النَّارِ لَهمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ**) هود 106 - 107 وقَوْلُهُ تعالى: (**لاَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا**) النبأ 23.

وقد جاءت آياتٌ تَدُلُّ على أنَّ عذابَهُم لاانقطاعَ له كقوله (**خالدينَ فيهَا أبَدًا**).

والجواب عن هذا من أوجه :

<u>**أحَدُهَا :**</u> أن قوله تعالى : (**إلاّ مَا شَاءَ اللهُ**) معناه إلاَّ مَن شـــاء الله عدم خُلُودِهِ فيها من أهل الكبائر من الموحِّدِينَ.

وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة أنَّ بعض أهل النار يَخرُجُونَ منها وهم أهلُ الكبائرِ من الموحّدِين، ونقل ابن جرير هذا القول عن قتادة والضحاك وأبي سِنَان وخالد بـــن سَعْدَانَ، واختاره ابـــن جرير. وغايةً مافي هذا القـــول إطْلاَقُ (مَا) وإرادةُ (مَنْ) ونظيرُه في القـــرآن (**فانْكحُوا ماطَابَ لكُمْ مِنَ النِّسَاءِ**) النِّساء 3 .

<u>**الثاني :**</u> أن المُدَّةَ التي استثناها اللهُ هِيَ المدةُ التي بين بعثهم مِنْ قُبُورِهِم واستقـــرَارِهِمْ في

مصيرِهِمْ. قاله ابن جرير أيضا.

الوجه الثالث: أن قوله (**إلاّ مَا شَاء الله**) فيه إجمالٌ وقد جاءت الآياتُ والأحاديثُ الصحيحةُ مصرحةً بأهم خالدون فيها أبدا. وظاهرها أنه خلودٌ لا انقطاع له، والظُّهُورُ مِنَ المُرَجِّحَات فالظاهرُ مُقَدَّمٌ عَلَى المُجْمَلِ، كَمَا تَقَرَّرَ في الأُصُولِ.

ومنها أن (**إلاَّ**) في سورة هود بمعنى: سِوَى ماشاء الله مِنَ الزِّيَادَةِ على مُدَّةِ دَوَامِ السموات والأرضِ.

وقال بعض العلماء: إنَّ الاستثناء على ظاهره وأنه يأتي على النار زمانٌ ليس فيها أحد.

وقال ابن مسعود: لَيَأْتِيَنَّ على جهنم زمانٌ تَخْفُقُ أبوابها ليس فِيهَا أَحَدٌ وذلك بعدما يَلْبَثُونَ أَحْقَابًا.

وعن ابن عباس: أنها تأكلهم بأمر الله.

قال مُقَيِّدُهُ عفا الله عنه: الذي يظهر لي والله تعالى أعلم: أَنَّ هَذِهِ النَّارَ التي لايبقى فيها أحد يَتَعَيَّنُ حَمْلُهَا على الطبقة التي كان فِيهَا عُصَاةُ المسلمين. كما جَزَمَ به البَغَوِيُّ في تفسيره، لأنه يحصلُ به الجَمْعُ بين الأَدِلَّةَ وإِعْمَالُ الدَّلِيلَيْنِ أَوْلَى مِنْ إِلْغَاءِ أَحَدِهِمَا.

وقد أطبق العلماء على وُجُوبِ الجمع إذا أمكن، أما مايقول كثيرٌ من العلماء من الصحابة، ومَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَنَّ النَّارَ تَفْنَي ويَنْقطِعُ العذاب عن أهلها. فالآياتُ القرآنيةُ تَقْتَضِي عَدَمَ صِحَّتِهِ.

وإِيضَاحُهُ أَنَّ المقام لايخلو من إحدى خمس حالات بالتقسيم الصحيح وغيرها راجعٌ إليها.

الأولى: أَنْ يُقَالَ بفناءِ النارِ، وأَنَّ استراحتَهُم مِنَ العَذَاب بِسَبَبِ فَنَائِهَا.

الثانية: أَنْ يُقَالَ إنهم ماتوا وهي باقية

الثالثة: أَنْ يُقَالَ: إنهم أُخْرِجُوا منها وهي باقية.

الرابعة: أن يقال إنهم باقون فيها إلا أن العذاب يَخِفُّ عليهم وذهاب العذاب رأسا

واستِحَالَتُهُ لَذَّةً لم نَذْكُرْهُمَا من الأقســـام، لأنا نُقِيمُ البُرْهَان على نَفي تخفيف العذاب، ونَفيُ تَخْفِيفِهِ يَلْزَمُهُ نَفيُ ذهابِهِ واستِحَالَتِهِ لَذَّةً فاكتفينا به لدلالة نفيه على نفيهما. وكل هذه الأقسام الأربعة يدل القرآن على بطلانه.

أما فَنَاؤُهَا فقـــــد نَصَّ الله تعالى على عدمه بقـــــوله (**كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا**) الإسراء79.

وقـــد قـــال تعالى : (**إلاَّ مَاشَاءَ رَبُّكَ**) في خلود أهل الجنة وخلود أهل النار وبَيَّنَ عَدَمَ الانقاطعِ في خلود أهل الجنة بقوله:(**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذ**) هود 108، وبقوله (**إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُ مِنْ نَفَادٍ) ص– 53**، وقوله (**مَاعِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَاعِنْدَ اللهِ بَاقٍ**) النحل96.

وبَيَّنَ عَدَمَ الانقـــطاعِ في خلود أهل النار بقـــوله: (**كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا**) الإسراء79.

فمن يقول إن للنار خَبْوَةً ليس بعدها زيادةُ سَعِير، رُدَّ عليه بهذه الآية الكريمة. ومَعْلُومٌ أنَّ (كُلَّمَا) تَقتضي التَكْرَار بتَكْرَارِ الفعل الذي بـــعدها ونَظِيرُها قـــوله تعال: (**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا**) النساء 55.

وأمَّا مَوتُهُم فقد نَصَّ تعالى على عدمه بقوله (**لاَيُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا**) فاطر 36.

وقوله (**لاَيَمُوتُ فِيهَا وَلاَيَحْيَى**)الأعلى13، وقوله (**وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَاهُوَ بِمَيِّتٍ**)إبراهيم 20.

وقد بَيّنَ صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحـــيح أَنَّ الموتَ يُجَاءُ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ في صورة كَبْشٍ أَمْلَجَ فَيُذْبَحُ، وَإِذَا ذُبِحَ الْمَوْتُ حصل اليقين بأنه لاموت، كما قـــال صلى الله عليه وسلم : (**وَيُقَالُ يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ**).

وأمـــا إخراجُهم منها فَنَصَّ تعـــالـــى علـــى عدمه بقولـــه (**وَمَاهُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**)البقرة166، وبقوله (**كُلَّمَا أَرَادُو أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا**)الســـجدة20، وبقـــوله (**وَمَاهُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ**) المائدة 39.

وأما تخفيف العذاب عنهم فنص تعالى على عدمه بقوله (**وَلاَيُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ**) فاطر 36، وقوله (**فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا**) النّبأ 30، وقـــوله (**لاَيُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**) الزخرف75، وقوله (**إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا**)الفرقـــان 65، وقـــوله

(**فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا**) الفرقان 77، وقوله تعالى (**لاَيُخَفَّفُ عَنْهُمْ العَذابُ وَلاَهُمْ يُنْظَرُونَ**)آل عمران 87.

وقوله (**وَلَهُمْ عَذَابٌ مقِيمٌ**) المائدة 39.

ولايخفى أن قوله (**لاَيُخَفَّفُ عَنْهُم مِنْ عَذَابهَا**) وقـــوله (**لاَ يَفْتَّرُ عَنْهُمْ**) كلاهما فِعْلٌ في سياق النَّفْيِ، فَحَرْفُ النَّفْي يَنْفِي المَصْدَرَ الكَامِنَ في الفعل فهو في معنى لاتخفيف للعذاب عنهم، ولاتَفْتِيرَ لَهُ والقـــول بفَنَائِهَا يَلْزَمُهُ تَخْفِيفُ العَذَاب وتَفْتِيرُهُ المَنْفِيَان في هذه الآيات بـــل يلزمه ذَهَابُهُمَا رَأْسًا، كما أنَه يَلزَمُهُ نَفْيُ مُلاَزَمَة العذاب المنصوص عليها بقـــــوله (**فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا**) وقوله (**إِنَّ عَذَابَنَا كَانَ غَرَامًا**) وإقَامَتِهِ المَنْصُوصِ عَليها بقوله (**وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ**).

فظاهِرُ هذه الآيات عَدمُ فَنَاءِ النَّارِ المُصَرَّحِ به في قوله (**كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا**).

ومااحْتَجَّ بـــه بَعضُ العلماءِ مِنْ أَنَّهُ لو فُرِضَ أَنَّ الله أَخْبَرَ بـــعدم فنائها أَنَّ ذَلِكَ لاَيَمْنَعُ فناءها لأنه وعيدٌ وإخلافُ الوعيد مَن الحَسَنِ لا من القبـــيح،وأن الله تعالى ذَكرَ أنه لا يُخْلِفُ وعده و لم يذكر أنه لايُخْلِفُ وعيدَه، وأن الشاعر قال:

وَإِنِّـــي وَإِنْ أَوْعَدْتُـــهُ أو وَعَدْتُـــهُ   لَمُخْلِفُ إيعَادِي وَمُنْجِزُ مَوعِدِي

فالظاهر عدم صحته لأمرين:

<u>الأول</u>: أنه يَلْزَمُهُ جواز أَنْ لاَ يَدخل النار كافر، لأن الخبر بذلك وعيد، وإخْلاَفُهُ على هذا القول لا بَأْسَ بهِ.

<u>الثاني</u>: أنَّ الله تعالى صرح بحق وعيده على من كَذَّبَ رُسُلَهُ حَيث قـــال: (**كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ**)ق14.

وقد تقرر في مسلك النص من مسالك العلة أن الفاء من حروف التعليل كقولهم: سَهَا فَسَجَدَ، أيّ سجد لِعِلَّة سَهْوِه، وسرق فَقُطِعَتْ يَدُهُ أي لِعِلَّةِ سَرِقَتِهِ، فقوله: (**كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ**). أيّ وجب وُقُوعُ الوعيد عليهم لعلة تكذيب الرسل، ونَظِيرُهَا قـــوله تعالى : (**إِنْ كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ**) ص13.

ومن الأدلة الصريحة في ذلك تَصْرِيحُهُ تعالى بأن قـــوله: لاَيُبَدَّلُ فِيمَا أَوْعَدَ بهِ أَهْلَ النَّار حَيثُ قَال: (**لاَتَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بالوَعِيدِ. مَايُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ**)ق28-29.

ويُسْتَأْنَسُ لِذَلِكَ بــظاهر قــوله تعالى: (**وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَيَجْزِى وَالِدٌ عِنْ وَلَدِه –إلى قوله– إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ**)لقمان32، وقوله (**إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ**) الطّور 6، فالظاهر أَنَّ الوَعِيد الذي يَجُوزُ إِخْلاَفُهُ وَعِيد عُصَاةِ المُؤْمِنِينَ لأَن اللهَ بَيَّنَ ذلك بقــوله: (**وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**) النّساء 47.

فإذا تبين بهذه النصوص بطلان جميع هذه الأقســام تَعَيَّنَ القســمُ الخامسُ الذي هو خلودهم فيها أبدا بلا انقطاع ولا تخفيف بالتقسيم والسَبْرِ الصحيح.

ولاغرابــة في ذلك لأن خُبْثَهُمْ الطبــيعي دَائِمٌ لايزول، فكان جزاؤهم دَائِمًا لايزول والدليل على أن خُبْثَهُمْ لايزول قَوْلُهُ تعالى: (**وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ**) الأنفال23.
فقوله خيرًا نَكِرَةٌ في سياق الشرط فَهْيَ تَعُمُّ، فلو كان فيهم خَيْرٌ مافي وقتٍ ما لَعَلِمَهُ اللهُ وقــوله تعالى: (**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ**) الأنعام 29، وَعَوْدُهُمْ بَعْدَ مُعَايَنَةِ الــعَذَاب، لاَيُسْتَغْرَبُ بَعْدَهُ عَوْدُهُمْ بَعْدَ مُبَاشَرَةِ العذاب لأَنَّ رُؤْيَةَ العذاب عِيَانًا كالوُقُوعِ فيه لاَ سِيَمَا وقد قال تَعَالى: (**فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ**)ق22، وقــال:(**أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا**) مريم37.

وعذاب الكفار للإهانة والانتقام لا للتطهير والتمحيص، كما أشار له تعالى بقــوله: (**ولاَيُزَكِّيهِمْ**)البقرة 173، وبقوله (**وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**) آلِ عمران 78، والعلم عند الله تعالى.

إلى هنا إنتهى تحقيق الشيخ الشنقيطي رحمه الله وجزانا وإيّاه من فيض فضله وإحسانه والحمد لله ربّ العالمين.

حياة المؤلف في سطور

– ولد بالقيروان في ٥ شعبان ١٣٣٥/ ٢٧ مايو ١٩١٧

– وأكمل حفظ القرآن سنة ١٩٣١

– إلتحق بالزيتونة سنة ١٩٣٢

– أحرز من الزيتونة على الشهادات التالية :

* الأهلية سنة ١٩٣٦

* التحصيل في علم القراءات سنة ١٩٣٨

* التحصيل في العلوم سنة ١٩٤٠

*العالمية في القراءات سنة ١٩٤٢

* العالمية في الآداب العربية سنة ١٩٤٤

– نجح في مناظرة الإجازة للتدريس بالزيتونة في نفس السنة ١٩٤٤

– تحول للتدريس بالفرع الزيتوني في القيروان سنة ١٩٥٢

– سمّيَّ خطيبا بجامع عقبة إبن نافع بالقيروان سنة ١٩٥٥

– تولّى إدارة الفرع الزيتوني بالقيروان سنة ١٩٥٦

– أنتُدِبَ لخطة مفتش للتربية الإسلامية سنة ١٩٦٨

– أنتُدِبَ لتدريس القراءات (دراية) بالكلية الزيتونية سنة ١٩٧٧

– حاضر في الفقه وأصوله بالمركز الإسلامي في بروكسال سنتي ١٩٧٢ و ١٩٨٣

– سمّي عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى بتونس سنة ١٩٨٨

– أنتخب عضوا بمجلس النواب بتونس سنة ١٩٨٩

– شارك في عدة ملتقيات ودورات لتدريب الأئمة والدعاة– بإشراف رابطة العالم الإسلامي في أندونيسيا وجزر القمر وجزر المالديف وكل من فرنسا، وبلجيكيا، وهولندا، وفي ندوات إسلامية بكل من مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب

كتب للمؤلف

صدر للمؤلف :

١- (**كيف تكون خطيبا؟**) طبع بالسعودية للمرة الأولى ثمّ في لبنان

٢-(**أين حظ الإسلام من لغة القرآن؟**) طبع بالكويت للمرّة الأولى

٣- (**ترتيب مناسك الحج**) طبع بتونس

٤- (**آفاق الصيام في الإسلام**) طبع بتونس

٥- (**التربية من الكتاب والسنة**) بمشاركة أستاذين، طبع بالعراق، وقرر للتدريس بتونس

٦- (**العقيدة والسلوك**) بمشاركة أستاذين، طبع بتونس، وقرر للتدريس بتونس

٧- (**مشاهد الناس عند الموت**)

كتاب يجمع بين المئات من أقوال المحتضرين وأحوالهم، ويبيّن صلة تلك المشاهد المؤثرة بتعاليم الإسلام، طبع بمصر مرتين.

٨- (**مشاهد الناس بعد الموت**) طبع بتونس للمرّة الأولى سنة ٢٠٠٢ وهو هذا

٩- **من مشاهد الصحابة رضي الله عنهم** (كتاب مهيّأ للطبع)

الفهرس